

إعداد  
جولیت عدلی غابیس



الدار العربية للنشر والتوزيع





**علاقات**  
**دولة الفونج ببلاد العرب**





# **علاقات**

## **دولة الفونج ببلاد العرب**

إعداد  
**جوليت عدلي غابريوس**

الطبعة الأولى

**2009**



**الدار العربية للنشر والتوزيع**



## حقوق النشر

اسم الكتاب : علاقات دولة الفونج ببلاد العرب  
اسم المؤلف : جولييت عدلي غابويوس  
رقم الإيداع : ٢٠٠٨ / ١٣٠٢٤  
الترقيم الدولي : 977-258-325-9  
الطبعة الأولى : 2009

حقوق النشر محفوظة

لدار العربية للنشر والتوزيع

32 شارع عباس العقاد - مدينة نصر

جمهورية مصر العربية - القاهرة

تليفون : 22753335

فاكس : 22753388

لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقلة على أى وجه، أو بأى طريقة، سواء أكانت إلكترونية، أو ميكانيكية، أو بالتصوير، أو بالتسجيل، أو بخلاف ذلك إلا بموافقة الناشر على هذا كتابة ومقدماتاً.



## مقدمة الناشر

يتزايد الاهتمام باللغة العربية في بلادنا يوماً بعد يوم. ولا شك أنه في الغد القريب ستستعيد اللغة العربية هيبتها التي طالما امتهنت وأذلت من أبنائها وغير أبنائها. ولا ريب في أن امتهان لغة أية أمة من الأمم هو إذلال ثقافتها فكرياً للأمة نفسها، الأمر الذي يتطلب تضافر جهود أبناء الأمة رجالاً ونساءً طلاباً وطالبات، علماء ومثقفين مفكرين وسياسيين في سبيل جعل لغة العروبة تحتل مكانتها اللائقة التي اعترف المجتمع الدولي بها لغة عمل في منظمة الأمم المتحدة ومؤسساتها في أنحاء العالم لأنها لغة أمة ذات حضارة عريقة استوعبت - فيما مضى - علوم الأمم الأخرى وصهرتها في بوتقتها اللغوية والفكرية، فكانت لغة العلوم والأدب، ولغة الفكر والكتابة والمخاطبة.

إن الفضل في التقدم العلمي الذي تنعم به أوروبا اليوم يرجع في واقع إلى الصحوة العلمية في الترجمة التي عاشتها في القرون الوسطى. فقد كانت المرجع الوحيد للعلوم الطبية والعلمية والاجتماعية هو الكتب المترجمة عن اللغة العربية لابن سينا وابن الهيثم والفارابي وابن خلدون وغيرهم من عمالقة العرب، ولم ينكر الأوروبيون ذلك، بل يسجل تاريخهم ما ترجموه عن حضارة الفراعنة والعرب والإغريق، وهذا يشهد بأن اللغة العربية كانت مطوعة للعلوم والتدريس والتأليف، وأنها قادرة على التعبير عن متطلبات الحياة وما يستجد من علوم، وأن غيرها ليس بأدق منها، ولا أقدر على التعبير.

ولكن ما أصاب الأمة من مصائب وجمود بدأ مع نهاية عصر الوجود التركي، ثم الاستعمار البريطاني والفرنسي مما عاق اللغة عن النمو والتطور، وأبعدها عن العلم والحضارة ولكن عندما أحس العرب بأن حياتهم لا بد من أن تتغير، وأن جمودهم لا بد أن تدب فيه الحياة، اندفع الرواد من اللغويين والأدباء والعلماء نحو إنماء اللغة وتطويرها حتى أن مدرسة قصر العيني في القاهرة، والجامعة الأمريكية في بيروت درستنا الطب بالعربية أول إنشائهما. ولو تصفحنا الكتب التي ألقت أو تُرجمت يوم كان الطب يدرس فيها باللغة العربية لوجدناها كتباً ممتازة لا تقل جودة عن مثيلاتها من كتب الغرب في ذلك الحين، سواء في الطب، أو حسن التعبير، أو براعة الإيضاح، ولكن هذين المعهدين تنكرا للغة العربية فيما بعد، وسادت لغة المستعمر. وفُرضت على أبناء الأمة فرضاً، إذ رأى المستعمر أن في خنق اللغة العربية مجالاً لعرقلة الأمة العربية.

وبالرغم من المقاومة العنيفة التي قابلها، إلا أنه كان بين المواطنين صنائع سبقوا الأجانب فيما يتطلع إليه، فتفننوا في أساليب التملق له اكتساباً لمرضاته، ورجال تأثروا بحملات المستعمر الظالمة، يشككون في قدرة اللغة على استيعاب الحضارة الجديدة، وغاب عنهم ما قاله الحاكم الفرنسي لجيشه الزاحف إلى الجزائر: "علموا لغتنا وانشروها حتى نحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر، فقد حكمناها حقيقة".



فهل لى أن أوجه نداءً إلى جميع حكومات الدول العربية بأن تبادر- فى أسرع وقت ممكن- إلى اتخاذ التدابير، والوسائل الكفيلة باستعمال اللغة العربية لغة تدريس فى جميع مراحل التعليم العام والمهني والجامعى، مع العناية الكافية باللغات الأجنبية فى مختلف مراحل التعليم لتكون وسيلة الإطلاع على تطور العلم والثقافة والانفتاح على العالم. وكلنا ثقة فى إيمان العلماء والأساتذة بالتعريب، نظراً لأن استعمال اللغة القومية فى التدريس ييسر على الطالب سرعة الفهم دون عائق لغوى وبذلك تزداد حصيلته الدراسية، ويرتفع بمستواه العلمى، وذلك يعتبر تأصيلاً للفكر العلمى فى البلاد، وتمكيناً للغة القومية من الازدهار والقيام بدورها فى التعبير عن حاجات المجتمع، وألفاظ ومصطلحات الحضارة والعلوم.

ولا يغيب عن حكوماتنا العربية أن حركة التعريب تسير متباطئة، أو تكاد تتوقف بل تحارب أحياناً ممن يشغلون بعض الوظائف القيادية فى سلك التعليم والجامعات ممن ترك الاستعمار فى نفوسهم عقداً وأمراضاً، رغم أنهم يعلمون أن جامعات إسرائيل قد ترجمت العلوم التطبيقية الحديثة إلى اللغة العبرية وعدد من يتخاطب بها فى العالم لا يزيد عن خمسة عشر مليون يهودياً، كما أنه من خلال زياراتى لبعض الدول واطلاعى على مناهجها الدراسية وجدت كل أمة من الأمم تدرس بلغتها القومية مختلف فروع العلوم والآدب والتقنية كاليابان، وإسبانيا، وألمانيا، ودول أمريكا اللاتينية، ولم تشك أمة من هذه الأمم فى قدرة لغتها على تغطية العلوم الحديثة، فهل أمة العرب أقل شأنًا من غيرها ١٩.

وأخيراً .. وتماشياً مع أهداف الدار العربية للنشر والتوزيع، وتحقيقاً لأغراضها فى تدعيم الإنتاج العلمى باللغة العربية، وتشجيع العلماء والباحثين فى إعادة مناهج التفكير العلمى وطرائقه إلى رحاب لغتنا الشريفة تقوم الدار بنشر هذا الكتاب المتميز الذى يعتبر واحداً من ضمن ما نشرته - وستقوم بنشره - الدار من الكتب العربية التى قام بتأليفها أو ترجمتها نخبة ممتازة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية المختلفة.

وبهذا ... ننفذ عهداً قطعناه على الماضى قدما فيما أردناه من خدمة لغة الوحي وفيما أراده الله تعالى لنا من جهاد فيها.

وقد صدق الله العظيم حينما قال فى كتابة الكريم ﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ <sup>(106)</sup> ﴾ " سورة التوبة الآية "

**محمد أحمد دريس**

**الدار العربية للنشر والتوزيع**



## المحتويات

9	..... المقدمة
---	---------------

## الفصل الأول

## العلاقة بين بلاد السودان وبلاد العرب

17	..... أ- سقوط مملكة النوبة
25	..... ب- العلاقات بين السودان والعرب في عهد المماليك
42	..... ج- سقوط مملكة علوة المسيحية

## الفصل الثاني

## قيام دولة الفونج

47	..... أ- دخول العرب السودان وأثره على قيام دولة الفونج الإسلامية
59	..... ب- أصل الفونج
70	..... ج- العلاقة بين الفونج والعبدلاب

## الفصل الثالث

## العلاقة السياسية

81	..... أ- علاقات العرب بملوك دولة الفونج
----	---

## الفصل الرابع

## مقومات النهضة العلمية في السودان

111	..... أ- المراكز والمدارس العلمية
130	..... ب- الكتب الدراسية
134	..... ج- الأجازات العلمية
136	..... د- دور الأزهر في السودان
145	..... هـ- رحلات الحج والعمرة

## الفصل الخامس الدور المصرى الحجازى فى النهضة العلمية

- أ- العلماء والمتصوفة ..... 153  
ب- الفقهاء والحكام ..... 160  
ج- الطرق الصوفية فى سلطنة الفونج ..... 164

## الفصل السادس العلاقات التجارية

- أ- المراكز التجارية ..... 173  
ب- الأسواق ..... 181  
ج- وسائل المعاملات التجارية (النقود) ..... 185  
د- الطرق ..... 187  
هـ- الضرائب والخراج ..... 192  
الخاتمة ..... 199  
المصادر والمراجع ..... 201  
الملاحق ..... 213



## (( المقدمة ))

### علاقات دولة الفونج ببلاد العرب

#### — حدود الكتاب :

دراسة علاقات الفونج ببلاد العرب بكل جوانبها (1505-1821م) وما نتج عن هذه العلاقات من أثار ثقافية وحضارية ونشاط اقتصادي وعادات وتقاليد وغيرها وتتبع هذه العلاقات حتى قيام الفتح التركي المصري.

#### — أهداف وأهمية الكتاب:

هذا الكتاب له أهمية كبيرة في نظر المؤلف؛ لأنه يخص العلاقات بين بلاد السودان وبلاد العرب التي عن طريقها دخل الإسلام في بلاد السودان واعتنقته ممالك السودان آنذاك (النوبة والبجة) وتبعته اللغة العربية جنبا إلى جنب .

العلاقات بين السودان وبلاد العرب ساهمت في صنع نمط حضاري لسودان وادي النيل فتلاقح الثقافات ثم تمازج الأعراق هذا التمازج الذي يمثل العقل الذي حملته الثقافة العربية والإسلامية في كنفها عند مجيئها للسودان ليتمازج مع العقل المحلي المسيحي وما قبل المسيحي فهذه واحدة من اكبر عمليات التمازج التي شهدتها السودان في تاريخه وكانت نتيجتها نشوء أولى هذه الممالك الإسلامية. بالإضافة إلى ذلك نتج عن هذا التمازج عناصر هجينة كونت قبائل جديدة ذات أصول عربية ضمن النسيج الاجتماعي لقبائل السودان.

لقد كان واضحا اثر تلك الهجرات في عادات وتقاليد المجتمع رغم إنهم لم يأتوا فاتحين لإقامة دولة بل كانت هجراتهم كأفراد وجماعات تتشد الرزق والأمن ونتيجة لهذا التلاحم عرف أهل السودان اللغة العربية لغة القرآن.

تتبع أهمية هذا الكتاب فى إلقاء الضوء على إحدى جذور المعرفة الإنسانية من حيث تتبع الأصل وكيفية علاقات الفونج ببلاد العرب ومعرفة أشكال هذا العلاقات وتطورها للكشف عن أحداث التاريخ وتتبع التسلسل وتدوين الأحداث وتوثيقها. كل ذلك لان هذه العلاقات تختلف باختلاف الزمان والمكان ولكل قبيلة عربية ظروفها وبالتالي أسبابها للهجرة لبلاد السودان لابد لنا من معرفة الظروف والأسباب بالدراسة.

يعد هذا الكتاب مهما لأنه يدرس علاقة متميزة بين تلك القبائل العربية الإسلامية التى تدفقت على السودان فى تلك الفترة والتى كانت تعتنق الإسلام بينما كانت بلاد النوبة تدين بالمسيحية.

تأتى أهمية هذا الكتاب فى إبراز الدور الذى لعبه العرب المسلمون فى إنشاء هذه السلطنة إذ أنها تمثل نهضة العرب الإسلامية خاصة أنها قامت فى وقت زالت فيه أعظم الدول العربية الإسلامية آنذاك (الأندلس).

رغم أهمية هذه العلاقات لم تجد اهتماما كافيا من الباحثين لهذا أردت إن تكون عنوانا لهذه الدراسة بغرض البحث فيها لما لها من آثار على شمال وشرق ووسط السودان.

إلا أن مرحلة التاريخ النوبى تعترضها صعوبات أدركها الباحثون الذين حاولوا إن يلقوا بعض الضوء على هذا التاريخ الطويل ومنشأ هذه الصعوبات ضياع معظم الآثار التى خلفها عهد الممالك المسيحية فى النوبة وقلة الآثار التى خلفها المسلمون فى بلاد السودان، الذى رغم ما كتب فيها وما نشر حولها من أبحاث فى حاجة إلى المزيد ولقد دون كثير من الكتاب العرب فى كتبهم ومذكرات رحلاتهم شهادات إلا أن هذه الشهادات الثمينة توجد فى مصادر قديمة ونادرة وغير متاحة لطلاب المعرفة فى بلادنا السودان أو مكتوبة بلغة مختلفة يصعب على القارئ الإطلاع عليها. لهذا أراد الباحث إعداد الدراسة فى موضوع العلاقات السودانية العربية فى فترة الفونج لأنها شكلت الثقافة والحضارة فى بلاد السودان وباعتبارها فترة مفصلية فى تاريخ السودان الحديث.



- تمهيد :

- منهج الكتاب :

اقتضى منهج الكتاب تقسيم محتويات الكتاب إلى ستة فصول:

الفصل الأول: العلاقة بين بلاد السودان وبلاد العرب.

أ- سقوط مملكة النوبة المسيحية.

ب- العلاقات بين السودان والعرب في عهد المماليك 651-922هـ-1252-1517م.

ج- سقوط مملكة علوة.

الفصل الثاني: قيام دولة الفونج.

أ- دخول العرب السودان وأثره على قيام دولة الفونج الإسلامية.

ب- اصل الفونج.

ج- العلاقة بين الفونج والعبدلاب.

الفصل الثالث: العلاقة السياسية.

أ- علاقات العرب بملوك دولة الفونج.

الفصل الرابع: مقومات النهضة العلمية في السودان.

أ- المراكز والمدارس العلمية.

ب- الكتب الدراسية.

ج- الأجازات العلمية.

د- دور الأزهر في السودان.

هـ- رحلات الحج والعمرة.

## الفصل الخامس: الدور المصرى الحجازى فى النهضة العلمية.

أ- العلماء والمتصوفة.

ب- الفقهاء والحكام.

ج- الطرق الصوفية.

## الفصل السادس: العلاقات التجارية.

أ- المراكز التجارية.

ب- الأسواق.

ج- وسائل المعاملات التجارية (النقود).

د- الطرق

هـ- الضرائب والخراج

- اعتمدت هذه الدراسة على مصادر ومراجع ودوريات:

- المصادر العربية:

يعد معجم كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء الصالحين والعلماء والشعراء فى السودان للفقير محمد ضيف الله سقرا فريدا يتحدث عن سيرة مائتين وسبعين عالما وهو منهل ثقافى فكرى لحياة السودانيين الثقافية والأدبية والسياسية لأنه يعكس روح العصر ولا غنى لاي باحث فى هذا النوع من الدراسة عنه. وأفدت منه فى هذا البحث فائدة كبيرة مما فيه حتى اشبع نهمى.

ومن المصادر التى أفادت البحث كتاب (المكتبة السودانية العربية) لمصطفى محمد مسعد الذى كرس فيه جهوده لإبراز الصفحات المجهولة فى تاريخ السودان بعد إن اطلع على كتب المؤرخين العرب المطبوعة وغير المطبوعة وجمع ما فى أربعين كتابا عن السودان فى كتابا واحدا.



وأفدت من تقى الدين احمد بن على المقريزى فى كتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطوط والآثار) الذى جمع أخبار القبائل وأصولها ولجونها إلى الصعيد الأعلى ثم فرارها وانتشارها فى السودان.

إما كتاب ابن عبد الحكم الذى يعد أقدم نص عربى كتب فى تاريخ مصر (276هـ-889م) (توح مصر وأخبارها) استفدت منه فى نزوح القبائل العربية من الجزيرة العربية إلى مصر ثم إلى بلاد النوبة.

ومن المصادر القيمة كتاب عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (العبر فى ديوان المبتدأ والخبر) المشهورة بمقدمة ابن خلدون التى قيل أنها خزانة علوم اجتماعية وسياسية. واقتصادية أفاد الباحثة فى تحركات القبائل العربية خاصة جهينة.

### - المراجع العربية:

من أهم هذه المراجع كتاب الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى لمصطفى محمد مسعد الذى كان خير معين لى فى دراسة الممالك المسيحية وعلاقة العرب بها لقد افادنى مؤلفه إفادة كبيرة، ويعد كتاب ضرار صالح ضرار سفرا قيما عن هجرة القبائل العربية إلى وادى النيل (مصر والسودان) وهو مرجع مفيد فى هذا الصدد.

من المراجع التى افادتنى كثيرا كتاب التعليم الدينى فى السودان ليحيى محمد إبراهيم الذى فصل المراكز والمدارس التعليمية فى عهد دولة الفونج. وكتاب صلاح الدين الشامى الموائى السودانية الذى فصل هذه الموائى بصورة مفيدة دور كبير فى أثراء الكتاب.

### - المراجع الإفرنجية منها:

1- Paul, A, : A history of the Baja Tribes of the Sudan, Cambridge, 1954.

فى تاريخ قبائل البجة ولعله استفاد من معرفته القريية بقبائل الشرق لأنه عاش فترة بينهم.

2- Macmichael, H. A: Ahisory of the Arabs in the Sudan, Cambridge, 1922, 2vols.

الذى تحدث فى هجرات القبائل العربية إلى مصر والسودان وهو يشكل موسوعة لا غنى عنها لباحث فى التاريخ.

3- Umer Al. Nager the Pilgrimage Radition in West Africa, Sudan, Khartoum University Press, 1979.

استفدت منه فى تحديد الطرق التى كان يسلكها الحجاج إلى الاراضى المقدسة.

#### – الدوريات:

رجع الباحث إلى الدوريات السودانية التى تتحدث عن موضوع الرسالة مثل:

1- دورية مصطفى محمد مسعد: بعض ملاحظات جديدة حول مملكة الفونج الإسلامية الذى أضاف فيها معلومات قيمة عن دولة الفونج.

2- دورية جامعة أم درمان الإسلامية إصدار 2002م الذى تناول فيها احمد إبراهيم دياب الهوية السودانية عبر التاريخ.

3- مجلة الدراسات السودانية العدد الأول الذى تناول فيه يوسف ضل حسن القتل الطقسى عند الفونج. وغير ذلك من الدوريات التى تناولت مواضيع تخص الكتاب.



## الفصل الأول

### العلاقة بين بلاد السودان وبلاد العرب

- أ- سقوط مملكة النوبة
- ب- العلاقات بين السودان والعرب في عهد المماليك
- ج- سقوط مملكة علوة





## الفصل الأول

### العلاقة بين بلاد السودان وبلاد العرب

#### أ- سقوط مملكة النوبة المسيحية:

دخل العرب بلاد النوبة فرادى وجماعات قبل الإسلام وسأركز هذا على دخول العرب بعد ظهور الإسلام. حيث تشير الأبحاث إلى إن السودان كان احد المناطق التي نشأت بها أولى المجتمعات الإسلامية التي انحدرت مباشرة من الحجاز ويقول عبد الله الطيب<sup>(1)</sup> في هجرتي صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم ابنته وابن عمه جعفر بن أبي طالب وهجرة عثمان بن عفان ربما كانتا إلى بلاد علوة والسودان. وهذه إشارة إلى عمق العلاقات بين منبع الدعوة وبين بلاد النوبة.

استمر المسلمون يلجأون إلى بلاد السودان سواء كان نفياً مثل نفى سيدنا عمر لأبنا محجن التقفى فى باضع<sup>(2)</sup> ونفى عمر بن عبد العزيز ليزيد بن المهلب إلى ذلك<sup>(3)</sup> أو لجوء كلجوء الفارين من بنى أمية إلى باضع<sup>(4)</sup>.

ومنذ إن فتح المسلمون مصر اتجهت سياستهم إلى ضم بلاد النوبة وتلاقت رغبة الخليفة عمر مع قائدة عمرو بن العاص إلى غزو النوبة لتأمين حدود مصر الجنوبية وتأمين طريق التجارة<sup>(5)</sup>.

(1) مقالة فى الندوة العالمية لدراسة تاريخ العرب فى عصر الرسول والخلااء الراشدين بعنوان (تاريخ الحبشة وما وراءها من إنباء) عبد الرحمن حسب الله، مرجع سبق ذكره ص 31.

(2) أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقى: البداية والنهاية، لبنان، بيروت، دار الثقافة العلمية، 1408هـ - 1988م - ج 7.

(3) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت: 808هـ - 1460م) العبر وديوان المبتدأ والخبر، مصر، القاهرة، 1274هـ - 1857م، ج 3 - ص 644.

(4) مصطفى محمد مسعد: الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى، مصر، القاهرة، 1960م، ص 118.

(5) أبو الحسن على بن الحسين المسعودى (ت 346هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محى الدين عبد المجيد، مصر، القاهرة، مطبعة السعادة، 1948م، ج 3، ص 38.

تدفقت الجيوش الإسلامية في عهد سيدنا عمر بن الخطاب وبقيادة عمرو بن العاص ولكل جيش دخل الوجه البحرى من مصر فاتحاً لا بد وان تمتد فتوحاته إلى الصعيد حتى أسوان وقد فعل المسلمون ذلك جنوب أسوان حيث ممالك النوبة<sup>(6)</sup>.

وفي خلافة سيدنا عثمان بن عفان غزا عبد الله بن أبى السرح بلاد النوبة في 26هـ وتجمع على الشاطئ لفيف من البجة فسأل عنهم فأخبر بمكانهم فهان عليه أمرهم ولم يكن لهم عقد ولا صلح<sup>(7)</sup> ومنذ ذلك الوقت اخذ الإسلام يتسرب إلى بلاد النوبة والبجة عن طريق النيل والصحراء ويبدو من ذلك أن علاقة العرب والممالك المسيحية في السودان كانت وثيقة ولا تقتصر على البقطة؛ بل كان هناك تجارة بين الطرفين وتغلغل سلمى ويمكن إن نفسر هذا العقد بأنه معاهدة حسن جوار للاطمئنان على حدود المسلمين الجنوبية وفتح البلاد للتجارة والحصول على سواعد النوبة القوية ونشر الثقافة الإسلامية في بلاد النوبة بالطرق السلمية ومهما يكن من أمر فإن هذه المعاهدة ظلت تمثل نوعاً من الاستقرار بين المسلمين والمسيحيين ما يقرب من ستة قرون أدى هذا الاستقرار إلى زيادة حجم التبادل التجارى بين الطرفين<sup>(8)</sup>.

وخلال العصر العباسى كان هنالك العديد من الهجرات خاصة بعد مقتل مروان بن محمد حيث تفرقت بنو أمية في البلاد حتى وصلت ارض البجة<sup>(9)</sup> ويشير المسعودى إلى جماعات من عرب قحطان وزبيعة سكنوا أسوان وتقدموا جنوباً حتى مريس<sup>(10)</sup> واشتروا الأرض من النوبيين وأصبحوا أصحاب حق في البلاد وتزاوجوا منهم<sup>(11)</sup>.

(6) مكى شبيكه: السودان عبر القرون، لبنان، بيروت، 1991م، ص 29.

(7) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم (ت 276هـ - 1875م) فتوح مصر وإخبارها، هولندا، لندن، 1920م، ص 169.

(8) إبراهيم الحرطلو: الرباط الثقافى بين مصر والسودان، والخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الأولى 1977م، ص 4.

(9) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، مصدر سبق ذكره، ج 8، ص 340.

(10) ناحية ببلاد النوبة تهب عليها في الشتاء رياح باردة (أبو الحافظ بن كثير الدمشق، مرجع سبق ذكره، ج 1، ص 294).

(11) أبو حسن على بن الحسين المسعودى: مرجع سبق ذكره، ص 33.



وازدادت الهجرات بعد ضغط الممالك على القبائل العربية التي هاجرت جنوباً وتعتبر بنى الكنز من كبرى القبائل التي نشرت الإسلام حيث كان لها الفضل في تحويل قبائل النوبة من المسيحية وبالتالي انتقال الملك إلى بنى الكنز ويعنى هذا إن ركنا هاما من أركان نظام الحكم فى النوبة قد انهار وهذه نقطة تحول خطيرة فى تاريخ بلاد النوبة ربما شاركت فى وضع النهاية لمملكة النوبة المسيحية.

كما إن هناك عوامل أخرى عجلت بسقوط هذه المملكة منها ما ذكره ابن خلدون عن الهجرة الكبرى التي قام بها عرب جهينة<sup>(12)</sup> من مصر إلى بلاد النوبة فقال: إن الجزية انقطعت بإسلامهم (أي النوبة) ثم انتشرت إحياء العرب من جهينة فى بلادهم استوطنوها وملكوها وملؤها عبثاً وفساداً وذهب ملوك النوبة إلى مدافعتهم من أمهاتهم على عادة الأعاجم فى تمليك الأخت وابن الأخت فتمزق ملكهم واستولى أعراب جهينة على بلادهم وليس فى طريقه شئ من السياسة المملوكية للآفة التي تمنع انقياد بعضهم إلى بعض فصاروا شيعاً لهذا وذلك ولم يبق لبلادهم رسم للملك وإنما هم رحالة بادية يتبعون مواقع القطر شأن بواد الأعراب ولم يبق لبلادهم رسم للملك لما أحالته صبغة البداوة العربية من صبغتهم بالخلطة والالتحام<sup>(13)</sup> ويعنى هذا إن عرب جهينة هاجروا إلى بلاد النوبة فى بداية القرن الرابع عشر الميلادى بعد إن أسلم النوبيين وقطعت عنهم الجزية وإن هجرتهم حدثت بعد انتقال الحكم إلى بنى الكنز ولكننى اعتقد إن ابن خلدون قصد بذلك هجرة أعداد كبيرة من جهينة مع بعضها البعض بعد اعتناق النوبة الإسلام.

لكن هذا لا يمنع من دخولهم فى مجموعات مع القبائل العربية الأخرى عقب الفتح العربى على مصر فى منتصف القرن التاسع الميلادى هاجرت فروع من جهينة إلى

(12) هى إحدى بطون قضاة اليمينية هاجرت روع منها إلى الجزيرة العربية وسكنت حول يتبع وعندما جاء الإسلام كانت أولى القبائل التى دخلت فى السودان (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، ج2، ص5).  
(13) المصدر السابق، ج5، ص 429.

مصر ثم جنوباً إلى بلاد النوبة مشتركة مع كثير من العرب فى حملة العمرى<sup>(14)</sup> وليس من المستبعد أن تنتشر هذه الجماعات الإسلام منذ تلك الفترة وتذكر المراجع إن عرب جهينة كانوا سبباً فى ضياع كثير من مظاهر الملكية النوبية مثل اللغة النوبية التى لم تعد لغة الكتابة بل ظلت تمثل لغة التفاهم بين النوبيين وينسب إلى جهينة كذلك تخريب الكنائس النوبية<sup>(15)</sup> اعتقد إن دور بنى الكنز فى سقوط مملكة المقررة كان دوراً رائداً إلا إن هذا لا يعنى التقليل من شأن جهينة التى ذكرها ابن خلدون قائلاً انتشرت ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة<sup>(16)</sup> والضعف والانهيال الذى أصاب النوبة والشيع التى آلت إليها جهينة وتحدث عنها ابن خلدون قائلاً انتشرت ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة تشير إلى الزعامات العربية التى تنتشر مع مصر حتى الحبشة وعددهم ثمانية من الزعماء العرب كانوا يكاتبون المماليك وهم سمره بن كامل العامرى وعباد بن قاسم وكمال بن سوار وجنيد شيخ الجوابره وشريف شيخ النمامة وعلى شيخ دغم وزامل الثانى أبو مهنا العمرانى<sup>(17)</sup>.

ومن عوامل سقوط مملكة النوبة كذلك ابتعاد كنيسة النوبة عن كنيسة الإسكندرية حتى انقطاع الصلة نهائياً فى عهد البطريك سيريل 1235م<sup>(18)</sup> والجدير بالذكر إن جميع كتابات المؤرخين العرب والمصادر القبطية تشير إلى إن بلاد النوبة قد اتجهت فى زعامتها الروحية إلى بطريك الأقباط فى مصر وإن هذه العلاقة هى علاقة قديمة شأن الأمر فى الحبشة وهى علاقة تاريخية لها إبعادها الثقافية والاجتماعية حتى يومنا هذا فإن الكنائس القبطية فى السودان تتبع إلى كنيسة مرقس الرسول فى مصر لذا شعر النوبيون إن الكنيسة النوبية غريبة عنهم كما إن الظروف التى كانت تؤدى فى كثير من الأحيان إلى عدم إرسال ما تحتاج إليه الكنائس النوبية من رجال الدين فتبقى هذه

(14) مصطفى محمد مسعد: الإسلام والنوبة ، ص 124.

(15) Crow Foot, J.W: Christian Nubia, JEA, 1927, X LII, P 148.

(16) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مرجع سبق ذكره، ج 2 ، ص 516.

(17) يوسف فضل حسن: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية فى السودان الشرقى، السودان، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر 1981 ص 11.

(18) مصطفى محمد مسعد: مرجع سبق ذكره، ص 176.

الوظائف شاغرة مدة طويلة تتعطل فيها الطقوس، وهكذا بالتدريج ضعف شعور الناس إزاء هذا الوضع دون إن يشعروا أنهم فقدوا شيئاً.

وكان في المقررة وعلوه ثلاث عشرة أسقفية<sup>(19)</sup> تابعة للكنيسة المرقسية في مصر والملاحظ هنا إن مملكة النوبة المسيحية كانت تقاوم وحدها الضغط المملوكي ولم يتعاون معها أى من الممالك المسيحية المجاورة بل حتى إن هذه الممالك تعاونت مع المماليك أنفسهم ضد ملوك النوبة ورفضوا إيواء الهاربين وكثيراً ما سلموا الفارين إلى المماليك ثم إن رجال الدين المسيحي النوبيين تخلوا عن ملوك النوبة وانضموا للغزاة ومرر بنا كيف إن القساوسة انفصلوا من حول سامون ملك النوبة وطلبوا الأمان من المماليك ولكن يبدووا إن الجميع أدرك قوة المماليك ففعلوا ذلك موازنة مصالح أكثر من أنها قضية دينية.

إن انقطاع الصلة بين الكنيسة الأم وكنيسة النوبة ربما يرجع إلى ما تعرض له أقباط مصر من اتهام بحرق بعض إحياء القاهرة في 663هـ / 1264م. وامتد هذا الاتهام إلى بلاد النوبة على يد القبائل العربية التي خرجت الكنائس. ولعل من أسباب انهيار مملكة النوبة النزاع المستمر حول العرش بين أفراد الأسرة المالكة لان نظام الوراثة الذي تمسك به النوبة أصبح ركناً من أركان سياستهم ولم يؤد إلى الاستقرار بين الملك وولى عهده بل خلق مشاكل عديدة وظهر الانقسام وأدى ذلك إلى الاستعانة بالمماليك لحل هذه النزاعات وقد صل المماليك في هذه النزاعات بالحملات المكثفة على بلاد النوبة تلك الحملات التي فتت من عضد النوبيين وانتهت بسقوط بلادهم.

بعد سقوط مملكة المقررة المسيحية لم يرد شئ عن بلاد النوبة حتى عام 1366م. وكل ما يمكن معرفته نستخلصه من قول المقریزی إن المنطقة ما بين عيذات شرقاً والوحدات غرباً فضلاً عن بلاد النوبة نفسها أصبحت مسرحاً للاضطرابات التي كانت

<sup>(19)</sup> تقى الدين احمد بن على المقریزی (ت 845هـ - 1441م) المواعظ، والاعتبار بذكر الخطوط والآثار، تحقيق الدكتور محمد زينهم والدكتور مديحه الشرقاوى، مصر، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1998م ج1، ص 193.



من عمل بنى الكنز وغيرهم من القبائل العربية التى استقرت فى بلاد النوبة مثل بنى جعد وبنى عكرمة<sup>(20)</sup> ويفهم من حديث المقرئى إن القبائل العربية ازدادت من أسوان حتى دنقلا وعم الإسلام المنطقة وزال ما بقى من المسيحية وتكونت مجموعات نوبية مستعربة وهم الكنوز السكوت والمحس. ظل بنو الكز يمثلون أقوى العناصر النوبية المستعربة. بسقوط دنقلا انفتح المجال أمام الجماعات العربية للانسياب جنوبا على طول النهر الذى يعتبر الطريق الطبيعى للهجرات منذ فجر التاريخ.

إما تلك المجموعات العربية التى هاجرت إلى حوض النيل الأوسط اشتملت على مجموعتين العدنانيين والقحطانيين. ويمثل العدنانيين الكواهل والجعليون والرشايدة وغيرها من القبائل الصغيرة والقحطانيون تمثلهم جهينة.

وما يهمنا هنا هو متى دخلت هذه القبائل إلى حوض النيل الأوسط؟

أول من ذكر أولاد كاهل ابن بطوطة فى رحلته إلى عيذاب وسواكن فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى عندما ذكر إن أولاد كاهل يسكنون المنطقة من عيذاب إلى سواكن وهم مختلطون بالبجة عارفون بلسانهم<sup>(21)</sup> ولكن متى استقر أولاد كاهل بين البجة؟ غير معروف والراجح أنها كانت قبل القرن الرابع عشر بدليل معرفتهم بلغة البجة.

يعود نسب الكواهل إلى عباد من نسل الزبير بن العوام وعباد هذا جد الكواهل قدم من الجزيرة العربية إلى مصر فى القرن الثالث عشر<sup>(22)</sup> ومثلهم مثل غيرهم من القبائل العربية الأخرى كرهوا الممالك وفروا إلى بلاد النوبة حيث انتجع فريق منهم كردفان وآخر استقر بالنيل الأبيض والثالث فى جنوب الجزيرة وشمال سنار<sup>(23)</sup>.

(20) تقى الدين احمد بن على المقرئى: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مصر، القاهرة، 1934م، المجلد الثامن، ص 48.

(21) أبو عبد الله محمد اللواتى الطنجى بن بطوطة: مذهب رحلة ابن بطوطة، مصر، القاهرة، المطبعة الأميرية ببولاق، 1934م، ج 1، ص 154.

(22) التجانى عامر: السلالات العربية فى النيل الأبيض، السودان، الخرطوم، الدار السودانية للكتب، 1390هـ - 1971م، ص 17.

(23) نفسه، ص 19.

اختلط أولاد كاهل بالبجه ويذكر علماء الأجناس إن هناك تشابهاً في الدم والتقاطيع بينهما<sup>(24)</sup>. وقد كان لبنى كاهل دور أساسى فى نشر الإسلام بين البشاريين والامرار والبنى عامر.

ومن المؤكد إن أولاد كاهل عاشوا فترة فى المنطقة الساحلية الشرقية يعملون بالتجارة ثم انتقلوا بالتدريج نحو الغرب وانتقالهم هذا على مراحل المرحلة الأولى وصولهم إلى الساحل ثم انتقالهم إلى منطقة النيل الأزرق وأخيراً نزوحهم إلى النيل الأبيض ثم كردفان.

وحسب ما تذكر الروايات الوطنية إن هجرة الجعليين من مصر إلى حوض النيل الأوسط كانت من حوالى القرن العاشر الميلادى<sup>(25)</sup> سالكة طريق العتمور لتجنب مملكة المرة المسيحية ثم لحق بها عدد كبير فى العهد المملوكى ولاسيما بعد سقوط دنقلا عن طريق النيل من الشمال إلى الجنوب حيث سكنوا فى أوطانهم الحالية على النيل الأعظم<sup>(26)</sup> ويقال إن الجعليين ينسبون إلى إبراهيم المقلب بجعل من نسل العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ويذكر الرواة إن سبب تسميتها بالجعليين ما كان يقوم به جدهم إبراهيم من كرم الوفادة والترحيب بالمستظلمين به من سائر أبناء القبائل "لقد جعلناك منا"<sup>(27)</sup> حيث كان يجمع الناس حوله من كل حذب وصوب.

تدل هذه العبارة على إن الجماعات العربية التى كانت تتوغل فى هذه المنطقة كان توغلها سليماً.

يبدو إن الجعليين لم يكونوا أول قبيلة واحدة بل مجموعة قبائل يجمعهم نسب متقارب وكانت هجرتهم تمت على مراحل وفى أزمان طويلة حتى استطاعوا بسط

<sup>(24)</sup> نفسه، ص 17.

<sup>(25)</sup> Mac Michael, H.A.: A history of the Arabis In He Sudan, Cambridge, 1922., P. 348.

<sup>(26)</sup> Mac Michael, H, A: Op. Cit, P197

<sup>(27)</sup> محمد عوض محمد، السودان الشمالى سكانه وقبائله، مصر، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة 1951م ص 166.

نفوذهم على منطقة تلو الأخرى وفي الختام نجحت أسرة قوية فى تولى الزعامة وجمع شمل القبيلة وإدماجها مع السكان الأصليين.

وتشتمل مجموعة الجعليين على عدد من القبائل منها الجعليون الاصليون ويسكنون من السبلوقة إلى أتبرا والميرفاب يسكنون حول بربر والرباطاب من بربر إلى أبى حمد والمناصير من أبو حمد حتى الشلال الرابع والشايقية من الشلال الرابع إلى الدبة ويسكن الجوابره بين الدناقلة والمحس والجموعية وإتباعهم جنوب أم درمان إلى حدود الكواهل والجمع رب النيل الأبيض إلى الجنوب من بلاد الكواهل والبديرية بعضهم فى بلاد النوبة والبعض الآخر فى كردفان وهناك قبائل أخرى مفرقة بين كردفان والنيل الأبيض والبطانة<sup>(28)</sup>. إما المجموعة العربية الثانية من حيث الثقل القبلى هى المجموعة الجهينية التى تدعى الانتساب إلى عبد الله الجهنى<sup>(29)</sup> القحطاني عاشت جهينة القحطانية حول ينبع ثم هاجرت إلى مصر ومنها جنوبا إلى بلاد النوبة والبجة عند القرن التاسع عشر الميلادى. ثم جنوبا إلى ارض الحبشة فحاربت الحبشة حتى أرهقتها<sup>(30)</sup> فى القرن الخامس عشر الميلادى.

وتتقسم القبائل الجهينية فى السودان إلى ثلاث مجموعات الأولى تشمل رفاعه - اللحويين - الحلوبين - العوامرة - الشكرية - وجميعهم يستقرون فى النيل الأزرق والبطانة وتشمل المجموعة الثانية دار حامد - الشنابلة - المعاليا - يستقرون وسط وشرق كردفان.

إما المجموعة الثالثة تشمل البقارة - الكبابيش - الحمر - المحاميد - المغاربة وينتشرون فى كردفان ودارفور<sup>(31)</sup> لابد وان هذه المجموعات لم تنتشر فى دفعة واحدة بل استقرت قرون عديدة حتى تكاثر عددهم فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى.

(28) محمد عوض، مرجع سبق ذكره، ص 168.

(29) Mac Miccheal, H. A. Op. Cit, P198.

(30) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، ج5، ص 429.

(31) مصطفى محمد مسعد، مرجع سبق ذكره، ص 201-202.



وفى القرن السادس عشر الميلادى زاد ضغط جهيئة على ملوك علوة فحاولوا صدهم كما يقول ابن خلدون<sup>(32)</sup> ولم يستطيعوا فصاهروهم وهكذا انتقل الملك إلى أبناء جهيئة من بنات ملوك علوة حسبما يقتضى به نظام الوراثة المعروف عند النوبيين.

#### ب- العلاقات بين السودان والعرب فى عهد المماليك 651-922هـ - 1252-1517:

يرجع ظهور المماليك<sup>(33)</sup> فى العالم الاسلامى إلى ما قبل قيام دولتهم بأمد طويل وربما كان أول من استخدمهم هو الخليفة المأمون العباسى 198-218هـ - 813-833م إذ كان فى بلاطه بعض المماليك المعتوقين<sup>(34)</sup>. وقد كثر هؤلاء الأتراك منذ ولى المعتصم العباسى الخلافة (218-277هـ - 833-843م) إذ كانت أمه تركية فاعتمد على العنصر التركى واتخذ من الأتراك حرسا له واسند إليهم مناصب الدولة وذلك لعدم ثقته بالعرب<sup>(35)</sup>. اخذ مبدأ استخدام المماليك ولاية مصر الإسلامية من الطولونيين إلى الاخشيديين ثم الفاطميين.

عندما تسلم زمام السلطة فى مصر احمد بن طولون (254-270هـ - 868-884م) أكثر من استخدام السودانيين فى الجيش الطولونى<sup>(36)</sup> ويذكر المقرئى إن عددهم بلغت 40 ألف سودانى فاستوجب تعيين حاجب خاص لصرف جراياتهم<sup>(37)</sup>. كثرت أعداد المماليك فى مصر وإنفرادوا بالعزلة والترفع والغطرسة المملوكية التى أهاجت القبائل العربية فى صعيد مصر وخاصة عندما أتبع المماليك سياسة الإكثار من ذويهم<sup>(38)</sup> وإبعاد العرب الذين اجتمعوا بزعيم الجعافرة العرب الشريف حصن الدين

(32) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، ج5، ص429.

(33) كلمة ممالك ومفردها مملوك ويقصد بها الرقيق والمملوك هو عبد (على إبراهيم حسن - تاريخ المماليك البحرية، مصر القاهرة، 1944، ص 28 حاشية رقم 2).

(34) نفسه، نفس الصفحة.

(35) حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، مصر، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1964، ج3، ص126.

(36) تقى الدين احمد بن على المقرئى: مرجع سبق ذكره، ج1، ص94.

(37) نفسه: ص315، والجراية تعنى المرتبات أو المخصصات.

(38) على إبراهيم حسن: مرجع سبق ذكره، ص34.

ثعلب الذى صاح ضد المماليك (نحن أصحاب البلاد أحق من المماليك<sup>(39)</sup>) إلا أنه انهزم وقضى المماليك على العرب. وعبر منهم كثيرون إلى أراضى البجة وآخرون إلى أرض النوبة اهتم المماليك بساحل البحر الأحمر وخاصة عيذاب<sup>(40)</sup> فعينت الدولة المملوكية إلى جانب واليها الحدرى<sup>(41)</sup>. واليا مصرى وقاضيا كذلك<sup>(42)</sup> يختص هذا الوالى بتصديق الشئون التى تتعلق بما يصدره التجار من ثغور سواكن وعيذاب والقصير<sup>(43)</sup> اشتهرت عيذاب بالتجارة فحاول الصليبيون توجيه ضربات إليها بقطع طريق الحجاج المسلمين والقضاء على مركزها التجارى رغم فشل الحملة الصليبية بقيادة إرناط ضد الأماكن المقدسة الإسلامية فى الحجاز سنة 1182م فإن هذه الحملة حطمت ست عشر سفينة للمسلمين فى عيذاب<sup>(44)</sup> غير أن هذا الهجوم الصليبي لفت الأنظار إلى أهمية عيذاب فازداد اهتمام السلاطين والمماليك بها لسلامة البحر الأحمر من خطر الصليبيين تواصل اهتمام سلاطين المماليك بتجارة البحر الأحمر وهذا واضح من علاقاتهم بميناء سواكن مخرج تجارة ممالك النوبة المسيحية فى السودان. ففى عام 662هـ - 1264م احتج السلطان بيبرس إلى كل من صاحب سواكن وصاحب جزر دهلك<sup>(45)</sup> لتعرضتهما لأموال المتوفين من التجار المصريين<sup>(46)</sup> والراجح إن صاحب

(39) Yousf Fadl Hassan: The Arabs And The Sudan, Khatoum University Press, 1979 P100.

(40) عيذاب - بليدة على ضفة بحر القلزم (البحر الأحمر الآن) كانت من أشهر المراس تأتى إليها سفن اليمن والحبشة والهند وكانت فى الماضى طريق الحج المصرى تسير إليها الركاب عن طريق قبرس ثم يركبون البحر منها جدوة وكانت ذات شأن عظيم للحجاج ويبدأ منها طريق القوافل إلى أسوان وقوص. (تقى الدين احمد بن على المقرئى: الخطط ج1، ص202-203).

(41) الحدارة: هم الحضارمة من حضر موت جاءوا من بلاد العرب فى القرن السادس الميلادى وكانوا وثنيين ثم اعتنقوا المسيحية تشبها ببعض البجة وهاهم يعتنقون الإسلام فى القرن العاشر. Paul, A: Ah Isory Of The Beija. Tribes Of The Sudan, Cambrige 1954 P12

(42) مكى شبكية: مرجع سبق ذكره، ص 41.

(43) أبو العباس احمد القلقشندى: مرجع سبق ذكره، ج4، ص66.

(44) مصطفى محمد مسعد: الإسلام والنوبة، ص143.

(45) أكبر الجزر المعروفة بأرض بيل دهلك بالبحر الأحمر وموقعها قابلة مصوع (تقى الدين احمد بن على القرئى كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك "تشر الدكتور محمد مصطفى زيادة"، مصر، القاهرة، 1934 الجزء الأول القسم الثانى ص506 حاشية رقم1).

(46) المصدر السابق نفس الصفحة.

سواكن أهمل احتجاج السلطان المملوكى الذى جهز حملة لتأديب صاحب سواكن فى 664هـ - 1265م ومن نتائج هذه الحملة فرار صاحب سواكن واستقرار حامية مملوكية بها<sup>(47)</sup> وبالتالي فرض ضرائب باهظة لحساب الدولة المملوكية<sup>(48)</sup> وبهذا أصبح المنفذ البحرى لأقاليم النوبة المسيحية تحت سيطرة الدولة الإسلامية. وربما كان لسقوط سواكن فى يد المماليك معزى سياسى له أثرة على ممالك النوبة المسيحية أدى إلى قلق حكامها بعد عزلهم عن العالم الخارجى ولاسيما الإراضى المقدسة بفلسطين<sup>(49)</sup> وربما كان هذا دافع النوبيين للإغارة على أطراف مصر الجنوبية سنة 671هـ - 1272. ويضيف أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقى<sup>(50)</sup>: فى محرم من سنة إحدى وسبعين وستمائة وصل داؤود صاحب النوبة إلى عيذاب فنهب تجارها وقتل خلقا كثيرا من أهلها منهم الوالى والقاضى ثم أغار على مدينة أسوان وضرب عددا من السواقى واصر كثيرا منهم وسخرهم فى بناء كنيسة سوس (المسيح) بدنقلا.

غير انه قد يفهم من حركة داؤود العدائية آخر غير التخلص من السيطرة المملوكية على سواكن وهو خدمة المصالح الصليبية عامة ولاسيما بعد ان استولى السلطان بيبرس على كثير من البلاد الصليبية وهدم إمارة انطاكيا الوريثة للزعامة الصليبية بعد ذهاب بيت المقدس على يد صلاح الدين<sup>(51)</sup> غير هذا وذاك ربما كان الهدف الاساسى فى اعتقادى هو الإحساس الدينى المشترك بين الصليبيين ومملكة النوبة المسيحية وقد ورد فى بعض المراجع ان مسيحيى النوبة كانوا يحجون إلى بيت المقدس منذ القرن العاشر حتى القرن الثالث عشر الميلادى وبلغ من كثرة ترددهم على بيت المقدس ان احد الأماكن المقدسة بها عرف باسمهم وظل يحمل اسمهم حتى القرن

(47) المصدر السابق، ص 550.

(48) Crow Foot, J.W: "Christian Nubia" J. E. A, Xiii 1927, Pp. 148-149

(49) أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى (ت774هـ - 1373م) البداية والنهاية، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية 1408هـ - 1988م، ج13، ص278.

(50) أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى، مرجع سبق ذكره، ص 278.

(51) مصطفى محمد مسعد: الإسلام والنوبة، ص 145.



الخامس عشر الميلادى<sup>(52)</sup> ربما يكون هناك سبب آخر لحركة داؤود ضد عيذاب وأسوان وهو تعاط النوبيين مع أقباط مصر فى حوادث الاتهام التى تعرضوا لها فى عهد السلطان بيبرس لاتهامهم بحرق بعض إحياء القاهرة سنة (663هـ - 1264م)<sup>(53)</sup> ولربما إن هدف حملة داؤود هو استيلاء المماليك على مدينة سواكن وهو سبب اقتصادى سياسى.

### — معاهدة النوبة :

استمرت العلاقات سيئة بين المماليك والنوبة فى (667هـ - 1268م) نشب خلاف بين أمراء النوبة حول الملك بعد إن أصيب ملكها بالعمى<sup>(54)</sup> وأصبح العرش موضوع خلاف بين شكندة وخاله داؤود الذى تولى الملك والمعروف إن بلاد النوبة منذ القرن الحادى عشر الميلادى انتقل الملك منها إلى ابن الأخت<sup>(55)</sup> وثبت مبدأ الوراثة على هذا النحو واضحي ركنا من أركان سياستهم التى ساروا عليها لذا تمسك داؤود بها ونفى شكندة إلى منطقة الأبواب<sup>(56)</sup>.

قدم كشندة إلى القاهرة مطالبا بعرش مقره ومتظما من خاله داؤود الذى انتزع الملك منه فصادفت تلك الاستغاثة هوى فى نس بيبرس الذى كان غاضبا على داؤود جرد جيشا بقيادة الأميرين شمس الدين اقسنقر الفارقانى الاستادار وعز الدين إيبك الافرم أمير جاندار<sup>(57)</sup> وضمت الجملة ثلاثمائة فارس وأجناد الولايات وعددا من الرماة ورجال الحراريق والزردخان واشترك فيها عربان الوجه القبلى<sup>(58)</sup> وتوغل جيش المماليك فى بلاد النوبة وخرج النوبيون إلى لقائهم على النجب. (الإبل) فى ملابس

<sup>(52)</sup> Crow Foot, J.W.: Op. Cit. P.P 148-149.

<sup>(53)</sup> تقي الدين احمد بن على المقرئى: المواعظ والاعتبار. ج3، ص8.

<sup>(54)</sup> Yousf Fadl Hassan: Op cit P. 106.

<sup>(55)</sup> مصطفى محمد مسعد: الإسلام والنوبة، ص 84.

<sup>(56)</sup> Yusuf Fadl Hassan Op. Cit, P 106.

<sup>(57)</sup> أبو العباس احمد القلقشندى، مرجع سبق ذكره ج5، ص 277.

<sup>(58)</sup> أبو العباس احمد القلقشندى، مرجع سبق ذكره ج5، ص 277.

سود يطلقون عليها اسم الدكاديك<sup>(59)</sup> ربما علم النوبيون بمدى قوة جيش المماليك وعدم قدرتهم على مواجهته لذا لبسوا السواد الذي ربما يعنى عدم الرضا وربما هو استسلام للواقع إلا أنهم قاتلوا الجيش المملوكى قتالا انتهى بهزيمة النوبيين واستولى الافرم على قلعة الدر وقفل وسبى وزحف الفرقانى حتى وصل إلى جزائر ميكائيل قرب الشلال الثانى ونجح فى اختراق الجنادل بمراكبة وفر النوبيون إلى الجزر وتسلم شكندره هذه الفتوحات<sup>(60)</sup> ثم سارت الحملة فى بلاد النوبة فلقبهم الملك داؤود الذى هزم واسر كل من أخاه وأخته وأمة وفر داؤود إلى منطقة الأبواب<sup>(61)</sup>.

يذكر أبو الفداء احمد بن كثير الدمشقى<sup>(62)</sup> إن الجيش وصل دنقلا وكسر جيش السودان وقتلوا منهم خلقا كثيرا واسروا شيئا كثيرا بحيث بيع الرقيق الرأس منها بثلاثة دراهم.

ويلق الميرزى<sup>(63)</sup> على هذه الحملة بقوله انه "فضل بعد القتل والبيع عشرة" ألف نفس" وإذا صح هذا العدد يدل على مدى ما تعرضت له بلاد النوبة من نقص فى الرجال والأموال نتيجة هذه الحملة.

اعتقد إن هذه الحملة لها طابع خاص يميزها عن مثيلاتها من الحملات؛ لأنها تعتبر فتحا حقيقيا لبلاد النوبة بالإضافة إلى أنها وضعت الأسس الجديدة للعلاقات بين البلدين بدليل تلك الشروط التى قطعها شكندة على نفسه للسلطة المملوكية<sup>(64)</sup> ومن هذه الشروط:

1- إن الملك شكندة أصبح تابعا للسلطان المملوكى ونائبا عنه فى حكم بلاد النوبة.

<sup>(59)</sup> تقى الدين احمد الميرزى، مرجع سبق ذكره، ج 1، ص 202.

<sup>(60)</sup> نفسه، نفس الصفحة.

<sup>(61)</sup> نفسه، نفس الصفحة.

<sup>(62)</sup> البداية والنهاية، مرجع سبق ذكره، ج 13، ص 278.

<sup>(63)</sup> تقى الدين احمد الميرزى، السلوك، ج 1، القسم الثانى، ص 623.

<sup>(64)</sup> Yousf Fadl Hassan: Opci P. 109-110.

2- إن يرسل ملك النوبة نصف ما يجمعه من بلاد النوبة للسلطان المملوكي ويصرف النصف الآخر على الدفاع عن المملكة بالإضافة إلى هدايا تشمل ثلاثة زرافات وثلاث ليلة وخمسة فهود إناث ومائة جمل أصهب وأربعمئة ثور مختار.

3- يسلم ملك النوبة كل ما كان يملكه داؤود للسلطان ومن قتل من عساكر المماليك في تلك الحملة.

4- خبر السلطان ملك النوبة بين اعتناق الإسلام أو الموت أو دفع الجزية فوافق ملك النوبة على دفع الجزية وهي إن يدفع كل فرد بالغ ديناراً للسلطان ما بقى على النصرانية.

5- إن تكون منطقة المريس ملكا للسلطان.

6- إلا يترك شكندة أحدا من العربان في بلاد النوبة ومن وجده يسلمه للسلطان.

7- إن يطلع ملك النوبة السلطان المملوكي بكل ما يصل إليه من إخبار. وكتب نسخة يمين بذلك حل عليها الملك شكندة ونسخة أخرى حلفت عليها الرعية تعهدوا ليها بالطاعة لملك النوبة<sup>(65)</sup>.

رغم إن هذه الشروط لا تشير إلى اتفاقية البقطة لكنها كانت ضمنا وهو عبارة عن أربعمئة رأس من الرقيق وزرافة في كل سنة وثلاثمئة وستون رأسا للخليفة ولنائبه بمصر أربعون رأسا<sup>(66)</sup>.

ويقال إن هذه الحملة خربت كنيسة سوس (المسيح) بدنقلا وأخذت ما فيها من أدوات ذهبية وفضية<sup>(67)</sup> وغادرت الحملة دنقلا في 15 ذى الحجة سنة 674هـ -

<sup>(65)</sup> مصطفى محمد مسعد: الإسلام، ص 151.

<sup>(66)</sup> نعوم شقير: مرجع سبق ذكره، ص 358.

<sup>(67)</sup> Yousf Fadl Hassan: Opci P. 111. ويذكر يوسف فضل إن من أهم ما نهب من كنيسة دنقلا كان الصليب الذهبي الذي تقدر قيمته - ب 4640.5 دينار.



1276م إلى القاهرة مصطحبة معها عشرين أميراً نوبياً<sup>(68)</sup> بعضهم له أحقية في العرش بحكم الوراثة النوبية هؤلاء اقتيدوا كرهائن من القاهرة يستفاد منهم كبديل للملك شكندا إن حاد عن شروط المعاهدة ربما كان قصدهم هو ضمان وفاء الذوبيين بالتزاماتهم تجاه ممالكك بشروط المعاهدة. وتذكر بعض المراجع إن عدد الأسرى في هذه الحملة بلغ عشرة آلاف شخص بين رجل وامرأة بيعت في أسواق النخاسة بالقاهرة بثلاثة دراهم للرأس<sup>(69)</sup> لم تكن أهمية هذه الحملة قاصرة على المقررة فقط بل تعدتها جنوباً إلى الأبواب حيث أثارت مخاوف ملكها أدور الذي اقتنع بقوة الممالك وقبض على الملك داوود وأرسله مقيداً إلى القاهرة حيث اعتقل بالقلعة حتى مات<sup>(70)</sup>.

يبدو إن المساعدة التي قدمها السلطان بيبرس لشكندا باعتلاء عرش النوبة بالإضافة إلى المعاهدة التي عقدت بينهم في اعتقادي لم تكن كافية لجعل النوبة تخضع للممالك في مصر إذ أنه بمجرد إن يتولى أحد أمراء النوبة الشرعيون الحكم يقلب ظهر المجن إلى من أزره ويسعه إلى الاستقلال وهذا ما حدث من شكندا ولكن بيبرس اتخذ الحيلة بإرساله الفدائي سلامة لمراقبة ملك النوبة ويقال إن سلامة اصطحب معه فدائياً آخر وظل الاثنان يعملان عيوباً للسلطان بيبرس<sup>(71)</sup> ربما كان هدف بيبرس من إرسال سلامة هو اغتيال الملك شكنده إن تجاهل بنود المعاهدة ولكن سلامة لم يبق طويلاً حيث ترك النوبة وعاد إلى مصر، يبدو إن سلامة رفض العمل كجاسوس في وطنه ومع أبناء جلدته لذا عاد إلى مصر وبقي الفدائي الآخر الذي تسلسل إلى قلب الملك وأصبح حارسه الخاص وما إن تبين للممالك إن شكنده حاد عن سياستهم أو عزوا إلى الفدائي ففعل ومات شكنده قتيلاً (695هـ - 1277م). واعتلى عرش النوبة

<sup>(68)</sup> Yousf Fadl Hassan: Opci P. 111.

<sup>(69)</sup> Yousf Fadl Hassan: Opci P. 111.

<sup>(70)</sup> أبو العباس أحمد القلقشندي: مرجع سبق ذكره، ج5، ص277.

<sup>(71)</sup> مخطوطة تاريخ قلاوون: تشریف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور، ج2، ص9، 3، 10ب.

ويقال إن سلامة هذا كان أصلاً من الأبواب أي أنه نوبى وربما اختاره بيبرس لخبرته

بأحوال البلاد. Yousf Fadl Hassan: Op. Cit, 111.

الأمير برك<sup>(72)</sup> غير إن الطريقة التى وصل بها إلى الحكم عقب مقتل شكنده جعلت السلطان قلاوون الذى اعتلى عرش السلطنة المملوكية 1279م لا يطمئن إليه<sup>(73)</sup>.

ربما يكون هذا الملك حاول التخلص من السياسة المملوكية فتحرك السلطان قلاوون ضده بإرسال حملة إلى بلاد النوبة بقيادة الأمير سنجر المسرورى الذى نجح فى قتل الملك برك وخلفه على بلاد النوبة الأمير سامون<sup>(74)</sup> الذى توترت علاقات المماليك معه ولم تذكر كتب المؤرخين شيئاً عن أسباب هذا التوتر فى تلك الآونة ولكن ربما يعزى ذلك إلى شروط الاتفاقية الأخيرة التى تنص على إن يدفع كل نوبى ديناراً فى وقت كان يصنع على النوبى إن يدفع مل هذا المبلغ عينا لشطف العيش ولذلك فإنه منذ إن طبقت هذه المعاهدة كثرت ثورات ملوك النوبة على المماليك.

اقتنع ملوك علوه بقوة النفوذ المملوكى فأرسلوا الوفود محملة بالهدايا إلى السلطان قلاوون يشكون إليه من معاملة الملك سامون لهم وفى ذلك يقول صاحب المخطوطة<sup>(75)</sup> أن تواتراً حدث فى علاقات سامون ملك دنقلا وأدور ملك الأبواب فأرسل أدور وفودة إلى المماليك محملة بالهدايا التى تضم فيله (أفيال) وزرافه معلناً ولاءه وشاكياً سامون وعلم سامون بذلك فأرسل وفوده كذلك محملة بالهدايا للسلطان. مقدارها مائه وتسعون عبداً ومائتين بقرة.

اعتقد إن الهدف من هذا التودد هو رغبة سامون فى إبعاد الخطر المملوكى من بلاده مع التأكيد بأنه لن يحيد عن ولاءه للسلطان المملوكى بمصر.

<sup>(72)</sup> Yousf Fadl Hassan: Op. Cit, 112.

<sup>(73)</sup> مصطفى محمد مسعد: الإسلام، ص 152-153.

<sup>(74)</sup> مخطوطة تاريخ قلاوون: ج 2، ص 310.

<sup>(75)</sup> نفسه: ص 290 ب.

وبالرغم من هذه الهدايا التي قدمت ومظاهر الولاء التي ساقها الملك سامون إلى السلطان المنصور قلاوون فإن هذا السلطان لم يكن راضياً عن نشاطات الملك سامون وكيفما كان الأمر يبدو إن السلطان قلاوون استمع إلى الوفود ولم يقتنع بشكواها وحججها فأراد أن يتحقق فأرسل من القاهرة رسولا إلى كل من المملكتين فاختر سنجر المقدومي إلى ملك الأبواب الذي اصطحب معه سفراء من الأبواب وسلخوا جميعا طريق البحر الأحمر خشية إن يتعرض لهم ملك النوبة إذا هم ذهبوا جنوبا بطريق النيل واختار السلطان قلاوون علم الدين الحصني رسولا إلى ملك دنقلا<sup>(76)</sup>.

يبدو إن السلطان قلاوون اقتنع بأن سامون هو المعتدى ويؤكد ذلك ما ورد في مخطوطة تاريخ قلاوون<sup>(77)</sup> أيضا التي تذكر إن الأمير سنجر إثناء عودته إلى مصر قبض عليه ملك الأبواب سامون وأراد قتله غير إن رعاياه ثاروا عليه خوفا من السلطان قلاوون قائلين: "أتريد إن يكون سببا في خراب ديارنا وإحلال المصائب بنا" ربما يكون ذلك اقنع السلطان قلاوون بتمرد سامون ورغبته في الخروج عليه والراجح انه أراد التخلص من التبعية وكما هو معروف فما من ملك يمكن إن يقبل وصاية دولة أخرى على بلاده بأي حال من الأحوال ولئن سعى بعض ملوك النوبة إلى المماليك للمساعدة فقط وليس في الاستيلاء على العرش فلم يكن ذلك لكى يصبح المماليك السادة الذين يقررون الملك الذي ينتهجه النوبة وتمشياً مع هذا المبدأ فإن ملوك النوبة كانوا يتمردون على المماليك بمجرد تتويجهم.

استقر رأى قلاوون على إن يرسل حملة عسكرية أخرى لاستبدال الملك بملك آخر أكثر خضوعا ويؤيد هذا ما ذكره بن خلدون قائلاً: (أرسل قلاوون العساكر إلى النوبة مع علم الدين سنجر الخياط وعز الدين الكوراني وسار معهم نائب قوص عز الدين أيدمر السيفي وأولاد أبي بكر وعمر وشريف وهلال وشيبان<sup>(78)</sup> وقبائل أخرى.

<sup>(76)</sup> مصطفى محمد مسعد: الإسلام، ص 154.

<sup>(77)</sup> مخطوطة تاريخ قلاوون: ج2، ص310 أ.

<sup>(78)</sup> عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مرجع سبق ذكره، ج5، ص401.



تحركت الحملة من القاهرة وقوص في 6 ذى الحجة (686). 6 يناير 1288م وانقسم الجيش إلى قسمين سار قسم منهم من الناحية الغربية للنيل بقيادة علم الدين سنجر وسار القسم الآخر بقيادة عز الدين أيدير من الناحية الشرقية للنيل<sup>(79)</sup> متقدماً نحو دنقلا وأرسل سامون إلى نائبه جريس صاحب الجبل يأمره بالتراجع بجنوده إلى دنقلا ربما قرر ذلك لمواجهة الجيش المملوكى فى دنقلا بعد إن يكون قد انهكه السير الطويل وما إن ظهر الجيش المملوكى حتى خرج له سامون ودارت المعركة وانتهت بهزيمة النوبيين وفرار سامون<sup>(80)</sup> استمر الجيش المملوكى يطارد النوبة خمسة عشر يوماً استطاع خلالها إن يأسر جريس صاحب الجبل وابن خالة الملك<sup>(81)</sup> وأضح من مجريات الأمور فى علاقات المماليك بالنوبة إن هؤلاء الملوك كانوا يرضون السايده المملوكية على أراضيههم ويقاومونها بمجرد اعتلاتهم العرش.

والمؤيدون لسامون انفصلوا عنه وحتى القساوسة طلبوا الأمان من أيدير وعادوا مع الجيش المملوكى إلى دنقلا<sup>(82)</sup>.

حسب الدستور النوبى جرى تعيين ابن أخت الملك سامون وأفرج عن جريس وأعيد إلى منصبه<sup>(83)</sup>. وتعهد الملك الجديد بدفع البقط القديم والجزية بدليل ما ذكره أبو العباس احمد القلقشندى إن نسخة يمين أخذت على ملك النوبة الجديد عند تعيينه نائباً على السلطان قلاوون فى حكم بلاد النوبة ورأى قلاوون إن يبقى أيدير وهو صاحب الفضل فى انتصار جيش المماليك ليكون أميراً مملوكياً مقيماً بجانب الملك النوبى الجديد وعاد الأمير علم الدين ببقية الحملة المملوكية إلى القاهرة<sup>(84)</sup>.

<sup>(79)</sup> نفسه: نفس الصفحة.

<sup>(80)</sup> مصطفى محمد مسعد، الإسلام، ص 155.

<sup>(81)</sup> Yousf Fadl Hassan Op. Cit, P113.

<sup>(82)</sup> تقى الدين احمد بن على المقرئى: السلوك، ج 1، القسم الثالث، ص 752.

<sup>(83)</sup> تقى الدين احمد بن على المقرئى: السلوك، ج 1، القسم الثالث، ص 737.

<sup>(84)</sup> أبو العباس احمد القلقشندى، مرجع سبق ذكره، ص 65.

ما إن غادر الجيش المملوكى دنقلا ظهر سمamon مرء حرى وخاول استرجاع ملكه فخشى منه الملك الجديد وجريس وفرا إلى مصر مستحدين بالسلطان الذى اعد حملة ضخمة لإخضاع سمamon بلغت عدتها أربعين ألفا واشترك فيها عربان الوجهين القبلى والبحرى بقيادة عز الدين أيدمر والى قوص وبعثوا المراكب فى البحر بالاذوده والسلاح وتحركت الحملة قاصدة دنقلا وعند وصولهم أسوان مات الملك ودفن بها<sup>(85)</sup> فعين السلطان قلاوون بدله احد أمراء النوبة الموجودين بالقاهرة وهو ابن أخت الملك داوود<sup>(86)</sup> اشترك مع هذه الحملة إعداد كبيرة من القبائل العربية كانوا يبحثون عن ملجأ لهم من الاضطهاد المملوكى فى مصر<sup>(87)</sup>. اتبع الجيش نفس الخطة التى سار عليها جيش الحملة السابقة فانقسم إلى قسمين سار أيدمر والى قوص فى نصف العسكر فى البر الشرقى على حين سار الافرم على رأس النصف الآخر فى البر الغربى وتعاون بنو الكنز تعاوناً صادقاً مع الحملة المملوكية لتأمين أهل البلاد وتجهيز الإقامات وتقدموا الجيش بصحبة جريس<sup>(88)</sup>.

بدأ التعاون واضحاً فى مناطق نفوذ جريس حيث خرج المشايخ للقاء الحملة وإعلان ولائهم إما المناطق التى ليس لجريس حكم عليها هجرها أهلها حتى سمamon تركها ويؤيد ذلك عبد الرحمن بن محمد بن خلدون<sup>(89)</sup> قائلاً: إن سمamon هرب واختبأ بجزيرة وسط النيل تبعد خمسة عشر يوماً من دنقلا وتعذر وصول المراكب إلى الجزيرة من كثرة الحجر. ويرى يوسف فضل إن هذه الجزيرة هى جزيرة مقرات<sup>(90)</sup>.

احتفل المماليك بهذا النصر فى دنقلا والبسوا الملك تاج الملك بعد إن حلف على الولاء للسلطان ودفع الالتزامات المقررة وعسكرت بدنقلا طائفة من العسكر السلطانى

<sup>(85)</sup> عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مرجع سبق ذكره، ج5، ص401.

<sup>(86)</sup> المصدر السابق، ج5، ص400.

<sup>(87)</sup> Yousf Fadl Hassan Op. Cit, P114.

<sup>(88)</sup> مصطفى محمد مسعد: الإسلام، ص157.

<sup>(89)</sup> عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مرجع سبق ذكره، ج5، ص400.

<sup>(90)</sup> Yousf Fadl Hassan Op. Cit, P114.

برئاسة بيبرس مملوك الأمير عز الدين والى قوص<sup>(91)</sup> ثم رجعت الحملة إلى القاهرة بعد تثبت السياسة المملوكية فى بلاد النوبة ولكن كعادته ظهر سامون مرة أخرى وقبض على الأمير بيبرس العربى وأرسله إلى القاهرة وقبض على الملك الجديد بواد ما وجريس وقتلهما<sup>(92)</sup> وبلته سياسية بارعة أرسل سامون رسالة إلى السلطان يسأله العفو ويتعهد بحسن السبر والسلوك ودفع الالتزامات المالية ومع الرسالة عدد من العبيد والهدايا<sup>(93)</sup>. رضى السلطان قلاوون وأقره على ما بيده فى بلاد النوبة<sup>(94)</sup> ويبدو إن السلطان أدرك قوة سامون ولا يود تجهيز حملة أخرى لأنه كان يستعد لإزالة آخر معقل للصليبيين فى عكا<sup>(95)</sup> ولكن سامون كعادته المعهودة امتنع عن إرسال البقط فور سماعه بوفاة قلاوون واثّر الدبلوماسية على التمرد الواضح وهو معروف بالمكر والدهاء وسعة الحيلة<sup>(96)</sup> بعث سامون برسالة إلى خليل بن السلطان قلاوون فى (689-693هـ - 1290-1293م) يتعذر فيها عن تأخير البقط غيز إن خليل رفض قبول عذره واندره بعواقب الأمور كعادة الحكام المماليك تجاه سامون قرر خليل إرسال حملة لعزل سامون والقبض على أمير نوبى آخر يدعى أنى<sup>(97)</sup> فجرد خليل حملة بقيادة عز الدين الافرم الذى توغل جنوب دنقلا مسيرة ثلاثة وثلاثين يوما إلا إن أنى هرب إلى بلاد الانج ولم يمنع المسلمين من المسير خلفه إلا قله الماء لان الطريق صحراوى<sup>(98)</sup>.

إما سامون فلا يعرف عنه شئ ربما مات أو قتل<sup>(99)</sup> وعاد الافرم إلى دنقلا بالغنائم والأسلاب واصر عددا كبيرا من السكان والجدير بالذكر إن هؤلاء الأسرى

(91) تقي الدين احمد بن على المقرئى: السلوك، ج1، القسم الثالث، ص752.

(92) نفسه: ص753.

(93) نفسه، نفس الصفحة.

(94) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مرجع سبق ذكره، ج5، ص400.

(95) مكى شبيكة: السودان عبر القرون، ص47.

(96) تقي الدين احمد بن على المقرئى: السلوك ج1، القسم الثالث، ص737.

(97) مخطوطة قلاوون، ج2، ص310 (يبدو إن هذا الأمر كان تابعا لسامون وخرج عن السلطان)  
(98) Mac Michael, H, A, :Op.Ci.P.185.

(99) مصطفى محمد مسعد، الإسلام، ص161.



كانوا يوزعون كهدايا لأمرء المماليك حتى إذا اكتفى الجميع منهم بيع الباقون في الأسواق بأثمان زهيدة<sup>(100)</sup> في اعتقادى إن بلاد النوبة لا تشكل ذلك الخطر العظيم الذى يستحق هذه الحملات المتكررة عليها وإن أسلحتهم لا تقارن بأسلحة المماليك المتطورة كما إن الجندى المملوكى كان له عتاده الحربى ودروعه التى لا يستهان بها وكان أبناء رماة الحدق فى عصر المسلمين الأوائل قد نسو ضرب السهام كما إن عدد رجالهم لم يكن بالكثرة التى تمكنها من مواجهة الجيش المملوكى والعربان معاً، واعتقد إن هؤلاء العرب الذين كانوا فى معية هذه الحملات كانوا يبحثون عن متنفس لهم فى أراضى النوبة هرباً من النير المملوكى. وكيفما كان الأمر فقد أرسل السلطان خليل أميراً نوبياً يدعى بدمه وتم تنصيبه ملكاً فى دنقلا وحلف يمين الولاء والطاعة للسلطان وحلف رعاياه بالولاء للملك الجديد على أساس ولائه للسلطان قائلين لو لا مولانا السلطان ما أطعناك ومتى تغيرت أمسكناك ونحن نرضى إن يقيم مولانا السلطان فلاحاً أو جبلياً فبلاد النوبة ما لها ملك إلا مولانا السلطان ونحن رعيته<sup>(101)</sup>.

يبدو إن هذه الحملة عملت على تطهير بلاد النوبة من العناصر الخارجة وثبتت السيادة المملوكية عليها بالإضافة إلى الغنائم والأسرى ويذكر صاحب المخطوطة إن هذه الحملات المتكررة زادت من اضطراب الأحوال فى بلاد النوبة حتى إن كثير من النوبيين هجروا بلادهم بعد تخريب دورهم بالإضافة إلى إلقاء الرعب فى قلوب جيرانهم<sup>(102)</sup>.

استمرت السيادة المملوكية على بلاد النوبة حتى فى الحالات التى لم يكن للدولة المملوكية قدرة كافية والدليل على ذلك استمرارية السيادة فى عهد الناصر محمد بن قلاوون الذى تولى عرش مصر وهو طفل لا يتجاوز العاشرة<sup>(103)</sup> رغم إن الناصر تولى السلطة فى وقت كانت البلاد تعج بالفوضى بعد مقتل أخيه السلطان خليل واختفاء

(100) مخطوطة تاريخ قلاوون: ص 308-309.

(101) نفسها: ص 308-309.

(102) نفسها، ص 311.

(103) على إبراهيم حسن: مرجع سبق ذكره، ص 65.

كبار الأمراء كان يحيط به الأمير علم الدين الشجاعى وزيراً له والأمير علم الدين سنجر وزيراً له وهذا يوضح إن السلطة كانت بيد هذه الفئة الراغبة فى العرش ومما لاشك فيه إن اختلاف الطامعين فى الأسرة المالكة النوبية ولجؤهم إلى المماليك ساعد فى استمرارية السيادة على النوبة.

تواصلت التبعية المملوكية على بلاد النوبة فى (704هـ - 1304م) عندما ذهب امای ملك النوبة<sup>(104)</sup> إلى القاهرة طالبا المساعدة فأمده السلطان بعدد من الجنود المماليك بقيادة طقصبا والى قوس واشترك فيها العربان وأمضت هذه الحملة تسعة عشر شهراً خلال سنتى (706-707 - 1306-1307م).

يبدو إن هذه الحملة أعدت للقضاء على كل الخارجين عن السلطة المملوكية لأنها بدأت بتأديب العربان الذين قطعوا الطريق ببرية عذاب ومنها إلى سواكن وتذكر المراجع إن هؤلاء العربان كانوا ينهبون ما يجدونه من أغنام وماشية ووصلوا إلى حد بلاد التاكا حتى خشى ملك الأبواب منهم فأرسل لهم مائتى رأس من البقر والأغنام وكمية من الذرة ثم توجهوا إلى دنقلا ومنها إلى قوص<sup>(105)</sup> ومات امای قتيلا سنة 711هـ - 1311م وخلفه أخاه كرنبس على العرش فحاول إظهار ولاءه للمماليك لذا ذهب إلى القاهرة حاملا الجزية والبقط التى كانت مقررة على بلاده.

بعد إن ثبت كرنبس نفوذه كغيرة من حكام النوبة الذين سبقوه حاول التخلص من التبعية المملوكية فامتنع عن دفع الجزية 715هـ - 1315 وأثار بذلك سخط السلطان الناصر قلاوون الذى بلغ سنا تؤهله لمواجهة أعدائه فأرسل حملة فى 715هـ - 1315م إلى بلاد النوبة بقيادة الأمير عبد الله نشلى الذى اسلم فحسن إسلامه وأجرى عليه السلطان محمد بن قلاوون رزقا<sup>(106)</sup>.

<sup>(104)</sup> تقى الدين احمد بن على المقرئى: السلوك، ج2 القسم الأول، ص7 ويسميه القلقشندى، ج5، ص277 امای إما ابن خلدون العبر ج5، ص429 يطلق عليه اى.

<sup>(105)</sup> مكى شبيكة: السودان عبر القرون، ص49.

<sup>(106)</sup> أبو العباس احمد القلقشندى: مرجع سبق ذكره، ج5، ص277.

اعتقد إن هذا الأمير اعتنق الإسلام في مصر خلال إقامته فيها ولم يعد بينه وبين المسيحية أى ارتباط أو ولاء.

إن السياسة التى انتهجها المماليك فى تعيين حاكم مسلم على بلاد النوبة تعتبر بداية النهاية فى تاريخ هذه البلاد وهى احد العوامل الحاسمة فى سقوط مملكة النوبة المسيحية. وزوالها فبمجرد توليه عبد الله الملك ظهر بنو الكنز وكانوا قد صاهروا النوبة وتزوجوا من نبات ملوكها إذا ادعى أميرهم كنز الدولة بأحقية فى الملك بعد خاله كرنبس حسب نظام الوراثة المعروف عند النوبيين ويذكر النويرى إن كرنبس ملك النوبة عندما علم برغبة السلطان فى تعيين حاكم مسلم على بلاد النوبة أرسل ابن أخته. كنز الدولة إلى الأبواب السلطانية وسأله شموله بالإنعام السلطانى فى توليته الملك قائلاً إذا كان قصد مولانا السلطان إن يولى البلاد لمسلم فهذا مسلم وهو ابن أختى والملك ينتقل إليه بعدى. اعتقد إن كرنبس خشى على عرشه من المماليك ومن عبدالله نشلى (برشمبو) فأرسل ابن أخته الأمير كنز الدولة وهو من أمراء النوبة من جهة أمه وعربى مسلم من جهة أبيه من قبيلة ربيعة العدنانية وأمة شقيقة الملك كرنبس لذا كان من الأمراء الذين يحق لهم المطالبة بعرش النوبة لذا احتج به الملك كرنبس لكن السلطان الناصر رفض العرض وزج به فى السجن واعد حملة سنة 716هـ - 1316م بقيادة الأمير أيبك جهاركى لتأييد عبدالله برشمبو وتعيينه ملكاً على بلاد النوبة، خاف كرنبس من مغبة عصيان السلطان واستقر رأيه على إن ينزح جنوباً إلى الأبواب ولكن ملك الأبواب لم يشأ إن يدخل فى صراع مع المماليك لذلك قبض على كرنبس وسلمه إلى القائد المملوكى الذى حملة إلى القاهرة وهكذا تولى عبدالله نشلى (برشمبو) حكم بلاد النوبة ويعتبر أول حاكم نوبى مسلم إلا انه انتهج سلوكاً لم يقبله النوبة إذ إن نشأته المملوكية فى مصر أفسدت طباعه وجعلته يتعالى على أهله فكرهوه لذلك ولما رأوا فيه شموخ المماليك وتعاليمهم ثاروا عليه ويذكر مصطفى محمد مسعد نقلاً عن النويرى إن عبدالله غير قواعد البلاد وتعاطى نوعاً من الكبر ولم تجر عليه عادة ملك النوبة



بمثلة وعامل أهل البلاد بغلظة وشدة كرهوا ولايته<sup>(107)</sup> وفى سنة 717هـ - 1317م أفرج عن كنز الدولة<sup>(108)</sup> فألّف حوله النوبيون ونادوا به ملكاً والدليل قول النويرى "أنهم حيّوه تحية الملك وهى قولهم موشاى موشاى، فهذه لفظة لا يخاطب بها غير الملوك<sup>(109)</sup> اعتقد إن مساندة النوبيين لكنز الدولة شجعتة على محاولة الوصول إلى الملك فحارب نشلى (برشمبو) حتى قتله وتولى كنز الدولة عرش النوبة.

تذكر بعض المراجع إن كنز الدولة لم يضع تاج الملك على رأسه رعاية لحق أخواله وتعظيمهم<sup>(110)</sup>.

ربما كان يشعر كنز الدولة إن خاله الأمير أبرام أحق منه بالملك لأن أبرام كان نزيل السجن فى القاهرة وقد قرر كنز الدولة إن يحكم حتى يجئ خاله لاستلام العرش فى يوم من الأيام. رفض السلطان الناصر الاعتراف بكنز الدولة ربما لشعوره إن كنز الدولة له القدرة على إقامة دولة قوية وبالتالي سيؤدى ذلك إلى إضعاف نفوذ المماليك ولذا دخل فى مؤامرة مع الأمير أبرام خال كنز الدولة<sup>(111)</sup> وما أن وصل أبرام إلى دنقلا خرج إليه كنز الدولة وسلم له الملك وصار فى خدمته<sup>(112)</sup>.

وما إن استقر المقام بالملك أبرام فى دنقلا حتى ألقى القبض على ابن أخته كنز الدولة ليفى بعهده للسلطان المملوكى.

<sup>(107)</sup> مصطفى محمد مسعد: المكتبة السودانية العربية، السودان، الخرطوم، مطبوعات جامعة القاهرة، 1972 ص 167.

<sup>(108)</sup> تقى الدين احمد بن على المقرئى: السلوك، ج 2، القسم الأول، ص 161.

<sup>(109)</sup> مصطفى محمد مسعد، المكتبة السودانية، ص 167.

<sup>(110)</sup> المصدر السابق، ص 168 ويعلق مصطفى محمد مسعد عن سبب امتناع كنز الدولة عن وضع التاج على رأسه هو إن التاج يحمل علامة الصليب وهذا لا يتفق وعقيدة كنز الدولة الإسلامية لكننى اعتقد إن السبب هو حق أخواله لأنه بعد إن غدر به خاله أبرام لبس نفس التاج. (تقى الدين احمد بن على المقرئى: السلوك، ج 2، القسم الأول ص 161).

<sup>(111)</sup> مصطفى محمد مسعد، المكتبة السودانية، ص 168.

<sup>(112)</sup> تقى الدين احمد بن على المقرئى: السلوك، ج 2 القسم الأول، ص 161.

وسارت الأمور في مصلحة كنز الدولة إذ إن خاله لم يعيش أكثر من ثلاثة أيام<sup>(113)</sup> وبعدها أفرج النوبة عن كنز الدولة ونصبوه ملكاً على البلاد ولبس تاج الملك في 717هـ - 1317م<sup>(114)</sup> لم يقتنع السلطان الناصر بكنز الدولة حاكماً على النوبة أو ربما أراد إن يفى بوعده الذي قطعه مع أبرام بتنصيب كرنبس ملكاً على النوبة إذا ما قبض على كنز الدولة لذا أرسل حملة في 723هـ - 1323م بقيادة علاء الدين لخلع كنز الدولة وإعادة كرنبس ولكن كنز الدولة ما إن علم بهذه الحملة حتى هرب من دنقلا<sup>(115)</sup>.

يبدو جلياً إن السلطان المملوكي كان يخاف من استعراب ملوك النوبة أكثر من مسيحتهم لأنه كان على ما يظهر يرى في ذلك خطراً عربياً يحدق بالمماليك في مصر وربما كان هذا الخطر اعنف من الخطر النوبي القابع في بلاد النوبة لأنه المماليك كانوا يخشون على أنفسهم من العرب إذ ما قامت لهم قائمة سواء أكان هذا في مصر أو في بلاد النوبة ولهذا تعمقت عداوة المماليك للعرب الذين كانوا أصحاب الحق في مصر بعد فتحها ومر بنا كيف سلب المماليك العرب نفوذهم ومدى معاناتهم في مصر ثم اضطهادهم وطردهم وملاحقتهم حتى بلاد النوبة. لم يشأ كنز الدولة إن يلتحم مع الجيش المملوكي في معركة بل سار جنوباً يبدو أنه كان في منعة من النوبة وعرب ربيعة لأن أيدي المماليك لم تستطيع الوصول إليه كما إن يد ملك الأبواب لم تمتد إليه ولم يشأ الجيش المملوكي في مطاردته فعاد أدراجه إلى مصر وسار كنز الدولة خلفهم حتى غادروا مملكة النوبة واطل بجماعته على دنقلا وحارب كرنبس وملك منه البلاد<sup>(116)</sup>.

(113) مصطفى محمد مسعد، المكتبة السودانية، ص 168.

(114) تقى الدين أحمد بن علي المقرئ: السلوك، ج 2 القسم الأول، ص 161.

(115) نفسه، ص 250.

(116) تقى الدين أحمد بن علي المقرئ: السلوك، ص 250.

هكذا ثبتت أقدام كنز الدولة فى حكم بلاد النوبة وأسدل الستار على نهاية حكم المسيحيين وانتقال الملك إلى ملوك مسلمين وبداية لمرحلة جديدة فى تاريخ هذه البلاد إذ لا تذكر المراجع اسم ملك مسيحى لبلاد النوبة بعد كنز الدولة.

### ج- سقوط مملكة علوه المسيحية:

اتسم تاريخ مملكة علوه المسيحية بالغموض بالمقارنة مع تاريخ مملكة النوبة وربما يعود ذلك إلى ضياع معظم آثار علوه من جهة بفعل عوامل التعرية<sup>(117)</sup> وكذلك لبعدها عن مصر ولا يفهم من ذلك أنها كانت فى معزلة تماماً عن مصر<sup>(118)</sup> فكنيسة علوه كانت تابعة للكنيسة المصرية وكانت علاقة الملوك ببطاركة الكنيسة المرقسية طيبة هذا فضلاً عن العلاقات التجارية الموجودة منذ القدم بين البلدين وكذلك رغبة ملوك علوه فى استمرار العلاقة بينهم وبين المماليك وهذا واضح من الهدايا والسفراء الذين ظلوا يؤكدون الولاء والخضوع للسلطنة المملوكية. وعند منتصف القرن الثالث عشر الميلادى، قطعت العلاقات الدينية بين الكنيسة المصرية وكنيسة علوه وعليه توقف إرسال الأساقفة والقساوسة إلى النوبة فأهملت العبادات وهجرت الكنائس وأصبحوا يجهلون دينهم ولم يبق لهم عقيدة أو يأملون إن يكونوا مسيحيين<sup>(119)</sup>.

يبدو إن مملكة علوه تأثرت كثيراً بسقوط مقرة واعتناق أهلها الإسلام ويذكر الفارز أنه منذ وفاة أسقف علوه لم يخلفه غيره بسبب الحروب بين القبائل العربية فى بلاد النوبة وتركت الكنائس دون رجال الدين فنسوا كل شئ عن المسيحية<sup>(120)</sup>.

<sup>(117)</sup> مصطفى محمد مسعد، الإسلام، ص 183.

<sup>(118)</sup> Arkell. A.: More Of About Fung Origins, S.N.R.Xxv P203.

<sup>(119)</sup> Alvarez, F: Narrative Of The Portugece Embassy O.A Byssinia, London, 1881 P.65

الفارز هو قس برتقالى زار الحبشة بين سنتي 1520-1527م.

<sup>(120)</sup> Alvaez: Op.Ci.P.352



ويبدو إن تأثير الكنيسة في حياة الناس لم يكن قوياً؛ ذلك لأن طقوس الصلاة في الكنيسة تؤدي بلغة أجنبية وظلت الغالبية العظمى من النوبيين يمارسون عاداتهم الوثنية القديمة<sup>(121)</sup> عدم إيجاب الكنيسة النوبية علماء متخصصين في اللاهوت أو الفلسفة الدينية أو رجال دين ذوي مثل مستمدة من تجارب القديسين والشهداء مثلما كان في الكنيسة المصرية. لهذا ظل الجهاز الكنسي بيد رجال الدين المصريين وتحدد مستقبل الكنيسة النوبية بنوع العلاقات بين الكنيستين.

غير إن هذه العلاقات لم تلبث إن خضعت لعوامل سياسية فتأثرت الكنيسة النوبية تبعاً لهذا التدخل من جانب السلطات الحاكمة في مصر إذ منع الحاكم بأمر الله إرسال خطابات بطريرك الكنيسة المرقسية السنوية إلى كل من الحبشة والنوبة<sup>(122)</sup> وبعدها توقف إرسال الأساقفة مدة من الزمن حتى جاء العهد المملوكي وتعرضت الكنيسة لنوع من الضغط من سلاطين المماليك فقدت بذلك مركزها الروحي واعتقد إن اعتناق النوبيين للمسيحية كان منذ البداية ضعيفاً لأن ابن سليم لاحظ ذلك بقوله: أنهم يعرفون الله ويشركون معه النجوم والأشجار<sup>(123)</sup>. غير إن هناك عوامل خارجية أدت إلى سقوط هذه المملكة المسيحية من هذه العوامل إن مملكة علوه تعرضت لا غارات مستمرة في الزغاوة من القرن الثاني عشر الميلادي على طرق القوافل التجارية<sup>(124)</sup>.

ربما أدى ذلك إلى ضعفها ثم النزاع المستمر بين ملوك مقرة وملوك علوه حيث إن مملكة المقرة كانت تشن الغارات على علوه للحصول على الرقيق لدفع البقظ إذا لم يتوافر عندهم عدد كاف بالإضافة إلى انه سلعة تقوم مقام العملة في البيع والشراء.

<sup>(121)</sup> Crow Foot. J. W. : Op. Cit. Pp. 142-143.

<sup>(122)</sup> مصطفى محمد مسعد، الإسلام، ص 100.

<sup>(123)</sup> تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، السلوك، ج 1، ص 133.

<sup>(124)</sup> Arkell, A., J: Op. cit. P. 199.

يبدو إن استمرار حاجة السلطنة المملوكية في مصر إلى الرقيق هي التي أدت إلى استمرار هذا النزاع. إما من جهة الغرب فيعتقد (اركيل<sup>(125)</sup>) إن قبيلة جزام التي رحلت مع غيرها من القبائل العربية من صعيد مصر في حوالي 794هـ — 1391م واجتاحت مملكة الزغاوة حتى سيطرت على منطقة دارفور استطاعت هذه القبيلة شن هجمات على مملكة البرنو واسر أفرادها وبيعهم رقيقاً حتى شكى سلطان برنو إلى السلطان الظاهر بن سعيد برقوق من هذه الاعتداءات قائلاً: إن هؤلاء الإعراب الذين يسمون جزاماً قد عاثوا فساداً في ديار برنو وقد سبوا الحرائر من النساء والأطفال وضعاف الرجال وبيعهم لجلاب مصر والشام ويخدمون بعضهم<sup>(126)</sup> اعتقد إن هؤلاء الأعراب بعد إن اقتربوا من أطراف علوه ربما قد شنوا عليها حرباً مما أدى إلى أضعافها.

من الواضح إن هذه المجموعات العربية التي نزحت إلى بلاد النوبة واختلطت بها ربما قد ضغطت على ملك علوه وجعلته ينقل عاصمة بلاده إلى كوسة<sup>(127)</sup> وبهذا تكون سوريا فقدت مركزها كعاصمة لمملكة علوه. لكن هل انتقل العاصمة إلى كوسة يعني انهيار مملكة علوه في القرن الخامس عشر الميلادي؟ لا اعتقد ذلك؛ لأن العرب لم ينشئوا حكومة مركزية تخضع لها جميع الأقاليم وذلك لعدم انقياد بعضهم إلى بعض فصاروا شيعاً لهذا العهد<sup>(128)</sup> وما نستطيع ذكره هنا أنه في هذه الفترة ظهرت ممالك ومشيخات إسلامية في حوض النيل الأوسط<sup>(129)</sup> كان لها أثر واضح في انتشار الإسلام.

(125) Arkell, A., J: Opcit. 199-200.

(126) أبو العباس أحمد القلقشندي: مرجع سبق ذكره، ج8، ص116.

(127) Craw Ford O. G.S.: The Fung Kingdom, P. 27 Note 29.

يقول إن كوسة تقع بالقرب من زانكور عند وأدى الملك حيث عثر على بقايا خار ومباني تشبه ما كان موجوداً في مملكة علوه المسيحية.

(128) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مرجع سبق ذكره، ج5، ص429.

(129) نعوم شفير: مرجع سبق ذكره، ج2، ص106-107.

## الفصل الثانى

### قيام دولة الفونج

أ- دخول العرب السودان وأثره على قيام دولة  
الفونج الإسلامية

ب- أصل الفونج

ج- العلاقة بين الفونج والعبدلاب





## الفصل الثانى

### قيام دولة الفونج

#### أ- دخول العرب السودان وأثره على قيام دولة الفونج الإسلامية:

اشتركت عدة عوامل فى قيام دولة الفونج الإسلامية فى السودان فى 910هـ - 1505م إلا إن أهم هذه العوامل الهجرات العربية التى كانت النواة الأولى فى تأسيس هذه السلطنة وذلك منذ إن أخذت القبائل العربية فى الاستقرار فى السودان أخذة فى الازدياد حتى نجحت فى السيطرة اقتصاديا واجتماعيا ودينيا ثم سياسيا بتأسيس هذه السلطة.

#### أولا: الآثار الاقتصادية :

كان السودان مقسما آنذاك إلى ثلاث ممالك هى نوباديا وعاصمتها بجراش<sup>(1)</sup>. والمقرة وعاصمتها دنقلا وعلوة وعاصمتها سوبا<sup>(2)</sup> والجدير بالذكر انه فيما بين 580-652م اتحدت المملكتان الشماليتان نوباديا والمقرة وعرف الاتحاد باسم النوبة<sup>(3)</sup>. وتمتد من أسوان حتى كبوشية وعلوة تمتد من كبوشية شمالا إلى القطينة جنوبا وشملت جهات الاتبرا والنيل الأزرق حتى حدود الحبشة شرقا وبعض جهات دارور وكردفان غربا<sup>(4)</sup> وقد عاصرت هذه الممالك مملكة البجة بشرق السودان<sup>(5)</sup>. كان هذا الوضع سائدا فى بلاد السودان الذى تعرض لهجرات عربية مستمرة عرفها قبل ثلاثة آلاف

(1) هى مدينة فرس على الحدود

(2) تقى الدين احمد بن على المقرئى: المواعظ، ج 1، ص 193.

(3) نفسه، ص 200 نص عقد الصلح الذى عقده عبد الله ابن سعد لعظيم النوبة وأهل مملكته (حتى ارض أسوان إلى حد ارض علوه).

(4) مصطفى محمد مسعد: الإسلام، ص 79.

(5) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، المجلد الثالث، ص 277.

سنة قبل الميلاد<sup>(6)</sup> سلكت في دخولها عدة طرق أولها طريق الحبشة<sup>(7)</sup> وطريق البحر الأحمر من موانئ عيذاب وباضع وسواكن وجموع هذا الطريق سارت في اتجاهين أولهما عبر الصحراء إلى داخل السودان والثاني من الحبشة عن طريق النيل الأزرق ثم طريق مصر والذي يمر عبر أسوان وخرسكو إلا إن قلة السيادة قللت من فعاليته لهذا سلك المهاجرون طريق النيل إلى دنقلا<sup>(8)</sup> ثم عن طريق وادي الملك ووادي المقدم حتى وصلت جموعهم مملكة الكانم والبرنو في نهاية القرن الرابع عشر وكانوا قد بلغوا تلك الجهات قبل أزمان طويلة عن طريق المغرب.

ولعل التجارة كانت أهم وسيلة لاتصال العرب ببلاد السودان إذ نشطت حركة تجارة العاج والصبغ واللبان والذهب بين الجزيرة العربية من ناحية وبين موانئ السودان من ناحية أخرى. واتخذ التجار العرب من بعض النقاط على الساحل مراكز لهم يتوغلون منها بسلعهم حتى وأدى النيل<sup>(9)</sup> وبعد الفتح الإسلامي إلى مصر كفلت الدولة الإسلامية الحماية لهؤلاء العرب فطاب لهم المقام في أجزاء مختلفة من السودان<sup>(10)</sup>.

ازدادت جماعات العرب ببلاد البجة خاصة قبيلتي جهينة وربيعه اللتان أغراهما وجود الذهب والزمرد في وأدى العلاقى الذى وصفه اليعقوبى بأنه كالمدينة العظيمة به خلق من الناس وأخلط من العرب والعجم وبه أسواق وتجارا وبه قوم من ربيعة وجهينة وذكر ابن خلدون إن جهينة كثرت الأمم في الاراضى السودانية<sup>(11)</sup>.

(6) محمد سعيد القدال: تاريخ السودان الحديث، 1821-1955، مصر، القاهرة، شركة الأمل للطباعة والنشر، 1993م، ص 1.

(7) الشاطر بصيلى عبد الجليل: معالم تاريخ سودان وأدى النيل (في القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر) مصر، القاهرة، مطبعة أبو فاضل، 1955م، ج 1، ص 7.

(8) يوسف فضل: مقدمة في تاريخ الممالك، ص 12.

(9) محمد عوض محمد: مرجع سبق ذكره، ص 40.

(10) أحمد بن إسحاق بن جعفر اليعقوبى: البلدان، هولندا، لندن، نشر دى خويه، 1851، ص 122.

(11) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره: ج 5، ص 929.



إما مملكة علوة فتعود علاقتها بالعرب منذ القرون الأولى لظهور الإسلام ويروى  
اليعقوبى إن المسلمين كانوا يترددون على سوبا فى أيامه<sup>(12)</sup> وكذلك ذكر المقرئى عن  
ابن سليم الاسوانى إن المسلمين كان لهم رباط خاص فى سوبا<sup>(13)</sup>.

وعلى كل حال فقد كان لموقع بلاد النوبة (الوسط بين ممالك السودان) اثر  
اقتصاديا مميز، لأنها أصبحت معبرا للتجارة إلى داخل السودان ومن جهة أخرى لعبت  
تضاريسها دورا فى إن تكون محورا للزراعة والرعى فضلا عن وجود بعض  
المراعى فى بلاد علوه<sup>(14)</sup> كما كانت توصف بكبر مساحتها التى تفوق الحبشة آنذاك ثم  
لكثرة المدن والعمارة ويخترقها النيل<sup>(15)</sup> وقد بلغت حدودها صعيد مصر شمالا حتى  
البحر الأحمر شرقا وضمت أراضيها كثيرا من السهول التى يصعب سلوكها إلى داخل  
السودان<sup>(16)</sup>.

ويمكننا إن ندرك حالة تلك البلاد من خلال ما ذكره المقرئى من إن المدن  
المزدهرة بها كانت تقع على النيل مما سهل على القوافل التجارية التى تغدو إليها وقدر  
إن المسافة بين أسواق دنقلا تبلغ أربعين يوما فى عمائر متصلة<sup>(17)</sup> وكانت دنقلا  
حاضرة دولة المقرئى مركزاً تجارياً مهماً كما إن المسافة بينهما وبين أول بلاد مملكة  
علوة تفوق المسافة بين أسوان ودنقلا مما سهل السير عبر هذه المسافات ما كانت  
تحتوية من قرى وضياع ومدن وجزائر متلاصقة<sup>(18)</sup>.

وبلاد علوه أوسع من بلاد النوبة وتقع بين النيلين الأزرق والأبيض وهذه المساحة  
تغطيها الزراعة ويحتاج الداخل إلى جهاتها إلى حوالى ثلاثة اشهر للوصول إلى قراها

(12) احمد بن إسحاق بن جعفر اليعقوبى، مرجع سبق ذكره ص 122.

(13) تقى الدين احمد بن على المقرئى، المواعظ، ج 3، ص 262.

(14) مصطفى محمد مسعد: الإسلام، ص 101.

(15) أبو القاسم إبراهيم محمد الفارسى الاصطخرى: مسالك الممالك، مصر، القاهرة، مطابع دار القلم،  
1961م، ص 36.

(16) أبو القاسم محمد بن حوقل: صورة الأرض، هولندا، ليدن، نشر كرامرز، 1910، ص 59.

(17) تقى الدين احمد بن على المقرئى: المواعظ، ج 1، ص 191.

(18) نفسه، ص 192.

ويحتاج إلى ثلاثة أيام للوصول إلى اقرب نقطة بها<sup>(19)</sup> وتعتبر سوبا هي حاضرة الدولة ومركزها التجارى وفيها أبنية حسان ودود واسعة وكنائس كبيرة الذهب وبساتين<sup>(20)</sup> وحقول ومزارع كما إن النيل يتشعب حتى يصل إلى أطراف النهر الذى يجف<sup>(21)</sup> ومتملك علوه أكثر مالا من متملك المقررة وبلدة أخصب وأوسع<sup>(22)</sup>.

يتضح من وصف ابن سليم ما تتميز به هذه الممالك خاصة علوة التى تميزت باتساعها وهطول الأمطار فيها وتور المراعى والزراعة المطرية يجعلها من الناحية الزراعية والرعية مجالا حيويا لحشود القبائل العربية التى زحفت من كل حذب وصوب فطبيعة أراضى علوة تناسبهم أكثر من رقعة دنقلا الضيقة لذا استوطنتها جماعات عربية مما جعل متملك النوبة يطالب بعقد صلح مع العرب الذين يمرون ببلاده تجارا غير مقيمين<sup>(23)</sup>. وعلى الرغم من إن هذه الاتفاقية تمنع بقاء العرب فى بلاد النوبة إلا إننا نجد جماعات من جهينة قد حطت رحالها فى أرض النوبة وذلك ما بين الشلال الأول والثانى حيث نزل الجوابرة أحفاد جابر الصحابى بين الشلال الأول وفى السبوع نزل الكثوز وبين جبل دوسة والشلال الثالث نزل جماعة ينسبون إلى قریش<sup>(24)</sup>.

واصلت القبائل العربية تدفقها فى سهول السودان فانتشرت بنو هلال فى شمال كردفان واستقرت بها واستوطنت الكبابيش والتعايشة بمناطق البقارة الحالية وواصلت قبائل ربيعة سيرها متتبعة نهر النيل والنيل الأزرق حتى استقروا على حدود إثيوبيا كما سيطرت الشكرية على سهول البطانة<sup>(25)</sup>.

(19) احمد بن إسحاق بن جعفر اليعقوبى: البلدان، ص 90.

(20) تقى الدين احمد بن على المقرئى، المواعظ، ص 193.

(21) ربما يقصد به نهر الدندر (مكى شبكية: السودان عبر القرون، ص 53).

(22) مصطفى محمد مسعد: المكتبة السودانية، ص 102.

(23) تقى الدين احمد بن على المقرئى، مرجع سبق ذكره، نفس الصفحة.

(24) محمد إبراهيم أبو سليم: الساقية، السودان، الخرطوم، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، الطبعة الأولى، 1980، ص 208.

(25) عبد المجيد عابدين: من الأدب الشعبى السودانى، السودان، الخرطوم، الدار السنانية للكتيب، ص 5-8.

أما بالنسبة لبلاد البجة فقد ذكر ابن حوقل بأنها بلاد صغيرة طويلة تمر فى الجنوب بين نهر النيل وبحر القلزم وهى فيما بين الحبشة والنوبة<sup>(26)</sup> اعتقد إن ذلك كان أغراء للعرب بجانب ما كانت تزخر به بلادهم من مناجم الذهب والزبرجد والزمرد وأنواع أخرى من المعادن تنتشر حقولها بطول بلادهم<sup>(27)</sup> كمعادن الفضة والنحاس والحديد والرصاص؛ بل أنها تفردت بوجود معدنين ذكرتهما المصادر وهما المرقتشا والجميشت<sup>(28)</sup> بالإضافة إلى ذلك وجدت بعض الحجارة التى تعر ببشط والتى أشيع أنها إذا بليت بزيت أضاء مثل الفتيلة ويبدو إن هذه المعادن تميزت بالجودة كلما اتجهت إلى الداخل جنوبا فكان هذا سببا فى جذب وانتشار العرب داخل بلاد البجة<sup>(29)</sup> لذا نجدهم انتقلوا إليها بالعيالات (بالأزواج) والذرية<sup>(30)</sup> وهذا دليل على استقرارهم.

ومما شجع العرب على الإقامة بأرض البجة إن البجة كانوا لا مدن لهم ولا زرع<sup>(31)</sup> وبجانب ذلك أنهم لا يميلون إلى العمل بالتعدين<sup>(32)</sup> بل يشتغلون بتربية الماشية ويتبعون مراعيها حيث ما كانت منتقلين بخيامهم التى يشيدونها من الجلود<sup>(33)</sup> والبجة ليسوا أشرا هم أهل سلم وليست دارهم بدار حرب<sup>(34)</sup> ويتصفوا بأنهم أهل كرم وسماحة<sup>(35)</sup> بالإضافة إلى أنهم لا يسرقون ولا يغيرون على غيرهم<sup>(36)</sup> وهم يقاسمون من يعمل معهم فى المعدن<sup>(37)</sup>، إلا إن الهدندوة وهم فرع من البجة بحكم نشأتهم فى البادية وخارج المدن بدأوا يغيرون على الطرق فى بورتسودان لسيلا ويشيعون القلق والرعب للاهالى فى خور اربعات وغيره ولا أستطيع إن أعمم ذلك على كل القبيلة.

(26) أبو القاسم محمد بن حوقل: مرجع سبق ذكره، ص 55.

(27) أحمد بن إسحاق بن جعفر اليعقوبى: مرجع سبق ذكره، ج 1، ص 155.

(28) نوعان من المعادن انتشرت فى بلاد البجة.

(29) تقى الدين أحمد بن على المقريزى، مرجع سبق ذكره، ص 194-195.

(30) مصطفى محمد مسعد: المكتبة السودانية، ص 14، هامش رقم 2.

(31) نفسه، ص 59.

(32) تقى الدين أحمد بن على المقريزى: المواعظ، ج 1، ص 195.

(33) مصطفى محمد مسعد، الإسلام، ص 119.

(34) أبو القاسم محمد بن حوقل، مرجع سبق ذكره، ص 56.

(35) تقى الدين أحمد بن على المقريزى، مرجع سبق ذكره، ص 280.

(36) مصطفى محمد مسعد، الإسلام، ص 119.

(37) أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى مرجع سبق ذكره، ج 8، ص 203-204.



على كل أدت صفات السلم والسماحة التى اتصفوا بها إلى جذب القبائل العربية إلى منطقتهم وعبور البحر الأحمر طلبا للثراء والكلا والمراعى حتى إن سفنهم كانت تتردد بصورة منتظمة بين شواطئة وهى تنقل العاج اللبان والذهب والرقيق<sup>(38)</sup> وأول إشارة لتملك العرب زمام التجارة بأرض البجة كانت فى عهد الرومان حيث ألت السيادة لقبيلة بلى اليمنية والتى عهد إليها الرومان بإدارة مشروعاتهم التجارية عبر البحر الأحمر كما إن رجالها يقومون بنقل المتاجر بين شاطئة ويوفرون الحماية للتجارة وسرعان ما أدى هذا إلى استقرارهم فى بلاد البجة<sup>(39)</sup> واخذ هذا الاستقرار فى التنامى فى العهد الاسلامى حتى سيطرت على العمل بالمناجم بقيادة رببعة وزعامة بشر بن مروان الذى عرف بصاحب المعدن<sup>(40)</sup> وكذلك نزلت بالمعدن جماعات من بلى وجهينة وبنى سليم ومضر قاصدون التبر<sup>(41)</sup>. وبجانب هذا فقد سيطر المسلمون على العمل التجارى ببلاد البجة بما كانوا يأتون به من بضائع تمتاز بالجودة<sup>(42)</sup> وخاصة القطنية والصوفية<sup>(43)</sup>.

### ثانيا : الآثار الاجتماعية :

بعد إن صارت للعرب السيطرة التجارية وأصبحت لهم الغلبة العرقية والسلالية وأسهموا فى الحياة الاجتماعية خاصة بعد دخول العرب فى أراضيهم فى شكل قبائل مثل قبيلة بلى اليمنية التى استقرت فى أراضى البجة وكان لها تأثير واضح فى حياتهم<sup>(44)</sup> والجدير بالذكر إن الفتوحات العربية لمصر شكلت حلقة مهمة فى تدفق القبائل العربية لهذه البلاد بعدما اتجهت قواتهم لضمان المحافظة على أطراف مصر من ناحية الجنوب وتأمين طريق التجارة<sup>(45)</sup> وقد بلغت جيوشهم بلاد النوبة ثم اتجهوا

(38) عطية القوصى: تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى الخلافة العباسية، مصر، القاهرة، دار النهضة للنشر، 1976م، ص 43.

(39) نفسه، ص 27.

(40) مصطفى محمد مسعد، السلام، ص 14-15.

(41) تقي الدين احمد بن على المقرئى، مرجع سبق ذكره، ص 278.

(42) احمد بن إسحاق بن جعفر اليعقوبى: مرجع سبق ذكره، ص 90.

(43) يوسف فضل: مرجع سبق ذكره، ص 42.

(44) عطية القوصى: مرجع سبق ذكره، ص 27.

(45) أبو الحسن على بن الحسين المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محى الدين عبد المجيد، مصر، القاهرة، 1367هـ - 1948م، ج 3، ص 38-39.

إلى بلاد البجة ولكنهم عدلوا عنها بعد ما قيل لهم إن ليس لهم ملك<sup>(46)</sup> ويرى ابن حوقل إن جماعات من عرب الحوف خاصة قيس عيلان هاجمت البجة لتعديهم على أهل فقط<sup>(47)</sup> ولا يبعد إن يكون هؤلاء قد استقروا بتلك الجهات<sup>(48)</sup>.

ولما زادت غارات البجة على المسلمين بريف مصر هاجمهم عبد الله بن الحبحاب السلولى ووقع معهم هدنة<sup>(49)</sup> 107هـ - 725م اتاحت للعرب الدخول إلى بلاد البجة وعملت على استقرارهم وبهذا استطاعوا إن يفدوا فى شكل قبائل ينزلون منازل المعدن.

هجمات البجة هذه لفتت أنظار المسلمون لغزوها بهدف تأمين حدودهم وتجارتهم فكان إن توجه إلى ديارهم عبدالله بن الجهم 232هـ - 841م الذى هزم البجة وانتهى الأمر بينهم بعقد معاهدة بينة وبين رئيسهم كنون بن عبد العزيز<sup>(50)</sup> تعتبر هذه المعاهدة مهمة فى تاريخ العلاقة بين العرب والبجة. وموضع الأهمية هنا إن بلاد البجة أصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية. ولم يكد يمضى أكثر من ست سنوات على حملة بن الجهم حتى وفدت جماعات من ربيعة وجهينة فى عام 238هـ - 838م إلى العلاقى بعد إن وصلتها أبناء المعادن<sup>(51)</sup>.

ومما لاشك فيه إن هذه الجماعات الإسلامية تركت لونا من التأثير فيمن اختلطت بهم من البجة بل إن بعضهم تخلف فى بلاد البجة وتعلم اللغة البيجاوية والدليل على ذلك إن ذكرى بن صالح المخزومى من سكان جدة وعبدالله بن إسماعيل القرشى قاما بترجمة عقد ابن الجهم إلى اللغة التبادويه<sup>(52)</sup>.

(46) تقى الدين احمد بن على المقريزى: مرجع سبق ذكره، ص 199.

(47) هي قوص بصعيد مصر (احمد بن إسحاق بن جعفر اليعقوبى، مرجع سبق ذكره، ص 171).

(48) أبو القاسم محمد بن حوقل، مرجع سبق ذكره، ص 57.

(49) أبو القاسم عبد الرحمن القرشى بن عبد الحكم، مرجع سبق ذكره، ص 189.

(50) تقى الدين احمد بن على المقريزى، مرجع سبق ذكره، ج 1، ص 195.

(51) أبو القاسم محمد بن حوقل، مرجع سبق ذكره، ص 53.

(52) تقى الدين احمد بن على المقريزى، مرجع سبق ذكره، ج 1، ص 196.

أغار البجة مرة أخرى على صعيد مصر فما كان من الخليفة المعتصم إلا أن أمر قائدة عبدالله القمى بالهجوم على البجة الذى نجح فى الانتصار عليهم. والجدير بالذكر إن هذه المعركة كانت الحد الفاصل لقوة البجة العسكرية إذ لم يحاولوا مهاجمة العرب بعدها مرة أخرى وأصبحت بلادهم تستقبل المزيد من القبائل العربية لاستغلال مناجم الذهب والزممر وبات العرب متمتعين بحماية الدولة الإسلامية.

ويتضح أثر العرب فى بلاد النوبة من استقبالها للمهاجرين العرب من ربيعة وجهينة ويبدو إن هذه القبائل ارتبطت معرفتها بهذه البلاد بالتجارة وإن العرب كانوا كثيراً ما يفدون إليها مما أغرى بعضهم بعد الفتح الإسلامى بالاشتراك فى حملات التأييد التى أرسلت لبلاد النوبة وانتهت بعقد اتفاقية البقط التى وردت الإشارة فيها لحفظ المسجد الذى بناه المسلمون بفناء مدينة دنقلا وهذا يدل على إن العرب كانوا بالقدر الذى اتاح لهم بناء المسجد لممارسة شعائرهم<sup>(53)</sup> هذه الاتفاقية اتاحت للعرب فرصة الدخول لبلاد النوبة تحت حماية ملوكها والاستقرار فيها والدليل قول المسعودى (بان ملك النوبة اشتكى إلى الخليفة من إن العرب اخذوا فى شراء الأرض فى بلاده وامتلاك الضياع فيها)<sup>(54)</sup>.

هذه الاتفاقية اتاحت للعرب الاستقرار فى بلاد النوبة والاحتكاك بأهلها ومعرفة عقيدتهم ولغتهم وقد رحب النوبة بهذه المصاهرات التى ضمنت لهم سندا قويا وسط عوامل الضعف التى اجتاحت البلاد<sup>(55)</sup> وهكذا انتسب العرب إلى المناطق التى حلوا بها فأصبحت تعرف بأسمائهم خاصة القبائل صاحبة النفوذ مثل دار الشايقية ودار جعل<sup>(56)</sup> ووضح أثر استقرار العرب فيما ذكره ابن سليم بان لهم رباطا فى سوبا<sup>(57)</sup> هذا بالإضافة لإدخال العرب وسائل النقل فى الجزيرة العربية حتى إن ابن سليم أشار إلى أنها خيل عتاق وصهب عراب<sup>(58)</sup> سارت هذه القبائل متبعة المراعى حيث اتجهت

(53) نفسه، ص 200.

(54) أبو الحسن على بن الحسين المسعودى، مرجع سبق ذكره، ج 2، ص 42.

(55) شوقى عطا الله الجمل، مرجع سبق ذكره، ص 236.

(56) النشاط بصيلى عبد الجليل، مرجع سبق ذكره، ص 4.

(57) تقى الدين أحمد بن على المقرئى: مرجع سبق ذكره، ص 193.

(58) نفسه، نفس الصفحة.

نحو جنوب غرب كردفان وجنوب شرق نهر عطبرة إلى النيل الأزرق وقد وجدت هذه القبائل فى إقليم كردفان مراعى صالحة لتربية الإبل<sup>(59)</sup> ولم تلبث جهينة بعد أن تكاثرت فى السودان القبلى أن تتجه نحو الغرب وكونت المجموعة الجهينية فى دارفور<sup>(60)</sup> وهكذا ظهرت فى تلك المناطق قبائل مثل بنى جرار والمحاميد وغيرها.

ظهرت فى شرق دارفور الرزيقات والتعايشة وبنى هلبة ثم البديرية فى غرب دارفور والحرر وبنى خزام وفى وسطها فزارة والهالية<sup>(61)</sup>.

من المؤكد أن هذه القبائل لم تدخل كلها دفعة واحدة بل كان ذلك تدريجيا مما هيا لها فرصة الاحتكاك بالاهالى ونتج عن ذلك التأثير الواضح فى كل مجالات الحياة.

وكان لمعاملة العرب الحسنة لأهل البلاد الأصليين والتي جذبتهم إليهم وتسمى المولدون منهم بأسماء عربية. إما اللغة العربية فقد لازمتهم؛ لأنها لغة القران وتؤدى بها صلاته مما دفعهم إلى تعليمها<sup>(62)</sup>.

يبدو أن تأثير العرب فى بلاد البجة كان كبيرا وتجدر الإشارة إلى تلك القرية التي كان يسكن فيها العرب والمسلمون فى خور نبت بالقرب من مدينة سنكات فقد عثر على بعض شواهد لقبور عربية يرجع تاريخها إلى القرن الثانى الهجرى منتصف القرن الثامن الميلادى (760م)<sup>(63)</sup> هذا بالإضافة إلى قبور يعتقد أنها لأكسوميين مثل قبر اكسوم معلوم مما يدل أن تأثير العرب الاسلامى كان كبيرا فى تلك الجهات.

<sup>(59)</sup> حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية، مصر، القاهرة، دار النهضة المصرية، 1963م، ج1، ص106.

<sup>(60)</sup> رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام فى دارفور فى العصور الوسطى، مصر، القاهرة، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ص 294.

<sup>(61)</sup> نفسه نفس الصفحة.

<sup>(62)</sup> الشيخ الأمين محمد عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى عهد مالى وسونغى، السعودية، جدة، المجمع العلمى، الطبعة الأولى، 1979م ص27.

<sup>(63)</sup> Crawford. O.G.S: He Stone Tombes of the N.E.Sudan, Kush. No.2 . 1954. P.86.



يبد أن الأمر المهم فى هذه القرية التى استقر فيها العرب المسلمون هو إن بعض سكانها كان يعرف الكتابة العربية وكان بها مدرسة لتحفيظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة.

هذا الموقع لا يزال بكرافا المنبين لم يكتشفوا بعد إبعاده الأثرية وعسى إن تجى بعثات تهتم بالآثار العربية الإسلامية لتكتشف ما أغلق علينا حتى الآن وأخيرا ادخل العرب نظام توريث الابن بدلا عن توريث البنت وابن البنت<sup>(64)</sup>.

### ثالثا: الآثار الدينية:

طلّعت الدعوة الإسلامية كانوا من التجار ورغم أنهم غير محترفين للدعوة لكنهم نجحوا فى جذب الناس عن طريق القدوة الحسنة والعمل الطيب<sup>(65)</sup> ونلمس اثر ذلك فى بلاد البجة قوافل الحجيج التى كانت تمر بديارهم ثم المسجد الذى ورد فى شروط اتفاقية عبدالله بن أبى السرح بن الجهم ولقد كان للمسجد دورة فى نشر الدعوة الإسلامية<sup>(66)</sup> هذا بالإضافة إلى جمع صدقات من اسلم من البجة<sup>(67)</sup> هذا دليل على إقامة بعض المسلمين فى هذه الجهات.

إما بلاد النوبة التى ذكر إن سكانها صاروا لا هم بالمسيحيين ولا بالمسلمين ولا باليهود<sup>(68)</sup> فقد أصبح أمرهم يختلف، لان العرب نشروا عقيدتهم منذ الفتح الاسلامى ونستقرئ ذلك من اتفاقية البقط التى ذكرت مسجدا للعرب طلبوا من ملك النوبة كنسة واسراجه وتكرمة<sup>(69)</sup>.

(64) الشيخ الأمين محمد عوض الله، مرجع سبق ذكره، ص 60.

(65) إبراهيم احمد العدوى: التاريخ الاسلامى إفاقة السياسة وإبعادة الحضارية، مصر، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1976م. ص 385.

(66) تقى الدين احمد بن على المقرئى: المواعظ، ص 200.

(67) نفسه، ص 195.

(68) توماس ارنولد: الدعوة الإسلام، ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن وآخرون، مصر، القاهرة، 1947م، ص 132-133.

(69) تقى الدين احمد بن على المقرئى: مرجع سبق ذكره، ص 200-202.

وبهذا تمتعت العقيدة الإسلامية بحماية الدولة مما ساهم فى إن يتعرف عليها الاهالى من خلال إقامة المسلمين بالمسجد وحتى لا ينسى المسلمون فى هذه البلاد عقيدتهم وإخوانهم الداخلين معهم فى الإسلام فقد ارسلو لبغداد فأتتهم بعثة لتعلمهم أمور دينهم<sup>(70)</sup>.

أورد نعوم شقير خبرا لمسجد يقول عنه إن فى دنقلا العجوز جامعا قائما على خرائب كنيسة قديمة كبيرة وفى واجهة الجامع حجر من الرخام مكتوب عليه بالعربية<sup>(71)</sup> كان له دور فى نشر العقيدة.

فى عهد الدولة الفاطمية قويت العلاقة بين النوبة والعرب إذ أرسل القائد جوهر الصقلى عقب فتحة لمصر الداعية الاسلامى عبدالله بن احمد بن سليم الاسوانى إلى بلاد النوبة ليدعو الملك قيرقى (جورج) إلى الدخول فى الإسلام<sup>(72)</sup> وهكذا أخذت الدعوة الإسلامية تتسرب إلى بلاد النوبة حتى إننا نجد إن المسلمين بلغوا فى سوبا من الكثرة بالقدر الذى جعلهم يسعون لأخذ الإذن لبناء مسجد فى سوبا حاضرة مملكة علوه<sup>(73)</sup> كما أحاطت الدولة المسلمين برعاية فائقة بالدرجة التى جعلت الوزير بدر الجمالى يرسل احد امرائه للتحقيق فى نبأ مردة إن ملك النوبة هدم للمسلمين مسجدا فى بلدة<sup>(74)</sup>.

وكثيرون من الفقهاء الذين جاءوا إلى دولة الفونج وكان لهم دور فعال فى تعليم الناس أمور الدين أمثال أولاد جابر والشريف حمد أبو دنانة و غلام الله بن عائد واحفاده.

<sup>(70)</sup> حسن الفاتح قريب الله: التصوف فى السودان إلى نهاية عهد الفونج، السودان، الخرطوم، آداب جامعة الخرطوم 1987م - ص10.

<sup>(71)</sup> تحدثنا عن هذا المسجد فى فصل سابق وتعتقد الباحثة انه غير المسجد الذى ورد فى اتفاقية السبقت (راجع ص).

<sup>(72)</sup> مصطفى محمد مسعد: المكتبة السودانية، ص91.

<sup>(73)</sup> ضرار صالح ضرار: تاريخ السودان الحديث، السعودية، جدة، مطابع سحر، 1989م، ص7.

<sup>(74)</sup> راشد البراوى: حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين، مصر، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، 1948م، ص235-236.

## رابعاً: الآثار السياسية:

نتج عن اشتغال العرب بالتجارة واستقرارهم في بلاد السودان ثم نشرهم لعقيدتهم إن كان لهم تأثير سياسى على اهالى تلك البلاد ومنتبين ملامح ذلك من وجود مستعمرة عربية قديمة عاشت لأكثر من قرن 203هـ - 345هـ / 825-940م في خور نبت على بعد سبعين ميلا شمال شرق محطة هيا وكان ذلك بأرض البجة<sup>(75)</sup>.

ثم إن الاتفاقيات التى أبرمها العرب مع ملوك البجة والتى تضمنت فى بنودها بان يدفع ملوك البجة لخليفة المسلمين الجزية تضمنت أول مظاهر السيادة للعرب على أمور هذه البلاد<sup>(76)</sup> ومن ثم أدى استقرار العرب بتلك البلاد إلى توثيق صلتهم بأهلها خاصة البيت الحاكم وقد كانت المصاهرات أداة مهمة فى تطوير العلاقات السياسية بين الشعوب المختلفة هذه المصاهرات مارستها القبائل العربية فى مختلف العصور فساعدتهم على أن يستولوا على ملك البجة ذلك إن البجة كانوا على عادة الأعاجم فى توريث البنات مما ساعد على انتقال الملك إليهم.

والمعلوم إن العرب وجدوا مقاومة عنيفة من النوبيين وساعدهم فى هذا جغرافية بلادهم<sup>(77)</sup> التى حالت دون دخول العرب إليها بالإضافة إلى مهاراتهم فى فن الحرب والرمي حتى عرفوا برماة الحدق.

اعتبرت اتفاقية البقط التى فتحت بها بلادهم المؤشر السياسى الأول الذى اخضع ملوك النوبة للمسلمين وجعلهم يدفعون مع الجزية ثلاثمائة وستين عبدا سنويا<sup>(78)</sup> هؤلاء كانوا نواة الجيوش الإسلامية والدعوة فى بلادهم وكذلك كانت مصاهرة العرب للنوبة سببا فى أن يؤول عرش النوبة إلى بنى الكنز فعملوا على إسقاط ملك النوبة وتولى السلطة بمساعدة الفاطميين<sup>(79)</sup>.

<sup>(75)</sup> حسن مكى محمد احمد: من مضامين الثقافة السنارية، مجلة الدراسات الأفريقية، السودان، الخرطوم، العدد الثامن، ديسمبر 1999م، ص 18-19.

<sup>(76)</sup> أبو العباسى احمد القلقشندى، مرجع سبق ذكره، ج5، ص78.

<sup>(77)</sup> حسن إبراهيم حسن: مرجع سبق ذكره، ص103.

<sup>(78)</sup> أحمد بن إسحاق بن جعفر اليعقوبى: مرجع سبق ذكره، ص92.

<sup>(79)</sup> محمد ربيع القمر: قراءة جديدة فى اتفاقية البقط، السودان، الخرطوم، مجلة الدار، العدد الثانى، 1416هـ، ص162.

واخذ نفوذ بنى الكنز يمتد حتى منطقة عيذاب وبلغ من شدة تأثيرهم ببلاد النوبة أنهم احتفظوا باللهجة النوبية حتى بعد اعتناق النوبة الإسلام فى القرن الثالث عشر<sup>(80)</sup>.

وبهذا نجح العرب فى نقل المجتمع السودانى من مجتمع روعى متفكك إلى مجتمع زراعى مستقر وبهذا عاشوا حياة أساسها القبيلة تلك التى عرفوها فى الجزيرة العربية وكذلك ادخلوا نظام شيخ القبيلة ثم شيخ المشايخ يتولاها شيخ أقوى القبائل<sup>(81)</sup> وبهذا فتح النظام القبلى المجال لكى يذوب أهل السودان فى مجتمع العرب<sup>(82)</sup> وانتقلت ملكية الأرض بعد إن كانت خاصة بالملك أصبحت للجماعة القبلية توزع عليهم فى مقابل ضريبة تؤدى إلى زعيم الدار<sup>(83)</sup>.

لما وضحت عملية الإسلام وشيوع الثقافة العربية والإسلامية وانتشار القبائل ظهرت دويلات ومشيخات إسلامية نشأت على ما كان قائما من دويلات وكانت هذه الدويلات والمشيخات قد استكملت مراحل تطورها وأخذت تتطلع إلى زعامة سلطة مركزية<sup>(84)</sup>.

## ب- أصل الفونج:

اكتنف ظهور الفونج كثير من الغموض وذلك لقلة المصادر الوطنية ولصمت المصادر العربية المعاصرة<sup>(85)</sup> ولا توجد اليوم إمام المؤرخين سوى روايات متضاربة حول أصل الفونج الأمر الذى أثار جدلا لم ينته بعد حتى ينجح علماء الآثار واللغات فى كشف النقاب والوصول إلى رأى قاطع حول أصلهم.

<sup>(80)</sup> بركات موسى الحواتى: جبهة وريبعة رأس الرمح العرب الإسلامى فى السودان، مجلة حروف، السودان، الخرطوم، العدد الرابع، يونيو 1993م، ص 52.

<sup>(81)</sup> حسن إبراهيم حسن: مرجع سبق ذكره، ص 103.

<sup>(82)</sup> ضرار صالح ضرار: تاريخ السودان الحديث، ص 10، وأيضا عون الشريف قاسم: السودان فى حياة العرب وأدبهم، مجلة الدراسات السودانية العدد الأول، المجلد الأول، يوليو 1968م، ص 18، عبد الحميد متولى: تطور نظم الحكم فى السودان منذ أقدم العصور، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1969م، ج 1، ص 107.

<sup>(83)</sup> يوسف فضل، مرجع سبق ذكره، ص 3.

<sup>(84)</sup> مصطفى محمد مسعد: السلام، ص 205.

<sup>(85)</sup> يوسف فضل حسن: مرجع سبق ذكره، ص 45.



يرجع الباحثون اصل الفونج إلى واحدة من ثلاث مناطق هي:

### 1-الأصل الاموى:

معظم النسابة السودانىون ينسبون الفونج إلى بنى أمية وتذكر المصادر العربية إن بعضا من أمراء بنى أمية الذين هربوا من ضغط العباسيين بعد سقوط دولتهم<sup>(86)</sup> ولجأوا إلى الحبشة وعلم بنو العباس بهم فأرسلوا إلى النجاشى يريدون منه تسليمهم؛ وألا أقاموا عليه حربا فحار النجاشى لأنه لم يرد أن يسلم قوما دخلوا فى حماسة إلى أعدائهم ولا أن يتحمل عناء الحرب فأرسل هدية إلى العباسيين وأمر الأمويين فخرجوا وسكنوا الجبال التى فى أعالي الجزيرة<sup>(87)</sup> وكان سكانها من السود وكثر تسريهم فغير ذلك من لونهم<sup>(88)</sup>. إما الفونج أنفسهم يؤكدون أنهم من ذرارى الأمويين ويشير إلى ذلك كل من المقرئى والمسعودى عن بقايا هجرة الأمويين إلى بلاد النوبة وساحل البحر الأحمر ويبدو أن بعضهم استقر فى بلاد النوبة ثم انتقل منها إلى ارض الجزيرة أو أنهم لجأوا إلى أراضى الحبشة ومنها إلى الجزيرة وإن استقرارهم فى مناطقهم هذه يرجع لعام 132هـ (714م)<sup>(89)</sup>.

وقد ترجع أقدم إشارة خطية إلى صلة الفونج بالأمويين فى وثيقة ترجع إلى الربع الأول من القرن السابع عشر بعثها السلطان محمد بادى (ولعله بادى سيد القوم) إلى بنى أمية الساكنين دار دنقلا يوضح فيها انه اموى مثلهم<sup>(90)</sup>. ويبدو أن هدف الوثيقة تأكيد نسب الفونج الاموى لأهل دنقلا لان تاريخ الوثيقة يوافق توتر علاقات الفونج بالعبدلاب إلى أن اقتتل الطرفان فى معركة كركوج حيث تمت هزيمة العبدلاب وهرب بعضهم إلى دنقلا وأعلنوا رأيهم فى نسب الفونج ولم تصف العلاقات إلا بعد وساطة إدريس ود الأرباب. وهناك مخطوطة ترجع إلى القرن السابع عشر الميلادى تفيد بان الفونج من العمرين سلالة سليمان بن عبد الملك بن مروان الاموى الذى هرب من

<sup>(86)</sup> Macmichael H. A:Op. Ci, P. 36-37.

<sup>(87)</sup> الجزيرة المقصود بها المنطقة الواقعة بين النيلين الأبيض والأسود وتحد شمالا ملتقى النهرين وجنوبا بالخط الذى يفصل بين كوستى على النيل الأبيض وسنار على النيل الأزرق.

<sup>(88)</sup> نعوم شغير: مرجع سبق ذكره، ص 307.

<sup>(89)</sup> شوقى عطا الله الجمل: مرجع سبق ذكره، ص 307.

<sup>(90)</sup> Yousf Fadl Hassan Op. Cit, P 45.

نُشِم إلى الحبشة ومنها إلى السودان حيث تزوج سليمان بنت الملك وولد منها ولدين هما داوود وانس أو اودون واونسه<sup>(91)</sup>. إلا أن عبد الله وعبيد الله ابنا مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية هربا بعد سقوط الدولة الأموية فى سنة 168هـ - 750م ولم يسمح لهما ملك النوبة بالبقاء فى بلاده فعادوا إلى الحجاز عن طريق بواضع وفى طريقهما عبر بلاد البجة قتل عبدالله وعبر عبيد الله البحر إلى الحجاز. ومن ثم ليس هناك ما يؤكد بقاء فئة منهم منذ ذلك التاريخ<sup>(92)</sup>. ويضيف السمر قندى إن سلالة انس وداوود تزاجوا بين السودانين حتى أصبح من الصعب التفريق بينهم<sup>(93)</sup>. إلا أن بعض الباحثين البريطانيين لم يرق لهم أن يكون الفونج من العرب واخذوا يبحثون عن اصل آخر ومنهم جيمس بروس<sup>(94)</sup> الذى اعترض على انتساب ملك الفونج إلى الأمويين قائلا أن سواد لونه وتجاعيد شعره يدلان على انه من الشلك<sup>(95)</sup> ولكن من الخطأ إذا حسبنا أن عروبة المرء شكلة ولون بشرته ومع كل أننا نرى أن بيت الزعامة الونجية لا يعدو أن يكون من البيت الاموى وقد تزوج واختلط بعناصر أخرى كان لها اثر فى تغيير سحنة جماعتها إلى اللون الأسمر فى بشرة الأنجال ونذكر هنا أن الأمير احمد بن الخليفة الظاهر العباسى الملقب بابى العباس الذى دخل مصر بعد غزو التتر لبغداد سنة (653هـ - 1255م) كان شديد السمرة وكان وصول هذا الأمير إلى مصر سنة 659-1260م واستقبله السلطان الظاهر بيبرس ثم بايعه بالخلافة<sup>(96)</sup>. وقد قام العرب فى مختلف الأصقاع التى رحلوا إليها بالتزاج من سكان تلك الأقاليم فنتج عن ذلك منهم الأسود والأسمر وغيرهم. ولهذا فإنه ليس هناك ما يمنع من أن يصبح الأمويون بهذا اللون الذى رآهم به جيمس بروس والذى قال بسببه انه يظن أنهم من الشلك.

(91) احمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص9.

(92) Yousf Fadl Hassan Op. Cit, P45

(93) Mac Michael, Opcitp 105

(94) بروس جيمس. رحلة سكتلندى رار سلطنة سنار عام 1772 وكتب كتاب بعنوان.

Travels O Discover The Cource Of The Nile In The Years 1768-1773. 6vols

(95) Bruce, VII/P90.

(96) ضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية إلى وادى النيل (مصر والسودان)، السعودية، الرياض، مكتبة التوبة (1421هـ-2001م) ص 349.

واعتقد أن وصول الأمويين إلى منطقة جنوب سنار كان بعد رحلات طويلة وقرون عديدة. ويرجح يوسف فضل أن أصل الفونج يرجع إلى فئة من عرب جهينة<sup>(97)</sup> الذين أشار إليهم بن خلدون قائلاً أنهم بلغوا أطراف الحبشة ويجب أن لا نهتم بالتفاصيل التي تتحدث عن الأصل الأموي لأنها. ترجع إلى القرن الثامن الميلادي وحتى لو تأكد هذا النسب فإن الاختلاط والتزاوج والمصاهرة التي تمت بين القبائل العربية الوافدة مع العناصر الوطنية السوداء هذا الاختلاط نتج عنه محو كل ما يميز العرب عن السود وفي النهاية هم شعب اسود قدم من اعالي النيل الأزرق وسيطر على الجزء الجنوبي من الجزيرة<sup>(98)</sup>.

## 2- الأصل الشلكاوى:

يعتبر جيمس بروس أول من نسب الطبقة الحاكمة من الفونج إلى أصل الشلكا ويبدو أنه جمع معلوماته من احمد سيد القوم مدير شئون القصر الملكي آنذاك وخلاصة ما جمعه هو إن أمه من السود تعرف بالشلكا تسكن الشواطئ الغربية للنيل الأبيض إذ هجموا على الولايات العربية وهزموها في معركة اربجي وعند قيام مملكة الفونج كان الملك وجميع الشلكا عبده الأوثان ولكنهم اسلموا بغرض التجارة مع القاهرة وفسر كلمة الفونج بمعنى سادة أو أحرار<sup>(99)</sup>. يبدو إن قول بروس غير صحيح؛ لان كل المؤرخين اجمعوا إن الملك عند قيام دولة الفونج كان مسلماً ونحن نعلم إن الصلة بين السودان ومصر قديمة قدم التاريخ وهذه الصلة التي أسهمت في ازدياد نفوذ المسلمين في السودان.

الشلكا من القبائل النيلية التي تسكن في منطقة فشودة على الشاطئ الأيسر للنيل الأبيض والأيمن للنيل الأزرق وكانت ديارهم تمتد إلى منطقة الجزيرة أبا ولكننا نلاحظ إن النسابة لم يستطيعوا التوفيق بين سواد بشرة الفونج وادعائهم الأصل العربي الأموي فربطوا بين أصل الفونج والشلكا. الدينكا ينسبون إلى حسن الهلالي وهو بن أمة سوداء<sup>(100)</sup>.

<sup>(97)</sup> يوسف فضل: مرجع سبق ذكره، ص 47.

<sup>(98)</sup> محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 39 هامش رقم 3.

<sup>(99)</sup> نفسه، ص 50-51.

<sup>(100)</sup> Mac Michael, Opci, P-127.



ومما يرجح وجود صلة بين الشلك والفونج تشابه القتل الطقس عند الفونج مثلما كان منتشرا عند الشلك<sup>(101)</sup>. ثم إن وجود بعض المقاطع مثل (با) و (فا) فى أسماء القرى عند الشلك وقرى منطقة فازوغلى وانتشار نفس الأسماء فى المنطقتين وذلك يقوى وجود الصلة بين الشلك والفونج إما عن طريق الغزو أو الهجرة<sup>(102)</sup> أو الجوار. وإن تعذر إثبات وجود صلة عرقية بين الشلك والأسر الحاكمة فى مملكة الفونج هذا لا ينفى وجود علاقات لغوية وثقافية بين الشلك والشعوب القاطنة جنوب مملكة الفونج فى المنطقة التى تعرف باسم فازوغلى أو جبال الهمج والتى توصل بعض المؤرخين إلى أنها مهد الأسرة التى أنشأت تلك المملكة مع العلم بأن دولة الشلك امتدت إلى الكورة (أليس) على النيل الأبيض حتى منطقة الجبال (موية- بيوت- دود) وهى حلقة الوصل<sup>(103)</sup> بين كوستى حاليا على النيل الأبيض وسنار على النيل الأزرق.

### 3- الأصل البرناوى:

نسب المؤرخ اركل<sup>(104)</sup> اصل الفونج إلى البرنو بعد إن جمع قدرا من الروايات المتداولة فى دارفور واصلتها بمملكة برنو وخلاصة راية إن عمان ابن سلطان برنو بعد هزيمته نزع إلى حوض وأدى النيل حيث سيطر على الشلك ثم على مملكة سوبا ويؤيد نظريته بأن البرنو والفونج يدينون بالمذهب المالكى ويضيف بأن اسم عمارة يكثر فى منطقة برنو لكن المذهب المالكى دخل مملكة الفونج من مصر وإن منطقة برنو هاجر إليها العلماء من المغرب والصلة الثقافية ليست دليلا على وحده المواطن وكذلك تشابه الأسماء.

(101) يوسف فضل: القتل الطقس عند الفونج، مجلة الدراسات السودانية، السودان، الخرطوم، مجلد 2 عدد أول، 1970 م، ص 32-42.

(102) Crawford: The Funj Kingdom Of Sennar, Gloucester, P127.

(103) يوسف فضل: مرجع سبق ذكره، ص 54.

(104) اركل هو احد مفتشى الحكومة الثنائية فى السودان وكتب كتابا وعدة مقالات فى مجلة السودان فى رسائل ومدونات S.N.R وهو ليس راوية مثل جيمس بروس إنما باحث وراية أخذه من البرنو عندما كان مفتشا فى مديرية دارفور.



## - الخاتمة:

ابعد هولت والباحثة تويده في انتساب الفونج إلى اصل البرنو وذكر إن واحدا من المخطوطتين اللتين تؤرخان لملوك البرنو لا تذكر شيئا عن طرد عثمان بن كادي من بلاده<sup>(105)</sup>. ومن ثم قام هولت بدراسة اصل الفونج على ضوء ما جاء في مخطوطة كاتب الشونة نسخة فينا حيث ابعد قرة انتساب الفونج إلى بنى أمية وتقول المخطوطة (الشائع إن كبارهم يجتمعون عند كبيرهم ويأتون بالطعام فأكل من سبق اكلوه ويقيمون بالجيل حتى جاءهم رجل من السافل فنزل بينهم ونظر أحوالهم فأشار عليهم وصار كلما جاء طعام يحبس حتى يجتمع فيقوم ويفرق عليهم فكانوا يأكلون ويفضل الباقي فقالوا رجل مبارك لن يفارقنا فزوجوه بنت ملكهم وولدت ولدا فلما كبر مات جده فاتفق رأيهم إن يجعلوه محل جده ويتبعوه ففعلوا ذلك ويذكر نادلر<sup>(106)</sup> رواية مشابهة لرواية كاتب الشونة يقول فيها إن عبد الله بن عبد الحكم الاموي لجأ إلى الحبشة بعد قيام الخلافة العباسية ودرس القرآن ودرسة وكسب عطف الناس وعلمهم طريقة الأكل الصحيحة فنزلت البركة على ما يأكلون وفرح به الملك وزوجة بنته وكان من أبنائه عمارة دونقس.

والفونج سواء أكانوا ينتسبون إلى بنى أمية أو من الشلك وهو الأرجح عندي فهم قوم جاءوا من اعالي النيل الأزرق واختلطوا بالسكان وسيطروا على جنوب الجزيرة<sup>(107)</sup>.

والملاحظ في التشابه بين رواية كاتب الشونة ونادلر زواج الرجل من بنت الملك وتولى ابنة العرش مستغلا نظام الوراثة عن طريق الأم ذلك النظام الذي كان موجودا في شرق وشمال وجنوب السودان وهناك ما يشبه الإجماع في هذه الروايات من انه عربي مسلم وربما كان أمويا. وهناك أسطورة صومالية تذكر بأن هنالك أسرة

<sup>(105)</sup> Holt: Op. Cit, J.A.H, Iv. L.P40-42.

<sup>(106)</sup> Nadler, L. F. "Fung Origins," S.N.R, Xiv Part 1 (1931), 63-64.

<sup>(107)</sup> محمد النور بن ضيف الله: الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 39 هامش رقم 3.

صومالية تعرف باسم (عيلة فون) رحلت من الصومال واستقرت فى الاراضى السودانية وأطلقت اسمها على منطقة عليفون واشتبكت مع الحاكم النوبى بمؤازرة العرب المسلمين واستولت على الحكم فى الاراضى السودانية حيث ظهرت إلى الوجود باسم سلطنة الفونج<sup>(108)</sup> ولا نشك فى إن قبول القبائل العربية فى السودان لزعامة الفونج لابد أنها بسبب قوى يعود إلى زعامة تاريخية وليس هناك من يستحق ذلك سوى آل هاشم أو آل أمية. ومن ثم فإن الفونج وغيرهم من القبائل الشمالية ما هم إلا خليط من أب عربى وأم شلكاوية أو دينكاوية أو أى من قبائل جنوب السودان فالعرب لم يحضروا نساءهم فتزوجوا بأهل البلد الأصليين واسترقوهم أو سبوهن وأصبحن أمهات لأولادهم.

#### - التحالف السياسى بين عمارة دنقس والعبدلاب:

فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى لفظت مملكة علوة المسيحية آخر أنفاسها حيث تكاثر العرب فى إقليمها واعتنق كثير من رعاياها الإسلام واختلطوا بالعرب وتحدثوا العربية وفى هذا التاريخ تم ميلاد دولة الفونج الإسلامية التى اشتملت على عناصر مختلفة عربية وحامية وشبه زنجية لذا نجدهم ذوى ثقافات مختلفة ومختلطة ويصف حالهم صاحب الطبقات<sup>(109)</sup>. قائلًا لم تشتهر فى تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن ويقال إن الرجل يطلق المرأة ويتزوجها غيره فى نهاره من غير عدة وهذا يوضح مدى الجهل الذى كان يعم المنطقة آنذاك .

نشأت مملكة الفونج الإسلامية فى 1504م بتحالف كل من الفونج والعبدلاب ويروى الشيخ عبد الدافع<sup>(110)</sup>. انتقل الفونج من جبال الجنوب<sup>(111)</sup> إلى جبل موية المجاور لجبل سقدي على مقربة من سنار وكان كبيرهم عمارة ود دنقس وفى جوارهم قبيلة من عرب جهينة تعرف بالقواسمة وعليها شيخ شديد ألباس يقال له عبد الله جماع

<sup>(108)</sup> ضرار صالح ضرار: هجرة القبائل، ص357.

<sup>(109)</sup> محمد النور بن ضيف الله، ص39.

<sup>(110)</sup> نعوم شقير: مصدر سبق ذكره، ص386.

<sup>(111)</sup> جبال الجنوب يقصد بها جنوب منطقة كوستى حتى ملكال وجنوب جبل موية حتى فازوغلى على النيل الأزرق.

فاتحد عمارة وعبد الله على ضم كلمة المسلمين ومحاربة النوبة ونزع الملك من ايدى العنج فحشدا الجيوش وهاجما العنج فى سوبا وقتلوهم شر قتلة واخرى سوبا ثم سارا إلى قرى فقتلا ملكها واستوليا على البلاد كلها وذلك سنة 910هـ - 1505م. ويؤكد ذلك صاحب الطبقات قائلا (إن الفونج ملكت ارض النوبة وتغلبت عليها أول القرن العاشر سنة عشر بعد التسعمائة وخطت مدينة سنار خطاها الملك عمارة دونقس<sup>(112)</sup>. على اسم جارية فسميت البلاد باسمها<sup>(113)</sup>. وعرف وأدى النيل من بلاد الحبشة على النيل الأزرق إلى مشو فى إقليم دنقلا بمملكة سنار<sup>(114)</sup>).

امتدت مملكة سنار من الشلال الثالث إلى أقصى جبال فازوغلى شمالا ومن سواكن على البحر الأحمر إلى النيل الأبيض شرقا وغربا<sup>(115)</sup> وكان الحد بين مملكة سنار ومشخة قرى مدينة اربجى (الحصاحيصا الحالية) التى قيل أنها اختطت قبل سنار بثلاثين سنة<sup>(116)</sup>. واختطها رجل يسمى حجازى فمن اربجى جنوبا كان تابعا لملوك الفونج ولا دخل لمشايخ قرى فيه ومنها شمالا إلى الشلال الثالث كان تابعا لإدارة مشخة قرى تحت سيادة ملوك الفونج<sup>(117)</sup> ويستبعد يوسف فضل امتداد نفوذ العبدلاب من الجهة الجنوبية الشرقية إلى الحبشة ويذكر أنهم كانوا يسيطرون فقط على الأجزاء المتاخمة لهم من ارض البطانة<sup>(118)</sup>. هذه البلاد يحكمها شيوخ يختارهم ملك سنار أو وزيره وهم أقرباء الملك أو الشخصيات الكبيرة فى بلاطة ويسمون الفونج والسكان من النوبة والوثنيين<sup>(119)</sup> وكان ملك العبدلاب يعرف بالمانجل<sup>(120)</sup>. أو الملك.

(112) أحمد النور بن ضيف الله مرجع سبق ذكره، ص 39.

(113) نعوم شقير، مرجع سبق ذكره، ص 386.

(114) مكى شبيكة: تاريخ شعوب وأدى النيل، ص 318.

(115) نعوم شقير: مرجع سبق ذكره، ص 387.

(116) يوسف فضل: تاريخ الممالك، ص 62.

(117) نعوم شقير: مرجع سبق ذكره، ص 387.

(118) يوسف فضل: مرجع سبق ذكره، ص 62.

(119) نسيم مقار: الرحالة الأجانب فى السودان، ص 12.

(120) مانجل وما مجلق ومانجلك لقب عرف به ملوك العبدلاب فى مملكة الفونج واصل الكلمة ومعناها مختلف عليه قال يوسف فضل أنها الوزير بلهجة الهمج وقال نعوم شقير أنها مشتقة من مانجل إلا إياك وقبل أنها من امانوكيل بلهجة الطوارق وتعنى زعيم القبيلة (عون الشريف قاسم، قاموس اللهجة العامية فى السودان، ص 2، 11).

وكان حكمهم المباشر ينحصر بين حجر العسل واربجى وكانت قرى حاضرتهم أول الأمر ثم انتقلوا منها إلى حلفاية الملوك فى القرن الثامن عشر<sup>(121)</sup>. اعتمد العبدلاب على سلسلة من المشيخات ذكرها نعوم شقير<sup>(122)</sup> قائلاً ربما كانت زعامات نوبية قديمة انتقلت السلطة فيها من النوبة إلى العرب بعد إن صاهروهم وأول هذه الممالك فى الجنوب مملكة الجعليين بين حجر العسل والدامر ومركزها شندى ثم المجاذيب ومركزهم الدامر ويمثلون الزعامة الدينية ثم مشيخة الميرفاب ومركزهم بربر ولهم ككر وطاقيه واشتهروا بالكرم والشجاعة ثم مشيخة الرباطاب والمناصير والشايقية ومملكة الدفار ودنقلا والخندق وأرقو ومن هذا يتضح إن العبدلاب سيطروا على رقعة واسعة.

هذا التحالف الذى تم بين الفونج والعبدلاب يمثل نوعاً من الحكم الثنائى الذى يعطى الفونج المقدمة فى إدارة البلاد وعلى الرغم من إن عمارة وعبد الله كانوا كالأخوين إلا إن رتبة عمارة أعلى من رتبة عبد الله ويذكر كاتب الشونة<sup>(123)</sup> إن عمارة كان الملك بعد إن قاتل العنج وتمتاز حكومة مملكة الفونج الإسلامية باللامركزية حيث كانت المملكة مقسمة إلى عدة ممالك ومشيخات من سود ونوبة وعرب وحضر وبادية وكان كل ملك أو شيخ يدفع الجزية لملك سنار إلا إن له نوعاً من الاستقلال<sup>(124)</sup> وكان تدخل سلاطين الفونج فى شئون الأقاليم لا يتعدى الضرائب وتعيين شيخ أو زعيم وهو ما يعرف بالملك وذلك فى المملكات التى تخضع لهم مباشرة بما فى ذلك ملوك العبدلاب<sup>(125)</sup> وإذا رفضت المشيخات تسديد ما عليها من ضرائب أو الامتثال لاختيار السلطان لشخص معين ومن ثم فإن قوة جيش الفونج الرادعة كانت صمام الأمان لكثير من حالات التمرد<sup>(126)</sup>. وإذا مات للعبدلاب ملك

(121) يوسف فضل: مرجع سبق ذكره، ص 62.

(122) جغرافية وتاريخ السودان ج 2، 424-431.

(123) أحمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره ص 6.

(124) نعوم شقير، مرجع سبق ذكره، ص 387.

(125) يوسف فضل: تاريخ الممالك، ص 67.

(126) نفسه، ص 60.



اختار أهل الحل والربط من البيت خليفة له من ابناة أو إخوانه ويجب إن يؤيد من ملك الفونج<sup>(127)</sup>. الذين يختارون أكثر الأشخاص ملائمة لهم لتنفيذ سياستهم.

كان سلاطين الفونج يحكمون الجزء الجنوبي من الجزيرة بين اربجي وسنار حكما مباشرا ويشرفون على المشيخات شبه المستقلة والتي أوردتها نعوم شقير فيما يلي<sup>(128)</sup>:

1- مشيخه خشم البحر التي تقع على النيل الأزرق بين رنقة والروصيرص ويقال شيخ البحر كان من القواسمة إلا أنهم صاهروا الفونج.

2- مشيخه فازو غلى بالقرب من الروصيرص وتدل أسماء ملوكها التي أوردتها نعوم شقير بأنهم لم يختلطوا كثيرا بالعرب وبيبينهم كثير من عبده الأوثان.

3- مشيخه الحمدة وقامت على نهر الدندر ومشايخها يخاطبون بلفظ مانجل.

4- مشيخه بنى عامر وقامت على البحر الأحمر وتشمل أربع قبائل هي البجة والخاس وبنو عامر والفايئاب منحهم ملك سنار ككر وطاقيه ولغتهم العربية.

5- مشيخه الحلقه فى جبل كسلا على القاش.

كانت مشيخة العبدلاب فى سلطنة الفونج تشبة دولة داخل دولة لها نظامها المتميز فى مجال الحكم والقضاء والنظم المالية والعسكرية وجرى حكمها على أساس نظام الوراثة المحصورة فى أبناء وأحفاد عبدالله جماع.

واعتمد الفونج مثل العبدلاب على عنصر المصاهرة لتقوية علاقاتهم بالقبائل فكانوا يزوجون حكام الأقاليم من زعماء القبائل من أميرات بلاطهم فيضمنوا بذلك مراقبة الزوجات لأزواجهن الزعماء ويضمنون كذلك تنشئة خلفائهم على الولاء للفونج<sup>(129)</sup>. اعتمدت مملكة الفونج فى تنفيذ سياستها على جيش مدرب أهم عنصر فيه الخيالة ذوو الأسلحة الثقيلة وهى عبارة عن قميص من الحديد وخوذة نحاس ورمح

(127) نفسة نفس الصفحة، نفس الصفحة.

(128) جغرافية وتاريخ السودان ج2، ص421-423.

(129) قيصر موسى: فترة انتشار الإسلام والسلطنات، (641-1821 السودان الخرطوم، ص58.

وسيف ودرع وكان الجنود من السود يركبون جيادا سوداء وهذا<sup>(130)</sup> الجيش يتكون من الرقيق والمرترقة<sup>(131)</sup>. وحسب ما ذكر بروس لم يكن عدد الجيش كبير ولكن يبدو انه فى حالة الحرب يجمعون خيالة ومشاة من سائر القبائل. وفى عهد السلطان بادى أبو دقن قل الاعتماد على الجنود التقليديين (جنود لولو) بعد الإعداد الكبيرة من الأسرى الذين سبواهم من غزو الفونج لمملكة تقلى والنوبة حيث شيد الملك لكل جندى مكانا للسكن وصاروا من جملة جنوده وتنازلوا فيها وكل حلة أطلق عليها اسم الجيش الساكن بها<sup>(132)</sup>. ازداد عددهم حتى اعتبرتهم العناصر التقليدية فى جيش الفونج خطرا عليها. وهذا الجيش يذكرنا بالحرس الذى اتخذه الخليفة المعتصم بالله وثار عليه المماليك فى مصر. وأول احتجاج على هذا الجيش كان فى عهد السلطان بادى الأحمر (1692-1716م) من الفونج والعبدلاب إلا إن السلطان بادى هزمهم وتمكن (جنود لولو) من عزل ابنه اونسه الثالث (1716-1720) ولعل دواعى العزل كانت احتضانه للرقيق كابية<sup>(133)</sup> ويبدو إن وجود هذا النوع من الجنود سيكون له رد فعل سئ على استمرارية الدولة.

بدا الاختلال بين ميزان القوى الذى ينظم العلاقات بين الحليفين الفونج والعبدلاب وظهر الصدام بينهم وتختلف الروايات فى تحديد أسباب هذا الصدام وتذكر روايات العبدلاب إن السبب هو اختلاف فى المسائل الدينية ولكن يبدو إن العبدلاب أرادوا التخلص من تلك التبعية بعد إن أحسوا بشئ من القوة ويرجع يوسف فضل سبب الصدام إلى السياسة التنظيمية التى ابتدراها السلطان دكين بن نايل (1563-1570م) الذى يروى عنه انه رتب الدواوين أحسن ترتيب وجعل لهم قوانين مربوطة لا يتعداها احد من جميع مملكته وجعل لكل جهة من جهات مملكته رئيسا معلوما ويبدو إن هذا التصرف أدى إلى اختلال فى ميزان القوى مما جعل الشيخ عجيب يستشير الولي

<sup>(130)</sup> Bruce, J.: Op.Cit, P391.

<sup>(131)</sup> شوقى عطا الله الجمل: مرجع سبق ذكره، ج1، ص310.

<sup>(132)</sup> احمد بن الجاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص9-10.

<sup>(133)</sup> يوسف فضل، مرجع سبق ذكره، ص69.

الشيخ إدريس ود الأرباب قائلاً إن الفونج غيروا العوايد علينا<sup>(134)</sup> فأشار عليه الشيخ بعدم حربهم ولم يسمع الشيخ عجيب النصيح وعصا سلطان الفونج فبعث له السلطان عدلان ولدداية (1612-1640م) جيشاً بقيادة بادي بن رباط الذى هزمهم وقتل الشيخ عجيب<sup>(135)</sup>.

أضعفت سلطة الفونج بعد تسلط الوزراء الهمج عليهم وذلك بعد انتقال السلطة إلى السلطان نول الذى تربطه صلة قرى بالاونساب عن طريق امة<sup>(136)</sup>. وفى عهد السلطان بادي طرد أعيان الفونج واعتمد على الرقيق وحتى يتخلص من منافسية بعثهم فى جيش لمحاربة المسبغات فى كردفان سنة 1747م.

وبدأ تسلط الهمج<sup>(137)</sup> على الحكم وتوارث وزراءهم الأمر حتى سقطت دولة الفونج وشهدت الأربعون سنة الأخيرة من حكم الفونج سلسلة من الحروب الأهلية والثورات الداخلية ولما زحف الجيش التركى عام 1820م لم يجد مقاومة إلا من الشايقية فى الشمال وخضعت له البلاد بعد إن مزقتها الخلافات القبلية وصراعات الفونج والهمج فيما بينهم.

### ج- العلاقة بين الفونج والعبدلاب:

لم تجد العلاقة بين الفونج والعبدلاب تقويماً دقيقاً من الباحثين وربما يرجع ذلك إلى ندرة المصادر الأصلية التى بحثت فى هذا الموضوع مع العلم بان اغلب الكتاب الأجانب<sup>(138)</sup> الذين كتبوا عن دولة الفونج حددوا العلاقة بأنها علاقة حاكم بنائبة

<sup>(134)</sup> محمد النور بن ضيف الله: مرجع سبق ذكره، ص 63.

<sup>(135)</sup> نفسه ص 64.

<sup>(136)</sup> يوسف فضل، مرجع سبق ذكره، ص 71.

<sup>(137)</sup> هم بقايا الشعوب الأصلية التى كانت تسكن الجزيرة عند قيام مملكة الفونج ويقول البعض أنهم خليط من النوبة والعرب (نفسه، ص 72).

<sup>(138)</sup> من هؤلاء الرحالة بوركهاردت وطايو وبروس وكرمب وبونسية وجميعهم قصدوا سنار ووجدوا الترحيب من ملوكها وربما دونوا منهم هذه المعلومات (انظر نكولز، الشايقية، ص 22) لذا ربما انحاز هؤلاء الرحالة إلى جانب الفونج هذا بالإضافة إلى إن بروس جمع معلومات من احمد سيد القوم الذى يحسب من أفراد البيت المالك لهذا يمكن إن تعد كتابات هؤلاء الرحالة تمثل وجهة نظر الفونج.



أو وزيرة وحتى الباحثين المحدثين الذين جاءوا بعدهم رددوا هذا الرأي<sup>(139)</sup> إلا إن مصادر العبدلاب لها موقفا مغايرا لذا رأينا إن نوضحة قبل محاولة الوصول إلى رأى نراه جديرا بالترجيح ترى مصادر العبدلاب إن الفضل فى إسقاط مملكة علوة وقيام مملكة سنار يرجع إلى عبدالله جماع الذى نجح فى جمع شمل القبائل العربية وتوحيد كلمتها لمحاربة العنج واستطاع إن يفتح مدن مملكة علوة الواحد تلو الأخرى<sup>(140)</sup> ولهذا هم ملوك البلاد الحقيقيين.

إن هنا يتبين للقارئ صورة الدولة والحكم الذى كان قائما فى السودان فى الفترة من 910-1236هـ - 1504-1821م هى دولة لها قاعدتان أحدهما سنار وزعامتها على السود والجزيرة والنيل الأزرق حتى الروصيرص والكرمك والجبال المتاخمة للحبشة والثانية فى قرى وزعامتها على العرب من الحبشة جنوبا إلى أسوان شمالا وإلى سواكن شرقا وإلى سلطنة الفور غربا<sup>(141)</sup> وكل من العبدلاب والفونج يتصر بحرية فى منطقة وله السيادة المطلقة لاسلطان لاحدهما على الآخر إلا التفاهم فى الأمور التى تهدد البلاط بخطر وتذهب روايات العبدلاب إلى أنه حين أتوا دنقلا احضروا معهم الفونج وعينوا منهم وزراء وهذا يوحى إن السيطرة كانت فى يد العبدلاب وتقول مصادرهم إن سبب عدوانهم مع الفونج فى عهد عجيب هو زعم الفونج إن هناك اتفاقا يمنح الفونج حق الأفضلية على العبدلاب ولم يكن فى وسع

<sup>(139)</sup> من هؤلاء المحدثين مصطفى محمد مسعد الذى ذكر إن شروط الحلف إن يكون عمارة هو المقدم على عبد الله فى الزعامة وحمل لقب ملك وإن يحل عبدالله محله مدة غيابة أى أنه بمثابة نائب الملك. مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى، مصر، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1960م ص208 ومنهم كذلك محمد عوض الذى وصف شيخ العبدلاب بنائب الملك، السودان الشمالى سكانية وقبائلة، مصر، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، الطبعة الأولى، 1951م، ص218، وكذلك حسن محمد الفاتح قريب الله، التصوف فى السودان فى نهاية عصر الفونج، لسودان، الخرطوم، آداب جامعة الخرطوم 1987، ص125، وعبد العزيز أمين عبد المجيد، التربية فى السودان فى القرن التاسع عشر، مصر، القاهرة، 1949م ج1، ص28.

<sup>(140)</sup> محمد صالح محى الدين: مشيخة العبدلاب وإثرها فى تاريخ السودان السياسى 910هـ، 1236هـ، 1504م-1821م. السودان، الخرطوم، الدار السودانية للكتب 1392هـ -1972م، ص17.

<sup>(141)</sup> محمد صالح محى الدين: مشيخة العبدلاب وإثرها فى تاريخ السودان الحديث (910هـ - 1236هـ، 1504م-1821م) السودان، الخرطوم، الدار السودانية للكتب، 1972م، ص19.



عجيب إلا إن ينكر ويؤكد انه الملك الأوحده ثم ساق جيشة وطرده الفونج من سنار<sup>(142)</sup> وعلى ضوء ما سبق يتبين لنا من مصادر العبدلاب المخطوطة إن كل واقعة تنطبق بالاستقلال الكامل للعبدلاب وتتفى التبعية جملة وتفصيلا حتى إن الحرب التي نشبت بين الفونج والمسبغات فى (1160هـ - 1754) ذكرت مصادرهم انه كانت بينهم وبين مسبغات باعتبار إن كردفان كانت تتبع لهم وتعرضت لغزو مسبغات ولما حاربهم شيخ العبدلاب قتل ومعه أخوة وابن أخية ولما سمع ملك سنار خشى إن يثار شيخ العبدلاب الجديد لأبيه وعمه وابن عمه فتدخل حسب العهد التي كانت مبرمة بين الحكومتين<sup>(143)</sup> وهكذا فان مصادرهم تحرروهم من أى نفوذ.

### - استقلال العبدلاب:

ورد فى كتاب الطبقات ما يوحى باستقلالية العبدلاب ووجود حكومتين منفصلتين فى السودان فيقول ود ضيف الله بن محمد الجعلى الفضلى عندما يتحدث عن العلماء الذين قدموا للسودان فيقول: (وقدومهم فى دولة الملك بادي أبو رباط وفى قرى الأمر داير بين قنيسى وعجيب)<sup>(144)</sup>.

إذا كانت سنار فقط لاكتفى بذكر ملك الفونج لكنه ذكر قرى كذلك باعتبارهما دولتين مستقلتين وعندما يترجم للشيخ بدر الدين أم باري يقول (هو احد الأئمة الأربعة الذين كانوا فى عصر واحد وانقادت لهم العرب والعجم)<sup>(145)</sup> من يتأمل هذا النص يقرأ بان كل منها دولة قائمة بذاتها دولة للعرب وأخرى للعجم.

وفى ترجمة الشيخ النور أبو قصه يقول (اعطاه الله قبولا عند ملوك الفونج والعرب) وإذا كان العرب جزء من الفونج لاكتفى ود ضيف الله بذكر الفونج ولكنة فصل الفونج عن العرب.

(142) نفسه، ص 20.

(143) محمد صالح محي الدين، مرجع سبق ذكره، ص 40.

(144) الطبقات: (نسخة صديق)، ص 5-6.

(145) نفسه، ص 37.

ثم يتحدث عن تاج الدين البهارى قائلاً (وقدومة أول النصف الثانى من القرن العاشر أول ملك الشيخ عجيب المانجلك<sup>(146)</sup>) هو من الأهمية بمكان ويدل إن شيخ العبدلاب كان أوسع شهرة من ملك الفونج والدليل يؤرخ بمدة حكمه. كثيرة نصوص الطبقات التى توحى بوجود حكومتين وربما عبر عنها صاحبها وهو لا يقصد فيقول فيه ترجمة الشيخ حمد بن إدريس ود الأرباب (ولى الخلافة بعد أبيه وقام مقامه فى الهيبة والقبول والسكينة والوقار وعجز العرب والفونج)<sup>(147)</sup> ويقول كذلك (الشيخ بدوى تهدي له سنار وقرى)<sup>(148)</sup> وسنار عاصمة الفونج وقرى عاصمة العبدلاب وبهما يشار إلى الدولتين.

اعتقد إن استقلال العبدلاب يظهر بوضوح فى حرية التصرف فى ارض المناطق التى تخضع لنفوذهم بهبة الأرض أو هبه غلتها أو إسقاط خراجها ويقول ود ضيف الله فى ذلك إن الشيخ حمد ود أم مريوم كانت له ارض زراعية مفروض عليها نص الخراج ولما حمل ما عليها لشيخ العبدلاب سألهم عن صاحبها فعلم انه فقيه فقال شيخ العبدلاب الأرض وغلتها تصدقنا بها عليه<sup>(149)</sup>. كثيرة هى نصوص الطبقات التى توضح بان كلا من العبدلاب والفونج قائم بذاته ولا تتبع دولة أحدهما للآخر.

وتروى الطبقات إن محمد ولد أبو سنجر ذهب من الحلفاية (تابع للعبدلاب) إلى سنار ليطلب من الشيخ عمار بن عبد الحفيظ إن يشفع له عند الشيخ عجيب شيخ العبدلاب (كان العلماء لا ترد لهم شفاعاة) ليعفيه من إخراج رض على أرضه<sup>(150)</sup> هذا دليل على إن العبدلاب لهم سلطان على مشيختهم.

(146) نفسه، ص 44.

(147) الطبقات: نسخة صديق، ص 58.

(148) نفسه، ص 39.

(149) نفسه، ص 39.

(150) محمد النور بن ضيف الله: مرجع سبق ذكره، ص 117-118.

نستنتج من مخطوطة كاتب الشونة إن الملك بادی أبو دقن منح العبدلاب الامتياز الذى أعطاه لنفسه عندما شيد لنفسه قصر الحكومة وتقول المخطوطة (وعين لكل واحد من كبرياء دولته بابا يدخل منه ويخرج ... إما الباب التاسع فلا يدخل منه احد ولا يخرج إلا الملك نفسه أو ولد عجيب<sup>(151)</sup>) هذا اعتراف ضمنى بمساواة العبدلاب مع الفونج.

ويروى كروفورد<sup>(152)</sup> كيف إن ملك الفونج أرسل طبيبه الخاص كرمب رغم مرضه لمعالجة شيخ العبدلاب حرصا منه على العلاقة التى كانت تربط بين الدولتين.

يتضح مما تقدم إن العبدلاب كانوا يسيطرون على مشيختهم دونما تدخل من الفونج إلا إن ما ذكره إبراهيم عبد الدافع يخالف ذلك حيث يقول (ولما تم لهم النصر على النوبة واستولوا على محلاتهم اتفق رأى عمارة بان يكون هو الملك عوضا عن ملك علوة التى هى سوبا كونه الكبير وعبد الله يكون فى مكان ملك قرى وكان عمارة وعبد الله كالأخوين إلا إن رتبة عمارة أعلى ورتبة عبد الله دونه إذا كانا حاضرين فيكون المقدم وإذا غاب عمارة يكون عبد الله هو المقدم على الجميع ويعامل بما يعامل به عمارة ولم تزل تلك العادة جارية بين ذراعيهم إلى انقضاء مملكتهم<sup>(153)</sup>).

إما مخطوطة كاتب الشونة والتى هى اصل كل المخطوطات فيرى صاحبها (... وقطع أشجارها (غابة سنار) الملك عمارة دونقس وهو أولهم وصار ملكهم بها بعد إن قاتل الفونج مع عبدالله القرينأتى القاسمى أبى عجيب الكافوة ورجع إليه وبقي ملكة فيها والشيخ عبدالله المذكور فى قرى<sup>(154)</sup>).

(151) أحمد بن الحاج أبو على: مرجع سبق ذكره، ص 10.

(152) Crowford, O.G.S: The Fung Kingdom Of Sennar, Pp, 221.

(153) أحمد بن الحاج أبو على: تاريخ ملوك السودان وإقاليمه تحقيق مكى شبكية، السودان، الخرطوم، مطبوعات كلية غردون، 1947م - ص 5-6.

(154) أكد الشاطر بصيلى محقق هذه المخطوطة: أنها من وضع الشيخ احمد بن الحاج أبو على كاتب الشونة وأنها اصل كل المخطوطات وأصحبها (مقدمة مخطوطة كاتب الشونة).

لم يرد فى هذه المخطوطة الجزء الذى أخذناه من مخطوطة عبد الدافع والذى يبدأ بـ (ثم اتفق رأى عمارة بان يكون هو الملك ... الخ) مما يدل على أنها من وضع إبراهيم عبد الدافع ويؤيد الشاطر بصيلى ذلك بقوله (إن الشيخ إبراهيم (1800-1882) قام بتقحيح هذه النسخة من ناحية الصياغة أضاف إليها وغير وبدل)<sup>(155)</sup>.

ومما سبق أرجح إن تكون العبارات التى ميزت عمارة دونقس على عبدالله جماع لم يقلها كاتب المخطوطة الأصلية وإنما أضيفت لاحقاً وعليه هنالك احتمال إن يكون عبدالله جماع وهو الأساس فى قتال الفونج<sup>(156)</sup> وهو ما استنتجته مكى شببكة عندما قال (إن عمارة حارب الفونج مع عبد الله جماع ولا يتضح لنا زمام المبادأة كان بيد عمارة أم عبد الله ولكن مفهوم العبارة يوضح إن عمارة كان المساعد لعبد الله جماع<sup>(157)</sup>) وهنالك احتمال آخر ذكرناه سابقاً وهو إن كل منهم اختار المنطقة التى ألف بيئتها دون ضغط من عمارة كونه الكبير. وإذا صح إن عمارة ساعد عبدالله جماع حتى نجحاً فى وضع نهاية مملكة علوة واختار كل منهما مكانة المناسب إذن عبارات التبعية التى تفهم من بعض الصياغات لا وجود لها إذ لا يدل عليها المصدر الاساسى القديم واستبعد إن يقبل عبدالله جماع إن يكون أقل من عمارة وهو الذى حقق هذا النصر.

يضيف كاتب الشونة: (ثم ملك بعده المك عدلان ولد ولدداية وهو صاحب قصاب كركوج وهو الذى قتل الشيخ عجيب الكافوتة لما عصاه وخرج عن طاعته سار إليه من سنار ويقال انه نزل بالتي<sup>(158)</sup>) هذه السطور توضح نفوذ الفونج على العبدلاب وهذا يناقض ما ذكرناه عن استقلالهم وان صحت هذه الرواية ونحن نشك فى ذلك لان واقعة كركوج حدثت فى 1017هـ - 1609م وكتب احمد أبو على مخطوطة الشونة فى 1250 هـ - 1842م<sup>(159)</sup> وكما هو واضح هناك فترة زمنية تقرب من القرنين والنصف

(155) نفس المخطوطة، المقدمة.

(156) جمعت عن ذلك كل مصادر العبدلاب ويوسف فضل وهولت وما كمايكل.

(157) مكى شببكة مملكة الفونج الإسلامية، ص 25.

(158) احمد بن الحاج أبو على: مرجع سبق ذكره، ص 8.

(159) انظر مقدمة المرجع السابق.



القرن إذن خبر هذه المعركة نقل إلى كاتب هذه السطور ربما عن طريق أحفاد الفونج الذين يروون لصالحهم أو ربما هذا الكاتب كان ينحاز لجانب الفونج ويروى تاريخهم من وجهة نظرهم ويهمل تاريخ العبدلاب لعدم اطلالة على أحوالهم<sup>(160)</sup>.

ويروى كراوفورد تمرد عجيب على ملوك الفونج ويقول إن سبب الحرب هو سعى عجيب إلى توسيع رقعة دولته على حساب مملكة الفونج<sup>(161)</sup> ونقول مصادر العبدلاب إن السبب المباشر هو إن فرض الملك عبد القادر الثاني (1003هـ-1009هـ، 1599م-1605م) على القبائل الخاضعة للعبدلاب الفروض والجبايات واخذ يقسو في تعامله معهم<sup>(162)</sup>.

### - ظاهرة الاستقلال والتبعية:

رغم ما ذكرناه من استقلال للعبدلاب إلا إن أكثر الإحداث تشير إلى إن الفونج سطع نجمهم وعلت شهرتهم وراسلهم وقصدهم الرحالة الأجانب وحملت اسمهم أول دولة إسلامية في السودان فقبل مملكة الفونج وحتى المراجع التي ذكرت استقلال العبدلاب أوضحت نوعاً من الامتياز مع مراعاة عدم انتهاك سيادة العبدلاب وارجع بعض الكتب هذه العلاقة إلى مصاهرة تمت بين البيتين لم تتحدث عنها كتب التاريخ وقال هذه المصاهرة نستوضحها من العلاقات التي نشأت بين ذرية عبدالله وعمارة دونقس<sup>(163)</sup> ربما استند هذا الكاتب على ما جاء في مخطوطة كاتب الشونة انه بعد انقطاع نسل الفونج ب وفاة أونسا بن بادي الأحمر وانتقل الحكم من سنار إلى الملك نول<sup>(164)</sup> حتى تغيرت العلاقات بين الطرفين ويفسر أبو سليم هذه العلاقة على ضوء ما ذكره الشيخ محمد الأمين والشيخ بادي بن مسمار اللذان أشارا إلى العلاقة بينهما وبين

<sup>(160)</sup> المرجع نفسه، ص 83.

<sup>(161)</sup> The Fung Kindom of Sinner, P, 66.

<sup>(162)</sup> صلاح محي الدين: مرجع سبق ذكره، ص 41.

<sup>(163)</sup> حسن إبراهيم حسن: الإسلام والثقافة العربية، ج 1، ص 318.

<sup>(164)</sup> احمد بن الحاج أبو علي: مرجع سبق ذكره، ص 20.

السلطان حيث ذكر أنهما أمينا أسرارهم ومنفذا احكامه وقد يدل هذا على درة السلطة المركزية عليها أو على نوع من الوفاق والمودة بين بلاطى سنار وقرى<sup>(165)</sup>.

والملاحظ إن هذه التبعية تقضى بان يدفع شيخ العبدلاب قدرا من المال - عينا أو نقدا لدولة الفونج رمزا لهذه التبعية ويذكر (نكولز) إن ولاية دنقلا قد أدت لسلطان سنار فى القرنين السادس عشر والسابع عشر نوعا من الجزية ونحن لا نعرف ما إذا كانت سنوية أو كانت تؤدى بنظام ماء، وما هى قيمتها<sup>(166)</sup> وبالإضافة لهذه الجزية كان لسلطان سنار حق اختيار من يخلف الحاكم المتوفى من أفراد أسرته<sup>(167)</sup> ويذكر بونسية<sup>(168)</sup> انه شاهد إثناء وجودة بسنار شيخ العبدلاب جاء إلى سنار ومعه قدر من المال والخيول والعبيد وهى ترسيخ الصداقة بين الحليفين وربما إن موارد سنار كانت محدودة<sup>(169)</sup> والأرجح أنها لم تكن جزية لأنه ليس هنالك دليل على ذلك والجزية تفرض على أهل الذمة<sup>(170)</sup> والعبدلاب مسلمين إذن هى دعم من العبدلاب للفونج وبعد إن ساءت العلاقة دفعها العبدلاب لاتقاء شر الهمج الذين عرفوا بالضعف ويشير بوركهاردت إلى إن ملك العبدلاب كان يقدم لملك سنار مالا مقابل الاعتراف به خلفا للملك المتوفى<sup>(171)</sup> هذا الاعتراف له ثمن أو بمثابة رشوة كما أطلق عليها نكولز<sup>(172)</sup> حتى يأمنوا جانب الأتراك.

(165) محمد إبراهيم أبو سليم فى تحقيقه للوثائق التى صمناها كتاب (الفونج والأرض) ص 22.

(166) و. نكولز الشايقية، ص 22.

(167) نسيم مقار: اقتصاد السودان، ص 9.

(168) Crawford: The Fung Kingdom of Sennar, P. 89.

(169) احمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص 39.

(170) آية 39 من سورة التوبة، الجزية هى ضريبة امن ودفاع وخدمات عامة وضمن اجتماعى ينال بموجبها الدافع كل صلاحية المواطن وتقدم له كل الخدمات التى تقدم إلى اخية المسلم قدما بقدم وساقا بساق ويتم تأمين املاكة وعرضة وحمايته. ويعفى من كل ما تقدم المسلم بدفعة من زكاة أو ضرائب يقتضيها الحال ولا تفرض الجزية الأعلى المستطيع ويعطى المحتاج من أهل الزمة من بيت مال المسلمين (ضمن اجتماعى).

(171) بوركهاردت: رحلات بوركهاردت فى بلاد النوبة والسودان، ترجمة فواد اندراوس، مصر، القاهرة 1959، ص 172.

(172) الشايقية، مرجع سبق ذكره، ص 32.

ولكن يبدو أن هذا المال الذى يدفعه العبدلاب. وفى مقابل المساعدة العسكرية لهم وفى ذلك يقول الشاطر بصيلى (وكان على السلطان - كما ذكرت روايات العبدلاب لن يساعد قري فى حالة الحرب)<sup>(173)</sup> على هذا يمكن أن نقول إن العلاقة بين الفونج والعبدلاب لا هى علاقة ملك بوزيرة كما ذكر البعض ولا العبدلاب هم الأصل والفونج أقل منهم حسب ما جاء فى مصادر العبدلاب بل وحتى لم يتساوى العبدلاب بالفونج.

ولما كان الفونج أصحاب ملك قديم واعرق حضارة ويمتازون بشهرة واسعة لذا منحوا هذا الجزء من موارد مشيخة العبدلاب وما نريد أن نذكره هنا هو أن العبدلاب بعد ثورة عجيب نالوا استقلالهم فى 1180هـ - 1770م<sup>(174)</sup> وبعدها كانت شخصية شيخ العبدلاب أو ملك الفونج من حيث القوة والضعف هى التى تحسم العلاقة بين الطرفين.

<sup>(173)</sup> معلم تاريخ السودان وادى النيل: مرجع سبق ذكره، ص 71.  
<sup>(174)</sup> حسن احمد محمود: الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا، ج 1، ص 320.

## الفصل الثالث

### العلاقة السياسية

أ- علاقات العرب بملوك دولة الفونج





## الفصل الثالث

### العلاقة السياسية

أ- علاقات العرب بملوك دولة الفونج:

– السلطان عمارة دونقس 5910 – 940هـ، 1505 – 1534م:

هو عمارة بن عدلان أول من اشتهر من سلاطين مملكة الفونج الإسلامية وتذكر المخطوطة (أن الفونج ملكت ارض النوبة وتغلبت عليها في أول القرن العاشر بعد التسعمائة وخطت مدينة سنار خطها الملك عمارة دونقس<sup>(1)</sup> وهو أولهم) وأول من وصفه هو المغامر اليهودي داوود روبيني الذي قدم من اليمن ومكث نحو عشرة أشهر من 1522م وحتى 1523م في ضيافة الملك عمارة وقال عنه انه اسود اللون ومسلم ويحكم شعبا من البيض والسود<sup>(2)</sup> ويقصد بالبيض القبائل العربية التي استقرت في المنطقة والسود هم السكان الاصليون. وكان قبل توليه السلطة يقيم في النيل الأزرق في منطقة خور العلكو<sup>(3)</sup> إذ كان معلما للقرآن وعلوم الشريعة وكان الناس يجتمعون حوله حتى ضاق بهم المكان ثم انتقل إلى جبل موية وسقدي غربى سنار وبعد إن استقر بها خاطب زعماء العشائر الآخرين شمالي البلاد وخاصة الشيخ عبد الله جماع فقاما بعمل عسكري ضد العنج ولما تم لهم النصر واتفق رأى عمارة بأن يكون هو الملك عوضا عن ملك علوه وان عبد الله في مكان ملك قري وبعدها توجه عمارة إلى سنار وذلك في 910هـ – 1505م وجعلها عاصمة مملكته وأقام فيها<sup>(4)</sup> ووصف روبيني

<sup>(1)</sup> ورد الاسم في بعض المصادر عميره دونقس لقب اتخذهُ السلطان عميره ومعناه (النجاشي العظيم) لفظ ذو معناه عظيم وقس معناه نجاشي (يوسف فضل: مرجع سبق ذكره، ص 40).

<sup>(2)</sup> نفسه، نفس الصفحة.

<sup>(3)</sup> من روافد النيل الأزرق.

<sup>(4)</sup> أحمد بن الحاج بن علي: مرجع سبق ذكره، ص 7.

عمارة بأنه كثير التنقل فى أجزاء مملكته وكان يصحبه عدد كبير من الإتباع والخدم ومنهم كبار ضباطه وحكام الأقاليم والقضاة وعدد من الفرسان<sup>(5)</sup> يتضح إن عمارة كان يتخذ نظاما إداريا يمكن وصفه بأنه لا مركزى وبسط نفوذه على أراضية الواسعة بتنقلاته ومروره على رعاياه بدلا من أن يقبع فى مكان واحد وهذا يدل على انه كان ملكا مستقرا يقوم بجولاته العادية غير إن ما نسعى إليه هو تحديد المكان الذى وجد فيه عمارة آنذاك حيث يذكر روبينى انه قابلة فى مدينة على راس النيل اسمها لأمول<sup>(6)</sup> ويذكر كذلك انه عندما فكر فى الرحيل خرج من لأمول مقر الملك على النيل ومر فى طريقة على انهار ورأى الأفيال ومر بنهر من الطين وفى ثمانية أيام وصل سنار<sup>(7)</sup> وهذا يعنى انه وجد فى مكان غير سنار وربما كان لعمارة عاصمة عسكرية أخرى يجتمع فيها مع أهله من الفونج فى منطقة (لمل) وقد ذكر موضع لمول أولول فى أكثر من مصدر. تذكر مخطوطة كاتب الشونة إن ابتداء أمر الفونج كان يعرف بلول وان بلول فى الصعيد اى فى منطقة إعالى النيل الأزرق التى كانوا بها على قدر ما أراد الله إقامتهم به ثم انتقلوا إلى جبل مويه<sup>(8)</sup> ويشير نفس المصدر فى موضع آخر عند الحديث عن الملك اونسه بن بادى (1127-1130هـ، 1715-1718م) فلما بلغ أهله الفونج ذلك عزله هم وجنود لولو وهم الذين يعزلوه ويولوا قبل ملك الهمج عليهم<sup>(9)</sup> ويشير لفظ الهمج إلى السكان الوطنيين الذى يقطنون المنطقة الجبلية الواقعة غرب وجنوب فازو على وعرفت بدار الفونج بعد إن بسط الفونج نفوذهم عليهم ومركز بلاد الهمج هو جبل كيلى<sup>(10)</sup> وعبارة هم وجنود لولو توحى أنهما فئتان مختلفتان إلا إن نسخة تاريخ ملوك السودان فى نفس النقطة توضح أنهما مجموعة واحدة عندما تذكر (حتى بلغت

(5) مكى شبيكه: مملكة الفونج، ص39.

(6) مكى شبيكه: مملكة الفونج، ص29.

(7) نفسه، ص31.

(8) جبل بالقرب من سنار على خط عرض 13.28 درجة وطول 33.52 درجة (احمد بن الحاج أبو على، تحقيق الشاطر بصيلى، ص5.

(9) نفسه، ص19.

(10) نفسه، ص5.

أخباره إلى الفونج بالصعيد وهم جنود لولو<sup>(11)</sup>. رجع الشاطر بصيلى إن البيت الفونجى كان يمارس سلطاته فى جنوب غرب ارتريا قبل أن ينتقل إلى النيل الأزرق ويتخذ سنار عاصمة له<sup>(12)</sup> وهو فى ذلك ربط بين لول التى وردت فى المصادر المحلية ولمؤل روبينى بجزيرة لامو على ساحل شرق إفريقيا بين كينيا والصومال ولكن بعد المسافة ووعورة الطريق تبعد ذلك الموضع ويرجح يوسف فضل إن تكون هناك ثمة صلة بين لمؤل ولول وجبل أولو الواقع (على خطى 10.43 شمال 34.20 شرق) غرب كيلي وهو يقع على بعد ثمانية أيام جنوب سنار وقد حكم الفونج جبل أولو قبل مجيئهم إلى النيل الأزرق<sup>(13)</sup> وهكذا تكون أولو فقدت أهميتها بعد أن اختط الفونج سنار عاصمة لهم لكنهم لم يهملوا موطنهم القديم وذلك حسب ما جاء فى زيادة عمارة دونقس كما إن عادة القتل الطقسى بين تلك الأسر على نمط ما كان سائدا من ملوك سنار وجنود لولو يعزل السلطان إذا ما ارتكب ما يقلل من هيبة الملك يؤكد هذه الصلة وفى اعتقادى إن من واجبنا إلا نأخذ ما ذكره روبينى مسلما به ونرجع إلى الروايات المحلية التى تلقى الضوء على وطن الفونج الذى سبق تأسيس دولتهم فى سنار ففى بعض النسخ من مخطوطة كاتب الشونة والتى رمز إليها الشاطر بصيلى بحرف (ف) تقول المخطوطة عن اصل الفونج (قيل إنهم من بنى أمية لما انتزع منهم الملك وطاردهم بنو العباس جاء منهم رجلان إلى هذا المحل واستولدوا النساء وإن الفونج من نسلهم وقيل إنهم بنى هلاله والشائع إن كبارهم كانوا يجتمعون عند كبيرهم ويأتون بالطعام فأكل من سبق الأكل حتى قدم رجل من السافل فنزل بينهم ونظر فى أحوالهم وصار كلما جاء طعام يحبسه حتى يجتمعوا ويفرقه عليهم ويفضل الباقي فقالوت رجل مبارك لا يفارقنا فزوجوه بنت ملكهم ولدت له ولدا فلما كبر مات جده اتفق رأيهم إن يجعلوه محل جده وتبعة الكل ولذا سموا بالأنساب ولما أرادوا الانتقال عملوا لملكهم

(11) يوسف فضل: مرجع سبق ذكره، ص 42.

(12) تاريخ حضارات السودان الشرقى والأوسط، ص 208.

(13) يوسف فضل، مرجع سبق ذكره، ص 43.



سريرا ولزوجته كذلك وحملوه حتى نزلوا بهم جبل مويه ولما صار لهم الملك صار لهم السرير عادة فحين يملكون ملكا جديدا يزوجه من نسل تلك المرأة ويسمون بها بنت عين شمس ويحملونها إلى حوش الجنوى ويحبسونه سبعة أيام ويخرجون إلى حوش معروف لهم فيه عوايد) هناك تشابه شديد بين ما ذكر في هذه المخطوطة وما ذكره الشاطر بصيلى عن تتويج ملك الفونج فى فازوغلى فى 1944م ويدعى حميد رجل ابادير إذ إن الملك يحمل إلى حوش الجنوب ويحبس مع عذراء لمدة سبعة أيام ولا يتعرض لضوء الشمس لأن ذلك فيه مخالفة للعوايد<sup>(14)</sup> إذا أضنا إلى هذا التشابه فسي عادات أهل فازوغلى مع الفونج فى وطنهم الأول قبل سنار ما ذكره كاتب الشونة عن لولو التى هى فى الصعيد وكلمة الصعيد يقصد بها جنوب المنطقة ولا تبعد كثيراً عن العاصمة وهذا يدل على أن جنود (لولو) لقربهم يتدخلون فى الأزمات فى تولية وعزل ملوك سنار وعلى هذا فان موطن الفونج الذى بسطوا نفوذهم منه هو منطقة النيل الأزرق حتى حدود الحبشة.

فى خلال عهد عمارة قدم السلطان العثمانى سليم إلى سواكن ومصوع وسيطر عليهما ودخل الحبشة بقصد الزحف على سنار ويقول نعم شقير (انه خاطب ملكها يدعو إلى الطاعة) وكان لحسن تدبير عمارة إن السلطان العثمانى عاد أدراجه وعدل عن غزو سنار مقتنعا بحجة عمارة التى شرحها فى رسالة يقول فيها (أننى لا اعلم ما الذى يملك على حربى وامتلاك بلادى فان كان لأجل تأييد الإسلام فأننى أنا وأهل مملكتى عرب مسلمون ندين بدين رسول الله وان كان لغرض مادية فاعلم أن أكثر أهل مملكتى عرب بادية وقد هاجروا إلى هذه البلاد فى طلب الرزق ولا شئ عندهم تجمع منه جزية سنوية) وأرسل مع الخطاب كتاب انساب قبائل العرب الذى جمعه له الأمام السمرقندى احد علماء سنار ولما وصل هذان الكتابان إلى السلطان سليم أعجبه ما فيهما وعدل عن حرب سنار<sup>(15)</sup>. ويتضح مما تقدم أن عمارة دونقس منذ 1505م ظهر

(14) الشاطر بصيلى: تاريخ وحضارات السودان، ص 275.

(15) نعم شقير: مرجع سابق، ج 2، ص 388.

كزعيم لدولة ناشئة على أساس إسلامي وبسط نفوذه على حوض النيل الأزرق وكان كثير التنقل في مملكته وان سنار قد اختطت في عهده كعاصمة ولكنه لم يستقر فيها عندما زاره روبيني.

خلف عمارة دونقس ثلاثة ملوك لم تفدنا المصادر شيئاً سوى أسمائهم ومدة حكمهم وان كان هناك اختلاف في ترتيبهم الزمني ربما يرجع ذلك إلى أن كتابة هذه الروايات كانت بعد قرنين من ظهور عمارة وحسب ما ورد في مخطوطة كاتب الشونه انه بعد عمارة دونقس خلفه ابنه عبد القادر الذي حكم 940-952هـ، 1534-1544م<sup>(16)</sup> وفي عهده حاصر الفونج جبلى سقدي ومويه وهزموا سكانها ثم اسروا زعيمها وقادوهمما في سلاسل من ذهب إلى سنار وهناك بعد إن اعتنقا الإسلام وقبل دفع الضريبة أعادوهمما إلى منصبيهما<sup>(17)</sup>.

#### – السلطان نايل بن عمارة حكم من 952 – 962هـ، 1544-1555م:

تولى الحكم بعد أخيه عبد القادر وكان محباً للعلم والعلماء وخطى عنده الشيخ بانقا الضرير بالشفاعة<sup>(18)</sup>.

#### – السلطان عمارة أبو سكيكين 962-970هـ، 1555-1563م:

هو بن عمارة وأخ السلطان نايل ورابع ملوك الفونج يرجح يوسف فضل انه اعتلى العرش بعد السلطان عبد القادر وذلك حسب رواية مسيو كايو في تسلسل ملوك الفونج<sup>(19)</sup> ولعل ابرز حدث في عهده كان توليته للشيخ عجيب المانجلك مشيخة العبدلاب وشهد عهده استقراراً انعكس على الحياة العلمية والدينية للسلطنة ويتضح ذلك من وفود العلماء والمتصوفة أمثال الشيخ إبراهيم البولاد من مصر والشيخ تاج الدين

<sup>(16)</sup> أحمد بن الحاج أبو على مرجع سبق ذكره، ص 7.

<sup>(17)</sup> يوسف فضل: مرجع سبق ذكره، ص 63.

<sup>(18)</sup> نعوم شقير، مرجع سبق ذكره، ص 401.

<sup>(19)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 40 هامش رقم 9.

البهارى من بغداد هذا بالإضافة إلى بزوغ نجم الكثيرين من المشايخ واتصالهم بعلماء فى الخارج<sup>(20)</sup>.

### – السلطان دكين بن نايل الادل 970-985هـ، 1563-1578م:

هو دكين بن نايل بن عمارة بن عدلان تذكر عنه مخطوطة الشيخ احمد المنقحة ما يلى: (هو من افخر ملوك الفونج رتب الدواوين أحسن ترتيب وجعل لهم قوانين مربوطة لا يتعداها احد من جميع أهل مملكته وجعل لكل جهة جهات مملكته رئيسا معلوما وقنن لمن عادته الجلوس بحضرته رتبا الأعلى فالأعلى فى جلوسهم إمامه وتقول المخطوطة انه معروف بملك العادة<sup>(21)</sup> ويقول يوسف فضل لا أعرف شرحا لهذه التسمية ولعل اهتمامه بتنظيم مرافق الدولة كتعيين القضاة كان سببا<sup>(22)</sup> ويرجح مكي شبكيه إن تكون هناك صلة بين هذه التسمية والجلوس على الكر ولبس الطاقية التى عرفت منذ حضارة الفراعنة وحضارة النوبة إذ أنها وجدت فى صور آثار النوبة<sup>(23)</sup> واعتقد إن سبب هذه التسمية هو تنظيمه لكل أمور الدولة حيث أصبحت عادة إن يعرف كل شخص حدوده ومهامه وواجباته ويعتاد عليها حيث تركز الهيكل الإدارى للدولة فى عهده فى مشيخات تحكم الأقاليم<sup>(24)</sup> وهذه التنظيمات الديوانية تكشف لنا عن تغلغل الآراء والنظم العثمانية وأثرها على سنار حيث كان لباشوات سواكن ومصوع الأتراك وكلاء تجاريين فى سنار واربعى<sup>(25)</sup> وتقوى السلطان دكين فى 985هـ-1578م بعد إن نجح فى وضع سياسة تنظيمية جديدة لدولته.

(20) نفسه، ص 40-41.

(21) أحمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص 8.

(22) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 255 هامش رقم 4.

(23) مكي شبكيه، مملكة الفونج، ص 46.

(24) نفسه، ص 59.

(25) الشاطر بصيلى، مرجع سبق ذكره، ص 253.

– السلطان طمبل الأول 985-997هـ، 1578-1589م:

هو ابن السلطان عبد القادر بن نايل بن عمارة بن عدلان لم تدون المصادر شيئاً أكثر من ذلك عن السلطان أونسه الأول 997-1007هـ، 1589-1599م. ولم تدون له المصادر أكثر من ذلك عنه.

– السلطان أونسه الأول 997-1007هـ، 1589-1599م:

ولم تدون له المصادر أكثر من ذلك.

– السلطان عبد القادر الثاني حكم من 1007-1013هـ، 1599-1605م:

حسب رواية كاتب الشونه وقد شهد عهده بروز خطر خارجي يهدد السلطنة من جهة الحبشة ويرى زاهر رياض إن سلطنة الفونج خضعت لإثيوبيا عام 1012هـ 1604م أيام الملك عبد القادر الذي عزل عن العرش بسبب هذا الخضوع فأقام في تشليجه لإثيوبية وهي تقع شمال بحيرة تانا<sup>(26)</sup> في حين إن الشاطر بصيلي يذكر إن هذا السلطان عزل بسبب لهوه وخلاعهته وهرب إلى تشليجه والتجأ إلى النجاشي الذي منحه حق الإقامة ويضيف الشاطر بصيلي قائلاً ومما يؤخذ على هذا السلطان أنه عقد اتفاقاً مع النجاشي اعتراف فيه بتبعيته للحبشة وقبل نقاره محلاة بسلسلة ذهبية وتبادل الهدايا مع النجاشي<sup>(27)</sup> غير إن المصادر الحبشية لا تذكر أي عقد يؤكد ذلك ويقول مصطفى محمد مسعد إن السلطان عبد القادر كانت له علاقات طيبة مع ملك الحبشة بالقدر الذي جعله يتبادل معه الهدايا ومن هذه العلاقة رجح البعض تبعية سلطان سنار للحبشة ولعل منشأ هذه التبعية يعود لاضطرابات داخلية بين أبناء البيت المالك في سنار مما أدى إلى عزل السلطان عبد القادر الثاني نفسه من منصبه ويقال بأنه لجأ بعد ذلك إلى حدود الحبشة وأبدى خضوعاً وولاءً لإمبراطورها ربما فكر القادر باللجوء إلى الإمبراطور

<sup>(26)</sup> زاهر رياض: السودان المعاصر، مصر، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، 1966م، ص14.

<sup>(27)</sup> تاريخ وحضارات السودان، ص254.



الحبشى عله يسنده فى محاولاته لاسترجاع ملكه. وقد كان لوجود عبد القادر فى بلد حبشى أسوأ الأثر على العلاقات بين الحبشه وسنار.

### – السلطان عدلان بن دآية 1013-1020 هـ، 1605-1612 م:

هو أخ السلطان عبد القادر يقول عنه مصطفى محمد سعد أنه أغتصب العرش من أخيه حتى الجأ إلى الحبشه<sup>(28)</sup> ومن ثم عمل على إدخال تعديلات كثيرة على بعض العادات والتقاليد المرعية الأمر الذى سبب قلقاً وتزعماً كان من نتيجته قيام حركة تمرد وعصيان من جانب العبدلاب مما دفع الشيخ عجيب الكافوتة إن يستشير إدريس ود الأرباب قائلًا : إن الفونج غيروا العوايد علينا<sup>(29)</sup> ولعله يقصد أن الفونج غيروا فى النظم والتقاليد التى تنظم العلاقات بين الفونج والعبدلاب فأشار عليه الشيخ إدريس بعدم حرب الفونج ولكنه أعلن عصيانه فخرج عليه ود عدلان من سنار ويقال انه نزل (بالتى) وأرسل الجيش فتلقاهم الشيخ عجيب ومعه عبد الوهاب بن الفقيه حمد صاحب مسجد اسلانج الذى خرج لقتال الفونج فى 1611م<sup>(30)</sup> واقتتلوا فى مكان سمي ابن عمارة جوار كركوج<sup>(31)</sup> وفيه قتل الشيخ عجيب مما أدى إلى هروب ذريته إلى دنقلا<sup>(32)</sup>. ويعد هذا أول صدام مسلح بين طرفي التحالف وربما يعود لإحساس العبدلاب بشئ من القوه فحاولوا إن يثأروا لهزيمتهم فى ارجى وكذلك التخلص من التبعية للفونج.

واعتقد أن السبب المباشر هو السياسة التى ادخلها السلطان دكين بن نايل (980-987 هـ، 1563-1570م) هى التى أدت إلى اختلال فى ميزان القوى بالإضافة إلى اغتصاب السلطان عدلان للعرش ربما حاول العبدلاب التدخل لإعادة السلطان

(28) بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ ملكه الفونج ص 14-15.

(29) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 63.

(30) نفسه، 288.

(31) كركوج قرية جنوب الخرطوم بحرى شرق النيل الأزرق تعرف الآن بالجريف كركوج (محمد

النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 153 حاشية رقم 6).

(32) أحمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص 8-9.

الشرعى لدولة الفونج وظل هذا الخلاف مستمرا إلى أن تدخل الشيخ إدريس ود الأرباب وهو ممن كانت له الشفاعة لدى سلاطين الفونج فلحق بهم فى دنقلا واستطاعت وساطته أن تؤتى أكلها فى الحصول على العفو عنهم ومنحهم الأمان وجاءوا معه وشيخوا من بينهم الشيخ عجيل أكبر أبناء الشيخ عجيب خليفة لأبيه<sup>(33)</sup> وتميز عهد هذا السلطان بهجرة كير من العلماء من مصر والمغرب والجزيرة العربية إلى السودان ومن هؤلاء الشيخ حسن ود حسونة من الأندلس والشيخ محمد المصرى وغيرهم.

اختلفت الروايات المحلية فى مدة حكم هذا السلطان فالمخطوطات تذكر أنه حكم ثلاث سنوات وتوفى بينما تذكر الطبقات فى ترجعه الشيخ صغيرون إن الملك عدلان بعد ما قتل الشيخ عجيب فى كركوج سار بجيوشه إلى دنقلا فلما جاء فى حفير مشو عزله الفونج عن الملك وولوا بدله بادی سيد القوم<sup>(34)</sup> هذه مسألة جديرة بالتحقيق وتعوزها الوثائق وأنا أشك فى أن عدلان هذا كان ملكا على سنار وربما كان يشغل وظيفة سيد القوم الذى مهامه قيادة الجيش وربما كان يتمتع بشخصية قوية حجبت السلطان.

**- بادی الأول بن عبد القادر بن رباط سيد القوم حكم من 1020-1023 هـ، 1612-1615 م:**

هو بن السلطان عبد القادر الذى خلع من العرش ولجأ للحبشة تولى بادی السلطة بعد موقعة كركوج مباشرة ويقال إن الإمبراطور الحبشى بعث بهدية للسلطان بادی مكونة من عقد من الذهب وكرسى مذهب<sup>(35)</sup> ربما قصد من ذلك إعادة علاقات حسن الجوار بينه وبين سنار على النقيض من السلطان بادی الذى خشى أن يفسر قبول الهدية بأنه صار تابعا للإمبراطور ولما كانت مثل هذه الهدايا ترسل من السيد إلى

<sup>(33)</sup> أحمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص 9.

<sup>(34)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 235.

<sup>(35)</sup> يوسف فضل: مرجع سبق ذكره، ص 65.

المسود الأمر الذى أغضب بادی فأرسل إلى النجاشى اثنين من الخيل الهرمة العرجاء العمياء<sup>(36)</sup> تحقيراً له وهذه إن يشعر النجاشى إن سنار لا تدين بالولاء للحبشة وخاصة وإن والده المقيم فى تشليجه كان يزاول نشاطاً يتنافى مع علاقات حسن الجوار فقد تعاون مع النجاشى فى حملته على الملكة صديقة والتي كانت تحكم المنطقة المجاورة لحدود الحبشة<sup>(37)</sup> يبدو أن تطور العلاقات بين البلدين قد أدى إلى إخراج عبد القادر من الحبشة غير إن ذلك لم يحسن العلاقات خاصة بعد إن هاجم نایل ود عجيب زعيم رفاة الشرق إقليماً فى الحبشة فاحتج الأحباش ولزم السلطان بادی الصمت<sup>(38)</sup> ثم لجأ غالب حاكم مقاطعة مزقه ودخل سنار بفرسانه ونحاسه وطلب الإمبراطور بإرجاع النحاس ولم يأبه ملك سنار بالأمر<sup>(39)</sup> ولعل ملك سنار فى تصرفاته هذه كان متأثراً بموقف والده من الإمبراطور والعلاقات الحسنة التى كانت سائدة بينهما مما جعله يظن إنها مدمه لدخول والده سنار بمساعدة الإمبراطور لإعادة ملكة الذى نجاه عنه أهلة الفونج.

لم يستطيع النجاشى الانتقام من السلطان بادی بسبب هديته المهيبة وما تلاها من أحداث وذلك بسبب مشاغلة الداخلية إلا أنه قرب إليه نایل ود عجيب ليهاجم ويخرج ممتلكات الفونج<sup>(40)</sup>.

#### – السلطان رباط بن بادی 1023-1052هـ، 1615-1643م:

ترك بادی تركة مثقلة بالمشاكل خاصة مع الأحباش فما إن بدأ عهد السلطان رباط حدثت المواجهة بين البلدين فى شكل مناوشات وحروبات صغيرة وكان رد السلطان رباط إرسال اثنين من قواده هما عبد الله وعون الله إلى مدينة سركى<sup>(41)</sup> لحمايتها

(36) يوسف فضل: مرجع سبق ذكره، ص 65.

(37) الشاطر بصيلى، مرجع سبق ذكره، ص 255.

(38) مكى شبيكه: مرجع سبق ذكره، ص 60.

(39) يوسف ضل، مرجع سبق ذكره، نفس الصفحة.

(40) نفسه نفس الصفحة.

(41) قرية سناريه ملتقى طرق القوافل التجارية.

فهاجما قرية تابعة للأحباش وقتلا حاكمها محمد سعيد وما إن علم الإمبراطور بذلك حتى أرسل قوة هزمت الفونج وقتلت عبد الله وتمكن عون الله من الهروب<sup>(42)</sup> استمرت هذه المناوشات خلال عامي (1618-1619م) واعتبر الأحباش أنفسهم منتصرين ولم تذكر المصادر السودانية شيئا عن هذه الحرب ربما لعدم أهميتها أو إن خسائرهم كانت بسيطة، استأنف الأحباش الهجوم ويقول مكي شبكيه: إنهم قسموا الجيش إلى ثلاثة فرق، فرقة اتجهت لسنار ولكنها لم تصل غايتها مكتفية بغنائم الحدود والثانية اتجهت نحو القصارف حيث عادت بالجمال والطبول إما الثالثة فكانت نحو التاكا ولم تصل للإمبراطور غنائم<sup>(43)</sup> وربما استولى عليها قادة الجيش واضح من هذه الهجمات الصد منها الحصول على الأسلاب.

#### - السلطان بادي الثاني بن رباط أبو دقن حكم من 1052-1088هـ، 1643-1678م:

كان يمثل العهد الذهبي لسلطنة الفونج حيث شهدت سنار في عهده طفرة إدارية إذ عمل على اظهار ابهة السلطنة عليها وذلك ببنائة قصر الحكومة والذي جعله من خمس طوابق ثم بنى مخازن للأسلحة والإذخائر وعمل على تشييد ديوان الحكومة وبناء ديوانين أحدهما جعله خارج القصر وأحاط ذلك كله بسور له تسعة أبواب جعل ثمانية منها لأمرء دولته كل منهم يدخل إلى ديوانه الخاص للنظر في الشؤون المتعلقة به وجعل التاسع خاصا له ولولد عجيب شيخ قرى ثم جعل كل هذه الأبواب تفتح في حائط واحد وجعل إمام كل منها رواقا له دكه تسمى بدكه من ناداك<sup>(44)</sup>. وهد بذلك إلى إظهار اهتمامه بالعدالة ورفع المظالم لان هذه الدكه خصصت لإفراد الرعية لإسماع شكواهم لأذان الملك بطريقة واضحة دون إن يقف في طريقهم الحجاب وقام كذلك بتنظيم إدارة المراسم ثم بنى مسجدا جامعا في وسط سنار أحاطه بكل مظاهر

(42) مكي شبكيه، مرجع سبق ذكره، ص 61.

(43) نفسه نفس الصفحة.

(44) هي مكان لسماع الشكاوى مخصوص لذلك أحمد بن الحاج أبو علي، مرجع سبق ذكره، ص 11.



الفخامة<sup>(45)</sup> واعترض كراوفورد على وجود هذا القصر وذكر إن الرحالة بونسيه وكرمب الذين زاروا سنار لم يذكروا قصرا بهذه الصفة وفي الوقت نفسه فإن المسيو كايو الذي راق حملة إسماعيل بن محمد على إلى سنار شاهد آثار قصر متداع متعدد الطبقات واخبره بادی ملك سنار الأخير إن هذه الخرائب هي كل ما بقي من آثار قوة أسلافه<sup>(46)</sup> ويذكر نعوم شقير لما تضعضع حال الفونج وتغلب الهمج تهدم كثير من البيوت وتداعى القصر الكبير وبقيت إثارة حتى الفتح المصرى<sup>(47)</sup> وقد يكون هذا الشك فى محله ولكن إلا يحتمل إن يقابل الملك هؤلاء الزائرين فى أحد الدواوين التى ذكرتها المخطوطة سواء كان خارج الحائط أو بداخله والديوان إلى وقتنا الحاضر هو بناية منفصلة خاصة بالرجال. شهد عهد بادی تطورا فى العلاقات الخارجية واعتقد إن سبة تسامحه الدينى إزاء أصحاب الديانات الأخرى وتمثل ذلك فى النشاط التبشيرى الذى قامت به البعثات التبشيرية بدعم مادی من بابا روما وذلك محاولة منه لبسط نفوذهم وفتح أسواق جديدة عبر أراضي مملكة سنار<sup>(48)</sup>.

ويبدو أن هذا التسامح الذى عرف به كان نتيجة لتعظيم العلماء وكرامة لهم حتى أن عطاءة كان يصل إلى علماء الأزهر فى مصر مما حدا بالشيخ عمر المغربى أن يمدحه بقصيدة طويلة<sup>(49)</sup>.

ويعتبر أكرامة لعلماء الأزهر وعطاياهم الجزيلة ما هو إلا استمرار لسياسة ملوك دولة الفونج منذ إن أنشأها عمارة دونقس مؤسس هذه الدولة. شهد عهده ثلاثة حروب داخلية.

(45) نفسه ص 16.

(46) مكى شبيكه، مملكة الفونج، ص 65.

(47) جغرافية وتاريخ السودان، ج 1، ص 394.

(48) Crow Fofd : The Fung Kindom Of Sunnar, P212.

(49) للإطلاع على القصيدة انظر أحمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص 11-16.

- **أولا :** غزوة لقبيلة الشلك التي كانت تسيطر على النيل الأبيض وتشكل بغاراتها المتكررة خطرا كبيرا على المجموعات العربية التي تسكن الجزيرة واحتل معبر أليس<sup>(50)</sup> الشهير حتى يضمن السيطرة على القوافل التي تعبر النيل الأبيض ونجح بادی في قتل الشلك واخذ منهم أسرى كثيرين والباقي هرب منه<sup>(51)</sup> وربما اخذ الأسرى معه لتقوية جيشه أو لخدمته في الطريق.

- **ثانيا:** غزا مملكة تغلى الإسلامية والجبال المجاورة لها يذكر يوسف فضل إن سبب هذه الحرب يرجع للغرور الذي أصاب ملوك تغلى بعد إن اتسعت رقعة مملكتهم وفرض السلطان قبلى أبو قرون ضريبة على أحد أصدقاء السلطان بادی أبو دقن وأساء معاملته بل تحداه ظنا منه إن الصحراء الواقعة بين مملكته والنيل الأبيض تحول بينهما<sup>(52)</sup> وتقول مخطوطة كاتب الشونة إن ملك تغلى اخذ من صاحب السلطان بادی مالا وتحدها ولما علم الملك اجمع على حربة وسار عبر بأجه أم لماع (وهي صحراء رملية موحلة) حتى بلغ جبال النوبة وصار يحاصرها ويسبى منها حتى وصل تغلى وكان ملكها يقاتلهم بالنهار ويرسل لهم الضيافة ليلا فسر الملك بادی منه وصالحة وجعل عليه خراجا معلوما<sup>(53)</sup> لم تحدد المصادر تفاصيل هذا الخراج لكن يرجح إنها كانت تدفع من الرقيق إذا تأكد ظننا وافترضنا إن السلطان بادی هدف من هذه الغزوات إلى جمع التعبيد، يكون بهذا الصلح حقق هذا الهدف بطريقة سلمية.

<sup>(50)</sup> بلدة تقع على النيل الأبيض بالقرب من مدينة الكوة (على خطى 13.44 درجة شمال 32.30 درجة شرق) ولم يبق منها الآن إلا خرائب ويقال إنها كانت حاضرة لقبيلة الشلك ولأهميتها في مراقبة النيل الأبيض وكردفان وضع الفونج حماية عسكرية فيها (محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره ص 84 هامش رقم 7).

<sup>(51)</sup> أحمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص 10.

<sup>(52)</sup> يوسف فضل، مرجع سبق ذكره، ص 97.

<sup>(53)</sup> أحمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص 10-11.

ويذكر مكى شبيكه إن غزو بادي لمنطقة تقلى لم يكن ردا للإهانة التى لحقت بصديقة فحسب بل هى حمله مدبرة ذات إغراض توسعية<sup>(54)</sup>.

واعتقد إن غرضه الاساسى الحصول على الأسرى لتجنيدهم فى جيشه بدليل هذه القرى التى اسكنهم فيها بعد عودته من غزو تقلى وجبل الداير وتذكر المخطوطة (واتخذهم سندا وبطانة له وتتاسلوا بتلك الحلالات<sup>(55)</sup> وإذا كانت دولة الفونج فى عهد بادي أبو دقن قد أخذت تقلل من اعتمادها على الجنود التقليديين الذين يجمعون من القبائل أو على (جنود لولو) الذين قاموا بدور قيادى فى دولة الفونج فهى أنن فكرت فى البديل بل وحرصت على زيادته بدليل قول يوسف فضل (ثم تكاثر عددهم بالشراء)<sup>(56)</sup> وهذا يؤكد ما وصلنا إليه وهو إن من أهداف الحملة خلق جيش من الرقيق.

- ثالثاً: انفصال الشايقيه عن دولة الفونج فى عهد بادي حيث أعلنوا استقلالهم وقصة انفصالهم يرويها نكولز فى كتابه الشايقيه قائلًا (إن خارجا على سلطة الشيخ الأمين ود عجيب مانجل العبدلاب وصاحب السيادة على سنار بما فيها الشايقيه التجأ إلى الشيخ عثمان ود حمد العمرابى شيخ وزعيم الشايقيه آنذاك ورفض عثمان تسليمه للأمين أو قتله وإزاء هذا التحدى زحف شيخ العبدلاب لتأديب الشايقيه وعند وصوله معسكرا فى جزيرة دلفه بالقرب من مروي متكرراً ولجأ إلى حيله تجعل قوته بأكثر من حقيقتها فكان يدهن خيله بلون خاص ويجعلها ترد النهر حيث يراها شيخ العبدلاب على الضفة المقابلة ثم يغير اللون وترد النهر مرة ثانية وهكذا عدة مرات وجازت الحيلة على الأمين ورأى الصلح مع الشايقيه بدلاً من المخاطرة وأرسل إلى عثمان الذى جاء بمفرده راكبا فرسه وعندما اقترب أشار الأمين إلى أحد أتباعه

(54) مملكة الفونج الإسلامية، ص 64.

(55) أحمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص 11.

(56) يوسف فضل، مرجع سبق ذكره، ص 68.

بالقبض على عثمان عندما يصل غير إن أحد الشايقيه رفع صوته قائلاً (وحياة الرب شرك أو حبيبة في رقيبتيك طب فهم عثمان المقصود وعاد مسرعاً واتفق مع قومه على مهاجمة العبدلاب في الليل فأعدوا البهائم وربطوا على ظهرها حزماً من القش وساقوها إمامهم في صمت وعندما قاربوا المنطقة التي كان العبدلاب يعسكرون فيها أشعلوا النيران في ذلك القش الذي كانت تحمله تلك البهائم فانطلقت القطعان مجفلة في اتجاه المعسكر والناس نيام فأحدثت بينهم زعراً وانطلق عثمان ورجاله خلف هذه الكتل المشتعلة وهم يتصايحون صيحات الحرب ولازت جيوش العبدلاب بالفرار وفرش الشيخ الأمين ود عجيب فروته وجلس في انتظار الموت ووقف عثمان شاهراً سيفه واعدأ بالعفو إن ضمن استقلال الشايقيه ولبي الأمين ذلك<sup>(57)</sup> وتأكد استقلال الشايقيه من المحتمل أن تكون هذه الإحداث قد وقعت ما بين 1000 - 1100هـ، 1680-1690م لان الرحالة يونسية الذي زار دنقلا 1108هـ - 1698 ذكر إن منطقة الشايقيه لم تكن مأمونة للعبور فيها بسبب ثورة الشايقيه ضد ملك سنار وقد نتج عن هذه الحرب تحول طرق التجارة بعيداً عن متناول الشايقيه كما كانت القوافل تزود بحراسة قوية من العباددة واليشارين لحمايتها من تعدى الشايقيه<sup>(58)</sup>.

#### - السلطان أونسه الثاني بن بادى حكم من عام 1678-1689م ، 1088-1100هـ :

اعتلى العرش بعد عمه بادى أبو دقن على حد قول الروايات المحلية ويرجح الشاطر بصيلى إن يكون السلطان عدلان بن محمد قد حكم بعد بادى أبو دقن ودليلة خطاب يحمل ختم السلطان عدلان بن محمد يعود إلى 1083-1095هـ، 1673-1674م. يقول فيه يا من يتولى السلطنة الزرقاء من بعدنا .. الخ وربما كان الشاطر بصيلى على حق لان قائمة السلاطين التي أعطيت إلى الرحالة بروس كتبت بعد ما يقرب من مائه عام من حكم عدلان.

<sup>(57)</sup> ونيكولز، الشايقيه، ص 22-26.

<sup>(58)</sup> ونيكولز الشايقيه ترجمة عبد المجيد عابدين، السودان، الخرطوم، الدار السودانية للكتب، 1972م، ص 71.



حدث في عهد أونسه زيادة النيل عن المنسوب العادي للفيضان وكان ذلك في 1093 هـ - 1683م وتسبب عن ذلك إضرار جسيمة وغلاء شديد حتى أكلت الناس فيه الكلاب لذلك عرفت هذه السنة بسنة أم لحم<sup>(59)</sup> وانتشر الجدرى في صورة وباء وعرف عن هذا السلطان بإكرامه للعلماء.

### – السلطان بادى الثالث (الأحمر) حكم في الفترة 1100-1127 هـ، 1689-1715م:

هو ابن أونسه الثاني لم يكن موفقاً في إدارته لفساد أخلاقه وفجوره<sup>(60)</sup> بدأت في عهده ظاهرة جديدة لأول مرة حسب الروايات التي دونت ووصلت إلينا وهي محاولة خلع السلطان بالقوة وقد عرفنا ملوكاً سابقين خلعوا من العرش لكن بدون حرب وربما بمجلس من كبار الفونج. إما السلطان بادى خرج عن طاعته أهله الفونج ومعهم الشيخ عجيب وحاربوه وملكوا عليهم ملكاً أسمة أوكل وعندما جاءوا لقتاله كانوا نحو ألف فارس وهو ما معه إلا خمسة وأربعون فقاتلهم وطردهم إلى خور العطشان وقتل الأمين أرداب ورجع الملك سالماً وبقي في ملكة إلى أن مات<sup>(61)</sup> اعتقد أن هذه بلا شك مؤامرة اشترك فيها الفونج والعبدلاب على بادى الأحمر من كل الجوانب بدليل قول ود ضيف الله أن ملك الفونج لما خرجت عليه العساكر من قرى وسنار واليس نحو ألف فارس ولا تذكر المراجع أسبابها وبواعثها لكنها تدل على ظلم مشترك بين الفونج والعبدلاب وحتى عبدة<sup>(62)</sup> اشتركوا في هذه المؤامرة وربما كان السبب هو عدم الاعتماد على جنود لولو بإيجاد البديل (جيش مملوكي) لذا كان هذا أول احتجاج مسلح على هذه البدعة لكن لماذا يثور العبيد وهم الذين جاء بهم من النوبة وتقلي منذ عهد بادى أبو دقن وسكنوا سنار لكل جنس حلة معلومة وصاروا وبطانة لملوك الفونج<sup>(63)</sup>.

<sup>(59)</sup> محمد النور بن ضيف الله، الطبقات في خصوص الأوليا والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق يوسف فضل حسن، السودان، الخرطوم، 1992م، ص 71.

<sup>(60)</sup> الشاطر بصيلي: تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط، من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر، مصر، القاهرة، النهضة العامة للكتاب، 1972م، ص 260.

<sup>(61)</sup> أحمد بن الحاج أبو علي، مرجع سبق ذكره، ص 17.

<sup>(62)</sup> محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 203 حاشية رقم (1).

<sup>(63)</sup> أحمد بن الحاج أبو علي، مرجع سبق ذكره، ص 11.

ربما أحس هؤلاء العبيد بالظلم حتى اضطروهم للاشتراك في هذه الثورة على السلطان وشجعوا ملكا آخر والغريب انه انتصر عليهم بجيش قليل. لكن يبدو انه فعلا كان مفسدا بدليل ما ذكره ود ضيف الله انه عندما أحاطت به العساكر من كل جانب وقتلوا جميعا من كان معه وما بقي إلا ثلاثين فارسا اختفى السلطان في حوش أخته كمير التي ذهبت إلى الشيخ خليل شاكية ضياع ملك أخيها فرد الشيخ قائلا: (أخوك الظالم المفسد)<sup>(64)</sup>.

وحدث في عهده كذلك حسب ما ورد في الطبقات أن احد مشايخ الصوفية ويدعى حمد ود الترابي وهو من عرب رفاعة الهوى سافر إلى الحج بزوجته وسبعين تلميذا وهناك ادعى المهدية فأرسل حواراه ميرفى إلى سنار ليعلن ظهوره إلا إن الملك بآدى قتل هذا المبعوث أطفاءً لنار الفتنة<sup>(65)</sup> ومن الإحداث الهامة التي جرت في عهد بآدى الأحمر ما أورده كراوفورد من ازدياد لنشاط البعثات التبشيرية الكاثوليكية بين مصر والحبشة متخذين سنار طريقا لهم<sup>(66)</sup>.

وتتكون هذه البعثات من فريقين الأول الفرنسيون ويؤيدهم بابا روما والثاني الجزويت ومن خلفهم لويس الرابع عشر ملك فرنسا عن طريق قنصله في مصر دى ميلين<sup>(67)</sup>. ويشير مكى شبيكه إلى إن الفرنسيين أسسوا بعثة تبشيرية في بلدة أخميم بمصر أطلقوا عليها بعثة أخميم والفونج وإثيوبيا وهدفها تحويل كنيسة إثيوبيا من الاورثوذكسية كنسية إلى الكاثوليكية<sup>(68)</sup>. وبدأ السابق عندما علم الجزويت بأن إمبراطور الحبشة يريد طبيباً لابنه المريض فسارع الجزويت بإغراء بونسيه ليكون هو الطبيب وأرسلوا معه راهبا ويقول مكى شبيكه انه خلع لباس الكهنوت وسار الاثنان مع حاج على في قافلة سودانية<sup>(69)</sup> الغريب في الأمر إن الفريقين من طائفة واحدة في المسيحية

(64) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 203.

(65) نفسه، نفس الصفحة.

(66) الشاطر بصيلي مرجع سبق ذكره، ص 262، Crow Ford : Opeit., P.202-212.

(67) مكى شبيكه، مرجع سبق ذكره، ص 69.

(68) نفسه، نفس الصفحة.

(69) نفسه، ص 70.

هى الكاثوليك وإذا كان الهدف واحد وهو التبشير لاتحدا سويا ولعل هذا أول تدخل أوروبى سافر لإحداث الفرقة والشقاق بين أبناء النيل (مصر والسودان) وإثيوبيا لأنه من المعلوم إن الكنيسة القبطية ظلت لها السلطة الروحية لمدة ألف عام على الكنيسة الإثيوبية والوجود القبطى فى السودان خير شاهد ولعل اكبر محاولة لإحداث الفرقة والفتنة بين شعوب وادى النيل كان هذا التدخل.

اعتقد إن الفرنسيين كانوا فعلا مبشرين لان بابا روما يسندهم وهو الذى يسعى لنشر المسيحية على المذهب الكاثوليكي إما الجزويت لا اعتقد إن هدفهم دينى ويؤيدهم ملك فرنسا العلماني وإذا كان الغرض كذلك لما خلع الراهب لباس الكهنوت ؟. ويذكر مصطفى محمد مسعد انه فى نفس الوقت الذى كانت بعثة الفرنسيين كان دائرة النشاط فيما بين سنار والحبشة عينت الحكومة الفرنسية دى رول سفيراً لها فى الحبشة محددة أهدافها وهى التبشير الدينى والتجارة وفتح أسواق جديدة لتصريف منتجاتها وأخيرا التجسس لجمع معلومات عسكرية<sup>(70)</sup>. ويمضى مسعد فيقول: عند وصول حملة دى رول قابلها السلطان بالترحيب وتسلم الهدايا التى بعث بها إليه ملك فرنسا ولكن الفرنسيين قاموا بنشر دعاية مفادها إن الجزويت يسعون لتحويل مجرى النيل الأزرق عن سنار مما كان سببا فى أيعار صدر السلطان بادی فأمر بالحقاق بالحملة وقتل أفرادها واستعاد الهدايا منها<sup>(71)</sup>. ومن سوء طالع تلك البعثة إن الفيضان فى عام 1705م وهو العام الذى وصلت فيه إلى سنار كان منخفضا مما أكد الإشاعات.

### —السلطان أونسه الثالث حكم من 1127-1130هـ، 1715-1718م:

هو أونسه بن بادی بن أونسه بن بادی بن ناصر لم يتمكن من إدارة السلطنة لان بلاده فى عهده كانت تموج بالفتن والاضطرابات غير انه لم يبال. وقد وصفه صاحب

(70) مصطفى محمد مسعد، بعض ملاحظات جديدة حول تاريخ مملكة الفونج، ص 15.

(71) الشاطر بصيلى، مرجع سبق ذكره، 264.

المخطوطة باللّهُو واللّعب وارتكاب الفواحش<sup>(72)</sup> ونظراً لمسلكه المشين عزله جنود لولو من العرش باستخدام حيلة مؤداها إن يقتل وزيرة دياب حتى يتركوه قائماً بالحكم فلما أجابهم إلى طلبهم عزلوه وخرج من سنار بعد ما ولوا مكانة السلطان نول<sup>(73)</sup> وربما بجانب اللّهُو والفواحش احتضن الرقيق كأبيه وجدّه واتخذهم جنداً وبطانة له مما جعل جنود لولو يحضرون من الصعيد ويعزلوه بأنفسهم ويعزل هذا السلطان كانت نهاية حكم البيت السنارى أو آخر سلالة بين الملك الاصلى (الاونساب)<sup>(74)</sup> من نسل عمارة دونقس.

#### - السلطان نول حكم من 1132-1136 هـ، 1720-1724 م:

بعد عزل الملك أونسه بقى العرش شاغراً 1719-1720 م ربما لأنهم لم يجدوا من عائلة الفونج من له الكفاءة لتولى هذا المنصب وأخيراً اجتمعت كلمة أهل الرأى من الفونج وزعماء الدولة على اختيار نول سلطاناً على دولة الفونج<sup>(75)</sup> وهو من غير الاونساب سلالة ملوك الفونج لكن تربطه بهم صلة قريى عن طريق امة<sup>(76)</sup> وصفه كاتب الشونة بأنه رجل محسن عادل حتى إن قومه سموه (نوم) من شدة عدله<sup>(77)</sup> ويستشف من عزل أونسه وتعيين نول عدم رغبة النبلاء فى بلاط الفونج من بقاء الجيش المملوكى الذى أدى وجوده إلى صدام مع القوى التقليدية فى الدولة. وفى نهاية عهد السلطان نول دخلت السلطنة فى مرحلة من الفوضى والحروب الأهلية بسبب عوامل داخلية وخارجية أهمها اغتصاب وزراء الهمج للسلطة من السلطان وتوليته وعزلة كما يتراءى لهم وهكذا تعطلت التجارة أكثر وكثر السلب والنهب<sup>(78)</sup> زد على ذلك الحروب بين المسلمين والحبشة ثم وجود العثمانيين فى البحر الأحمر.

(72) أحمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص 18.

(73) نفسه، نفس الصفحة.

(74) مكى شبيكه، دولة الفونج الإسلامية، ص 82.

(75) الشاطر بصيلى، مرجع سبق ذكره، ص 287.

(76) يوسف فضل، مرجع سبق ذكره، ص 69.

(77) أحمد بن الحاج أبو على، ص 18.

(78) الشاطر بصيلى، مرجع سبق ذكره، ص 286.



## - السلطان بادى أبو شلوخ حكم من عام 1136-1175 هـ، 1724-1762 م:

هو بادى بن نول المعروف بأبى شلوخ من أشهر ملوك سنار وهو على حد قول الروايات المحلية آخر ملوك الصولة والشوكة وقد اتسم النصف الأول من عهده بالعدل والرخاء حيث عاونه فى إدارة دولته ووزارة الحكيم دوكه وبعد وفاة هذا الوزير اختل النظام واستقل السلطان بادى بإدارة شئون الدولة وأسرف فى الطغيان وارتكاب الجرائم<sup>(79)</sup> وأطلق يد أولاده وبطانته فارتفعت الشكاوى فأنزل العقاب بمن يطالب بحقه المغتصب ويذكر كاتب الشونة إن بادى أبو شلوخ أباد بقية الاونساب وطرد الأعيان التقليديين أو أهل الأصول وتعصد بالانواب<sup>(80)</sup> وأعطاهم ديار أهل الأصول ولم يوقفه من تصفياته تلك سوى الحرب الحبشية على بلاده التى انتصر فيها وبالتالى زادت شهرته. وتذكر بعض المراجع إن سبب هذه الحرب يعود لمقتل دى رول<sup>(81)</sup> لكن لابد من وجود أسباب أخرى لان هناك فارقا زمنيا بين الحادثتين لان مقتل دى رول كان 1117 هـ - 1705 م وبدأت الحرب الحبشية فى 1156 هـ - 1744 م<sup>(82)</sup> أى بعد تسعة وثلاثين عاما تقريبا. وربما كان مقتل دى رول سببا من أسبابها ويذكر الشاطر بصيلى إن اضطراب الأحوال الداخلية بعد موت النجاشى تقلا هيمانوت والانقسام الذى حدث نسبة للتنازع على العرش<sup>(83)</sup> لكن يبدو إن الصراع المذهبى بين الفرنسيسكان والجزويت كان له أثره فى التطاحن الداخلى بالإضافة إلى إن النجاشى اياسو الثانى الذى تولى الملك اهتم ببناء القصور وأهمل الرعية، مما أثار الاهالى. وحتى يتخلص من تذرهم اعد العدة لغزو السلطنة السنارية. ويذكر كاتب الشونة إن إمبراطور الحبشة خرج قاصدا سنار فلما سمع الملك بادى جهز جيشا وأمر بإخلاء مدينة سنار

(79) نفسه، ص 287.

(80) جمع نوبة والمقصود بها الأسرى الذين اسروا فى حملات الفونج لكردفان واتخذهم ملوك الفونج عضدا لهم ضد العناصر التقليدية (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 169 حاشية رقم 1).

(81) نعوم شقير، مرجع سبق ذكره، ج 2، ص 396.

(82) الشاطر بصيلى، مرجع سبق ذكره، ص 288.

(83) نفسه، نفس الصفحة.

قبل أن تعبر إليها جيوش الأحباش. وقاد الجيش الأمين ود عجيب شيخ قرى وطلب بادی من جميع المراتب الدعاء فاجتهدوا في ذلك واقبلوا على الله بالدعوات فأجابهم من يجيب المضطر إذا دعاه.

ويقول الشاطر بصيلي إن الأمير خميس وهو من الفور اقترح أن يقود الجيش ويواجه الأحباش من الخلف وهكذا تقابلوا مع الإمبراطور اياسو في معركة الذكيات واقتتلوا مع عساكره وهو جالس في خيمته مع خاله ود لول وهو في حكم السطيح وهزم اياسو في هذه المعركة هزيمة نكراء<sup>(84)</sup> ونجا من الموت بأعجوبة وفر هاربا تاركا البنادق والمدافع والتاج وبعض أدوات الحكم وفيها ما هو ديني بالغ الأهمية وأرجعت هذه الأخيرة بعد أن دفع الأحباش مبلغا من المال لاسترجاع هذه الأدوات<sup>(85)</sup>. لم تذكر المراجع تفاصيل هذه الأدوات واعتقد أنها ربما تكون تاج الملك الذي يحمل الصليب وهو من أدوات الحكم لذا دفع الأحباش المال لاسترجاعه ويعلق كاتب أشونة على هذا النصر قائلا: فرح الملك بادی وأهل سنار بهذا النصر ووفوا بنذورهم وعملوا وذبحوا الولائم ونشروا الحرير وزينوا المسجد والسوق سبعة أيام<sup>(86)</sup>. هذه الحرب كما رأينا أخذت طابعا دينيا وقوميا يظهر الطابع الديني في توجه الملك إلى الأولياء والصالحين وعامة الشعب طالبا منهم الدعاء والابتهال لنصر الإسلام ذلك النصر الذي ابتهج له حتى خليفة المسلمين في تركيا. واعتقد الناس أن هذا النصر هو استجابة لدعواتهم وتضرعاتهم حتى إن قائدهم ولدلول كان راقدا بقوة إلهية. إما الطابع القومي هو اشتراك أصحاب الكفاءات القتالية أمثال الأمين ود عجيب شيخ قرى والأمير خميس جنقل المسبعاوى الذي قام بدور هام في انتصار الفونج<sup>(87)</sup> ربما كانت الخطة التي وضعها خميس سببا في ذلك النصر حي جعل فريقا من الجيش يعبر الضفة الشرقية

(84) أحمد بن الحاج أبو علي، مرجع سبق ذكره، ص 19.

(85) مكي شبيكه، مملكة الفونج الإسلامية، ص 85.

(86) محمد بن الحاج أبو علي، مرجع سبق ذكره، ص 19.

(87) الشاطر بصيلي، مرجع سبق ذكره، ص 288.

للنيل الأزرق خلصة حتى نجح في محاصرة الأحباش بقائدهم ود لول في زاوية التقاء الدندر بالنيل الأزرق في مكان يقال له الذكيات<sup>(88)</sup> وهكذا انهزم جيش الأحباش على كل نجت سنار من خطر الغزو الحبشى بفضل جميع كل القوى.

قويت شوكة الملك بادی بعد هذا النصر وطمع في التوسع نحو كردفان لقتال المسبغات<sup>(89)</sup> الذين كانوا يسيطرون على الجانب الغربى منها (كردفان) وقد اختلفت الروايات في أسباب هذا الغزو كما اختلفت في أمر القوات التى ارسلت فيقول كاتب الشونة ان السلطان بادی ارسل جيشا بقيادة ود تومه<sup>(90)</sup> والشيخ عبدالله ود عجيب وأخوه شمام وكان مع الجيش السنارى محمد أبو لكيلك وتقابل الجيشان الجيش السنارى ومعه جنود قرى وجيش السلطان هاشم المسبغاوى في موقعة القحيف<sup>(91)</sup> التى انتهت بهزيمة الجيش السنارى ومقتل ود تومه والشيخ عبد الله ود عجيب تذكر مخطوطة الشونة الأصلية عن قتال جيش سنار والمسبغات ودور أبو لكيلك فيها مما أدى أخيرا الى تسلمة السلطة الفعلية في دولة سنار ويتضح من المخطوطة إن أبو لكيلك تمتع بقوة الشخصية واحترام الناس فيقول (وانطبعت عليه قلوب العساكر والفتة النفوس وخضعت له كل الرؤوس<sup>(92)</sup>) وبعد النصر الذى حققه على المسبغات نجح في بناء جيش يطمئن له<sup>(93)</sup> ومما هو جدير بالذكر إن مصادر العبدلاب المخطوطة<sup>(94)</sup> تذكر إن هذه الحرب نشبت أصلا بين العبدلاب والمسبغات على اعتبار إن كردفان كانت تتبع العبدلاب وتعرضت لغزو مسبغات فوجب عليهم الدفاع عنها ومن هنا ذهب شيخ العبدلاب لطردهم فقتل ومعه أخوة وابن أخيه ولما سمع سلطان سنار بذلك خشى أن يقوم شيخ

(88) مكان على نهر الدندر الشاطر بصيلى، مرجع سبق ذكره، نفس الصفحة.

(89) مسبغات اسم يطلق على بيت من دارفور جده السلطان دالى، احمد بن الحاج أبو على، مخطوطة كاتب الشونة، تحقيق الشاطر بصيلى، مصر، القاهرة، وزارة الإرشاد القومى، 1961م، ص24.

(90) نفسه، ص20.

(91) القحيف مكان في غرب السودان الشاطر بصيلى، مرجع سبق ذكره، ص90.

(92) احمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص24.

(93) يوسف فضل، مرجع سبق ذكره، ص720.

(94) صلاح محى الدين الشيخ مخطوطة تاريخية عن ملوك السودان، مجلة الخرطوم، السودان، الخرطوم، العدد الرابع، يناير، 1968، ص7.



العبدلاب- وهو حدث - بأخذ ثار أبيه وعمه وابن عمه لذا تدخل ملك الفونج إلى جانب العبدلاب . ونعود الى الملك بادی الذي تمادى فى ظلمة ولهوه واتبع هواه وأكثر من النساء وتقول المخطوطة (إن بادی صنع أموراً غيرت خواطر الفونج حتى قالوا هذا الملك كرهناه<sup>(95)</sup>) ومن جملة ما صنعة قتله الخطيب عبد اللطيف<sup>(96)</sup> خطيب مسجد سنار ويقول ود ضيف الله الذى ترجم له انه لما قبض عليه قال: (عسى إن يكون قتل فقير بخراب أمير) وهذا ما تم فعلاً حيث كانت نهاية المطاف للملك بادی الذى نفسى وطرد وقتل أولاده حتى صار حوش ملكهم كناسة ومأوى للكلاب<sup>(97)</sup> لان أبناء الملك كانوا كأبيهم عاشوا فساداً ولم يردهم عن غيهم وحتى العلماء إصابتهم سهام طغيانه ففرض عليهم الضرائب وما كانوا يدفعونها من قبل بل كان يغدق عليهم الملوك المنح والهدايا. وحتى مقاديم الفونج الذين كانوا يحاربون فى كردفان فرض عليهم الضرائب<sup>(98)</sup> وما زال يزداد ظلماً وطغياناً فكل من غضب عليه قبضه وأرسله إلى حلته العكوره<sup>(99)</sup> يحفر مع العبيد فى حفيره كل هذه الأفعال أثارت حفيظة الاهالى وجعلتهم يكرهونه ومما أثار الرأى العام الدينى قتله الخطيب عبد اللطيف وطلبه من رجال الدين والعائلة المالكة دفع الضرائب ولهذا قرر الفونج عزله بمعاونة محمد أبو لكيلك وتقول المخطوطة (واجتمع عليه أهل الحراب من كل النواحي بعد إن وصلت الأخبار إلى مقاديم الفونج فى كردفان وطلبوا من محمد أبو لكيلك عزله<sup>(100)</sup>) فقاد الأخير جيشه وزحف من كردفان إلى سنار واتصل بناصر ابن الملك لملاقاته على النيل الأبيض<sup>(101)</sup> وهكذا أبقى الملك بادی وحده فى الميدان. ولم يهب لنصرته احد

<sup>(95)</sup> أحمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص 20.

<sup>(96)</sup> هو من علماء الفونج درس جميع الفنون واجتمع بعلماء المغرب والحجاز ومدحه علماء الحرم قالوا (عالم الديار السنارية وعلامة الأقطار الإسلامية) محمد النور بن ضيف الله الطبقات، تحقيق يوسف ضل، ص 299، هامش رقم 2.

<sup>(97)</sup> نفسه، ص 300.

<sup>(98)</sup> مكى شبيكه: مرجع سبق ذكره، ص 90.

<sup>(99)</sup> العكوره جزيرة وقرية قرب واد مدنى (أحمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص 23).

<sup>(100)</sup> أحمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص 23.

<sup>(101)</sup> مكى شبيكه، مرجع سبق ذكره، ص 91.



لان أصحاب المصالح انفضوا من حوله عندما أيقنوا زوال ملكة. ويقول كاتب الشونة فخرج في ذله وقلة<sup>(102)</sup>. وترجع ناصر ابن السلطان المخلوع على العرش ولكن تركزت السلطة الفعلية في يد أبو لكيك الذي كان الحاكم الفعلي حتى وفاته في عام 1164هـ - 1776م وكان ذلك بداية لتسلط وزراء الهمج على الحكم الذي توارثوه كحكام فعليين حتى سقوط سلطنة الفونج<sup>(103)</sup> وتقول المخطوطة ومن تلك المدة صار الحل والربط بيد الهمج وتغلبوا على الفونج ولا اعتبار للملوك ودخل محمد أبو لكيك سنار من غير قتال وتولى السلطة ناصر بن بادي وحكم 1175-1182هـ - 1762-1769م ولما كان السبب في توليته السلطة محمد أبو لكيك قد غير راية وانقلب عليه. من خلال دراستنا لشخصية الشيخ محمد أبو لكيك نجده احتفظ لنفسه بجميع سلطات الملك الذي صار رمزا لا حول له ولا قوة وتوقف بقاءه في كرس الحكم على رضا الوزير. وبهذا التغيير أصيبت التجارة بضربة قوية وتحولت معها إلى تنظيمات للحكم أقرب إلى الإقطاع وكان هذا التحول سببا في تنمر الزعماء في المناطق المتحالفة مع سنار وخاصة بعد العزل والتعيين الذي صار منهج أبو لكيك وكان يهدف إلى الاحتفاظ بالوزارة في أسرته ونحن لا نعلم عن ماضية سوى انه من الهمج وكان قائدا في الجيش السناري الذي حارب النجاشي اياسو في 1744م وهكذا نجد أبو لكيك بعد تعيينه للسلطان ناصر نفاه في إلى قرية البقرة<sup>(104)</sup> بعد أن أدرك أن ناصرا بذا يتآمر مع بعض الفونج لقتله فأرسل له بادي ود رجب على رأس قوة قتلت ناصر في منزله ويذكر كاتب الشونة إنهم لما أرادوا قتله وجدوا المصحف عن يمينه والموطأ<sup>(105)</sup> عن يساره وكان عارفا بالله ذو خط جميل<sup>(106)</sup> ثم ولي الشيخ محمد أبو لكيك أخاه إسماعيل.

(102) احمد بن الحاج أبو علي، مرجع سبق ذكره ص24.

(103) محمد النور بن ضيف الله: الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص213 حاشية رقم9.

(104) البقرة قرية في منطقة الجزيرة.

(105) الموطأ كتاب الإمام مالك رضي الله عنه.

(106) احمد بن الحاج أبو علي، مرجع سبق ذكره، ص26.

- السلطان إسماعيل بن السلطان بادي حكم من عام 1182-1191 هـ، 1769-1778 م:

يقول عنه كاتب الشونة انه رجل دين عادل أزال المظالم وأحسن إلى الفقراء والفقهاء فدعوا له بالبركة<sup>(107)</sup> وحدث في عهده غلاء شديد في عام 1184 هـ 1770 م ويطلق عليها كاتب الشونة سنة الكبسة<sup>(108)</sup> ثم أعقبها زيادة شديدة في النيل 1185 هـ - 1772 م ولقد زار الرحالة بروس سنار في نفس هذا العام ووصف ذلك السلطان بأنه يبلغ من العمر أربعة وثلاثين عاما ويجلس على مرتبة ويلبس قميصا من القطن أزرق اللون من مصنوعات الهند وفي أطرافه حرير ابيض ورأسه حافيا وكذلك قدماء ويميل لونه إلى البياض مثل العرب<sup>(109)</sup> وكان كسابقة العوبة في يد وزيرة الشيخ عدلان<sup>(110)</sup> بالإضافة إلى ذلك فقد ركائز من زعماء سلطنته أمثال عدلان ود صباحي شيخ خشم البحر ومحمد أبو لكيلك الذي توفي 1190 هـ - 1777 م وخله ابن أخيه بادي ود رجب شيخا للهمج. اجتمع الفونج عند الملك إسماعيل يريدون خلع بادي ود رجب والتخلص من سطوة الهمج وسرعان ما علم بادي بهذه المؤامرة وعزل الملك إسماعيل ونفاه إلى سواكن<sup>(111)</sup> وملك ابنه عدلان<sup>(112)</sup> وأصبح بادي ود رجب شيخا للهمج وصاحب السلطة في دولة الفونج وفاق عمه أبو لكيلك في الشجاعة والقهر والبطش<sup>(113)</sup>. تولى السلطة الرمزية في دولة الفونج وشهد عهده نزوة طغيان الهمج وعلو شأنهم حيث خرجت قبيلة الشكرية عن طاعة بادي ود رجب فخرج بعساكره وحاربهم في البطانة حتى قتل شيخهم أبنا على واجبرهم على الطاعة<sup>(114)</sup> وكذلك عزل الشيخ أمين ود مسمار مانجل العبدلاب وعين صباحي ود عدلان على مشيخة خشم البحر<sup>(115)</sup> ثم حدث سوء تفاهم مع

(107) احمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص 27.

(108) نفسه نفس الصفحة، المقصود بسنة الكبسة هي السنة التي حدث فيها الغلاء والفقر والقحط.

(109) مكي شبكيه، مرجع سبق ذكره، ص 93.

(110) الآن مورهد: النيل الأزرق ترجمة إبراهيم عباس، لبنان، بيروت، دار الثقافة ببيروت، الطبعة الأولى 1969 م، ص 65.

(111) أحمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص 27.

(112) نعوم شقير، مرجع سبق ذكره، ج 2، ص 398.

(113) احمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص 22.

(114) نفسه نفس الصفحة.

(115) نعوم شقير، مرجع سبق ذكره، ج 2، ص 399.

ناصر بن أخيه محمد أبو لكيلك فضربه ضرباً مبرحاً حتى استاء أخوته وحملوه إلى سنار وهيجوا الأحزاب المضادة لهم ونجحوا في ذلك فاجتمعت القوى الثلاث الأمين ود مسمار والشيخ أحمد ود علي وأبناء محمد أبو لكيلك وقرروا الثورة على بادى الذى سمع بالمؤامرة وتقول المخطوطة (انه تحقق من الخبر اى بادى ولبس ثوبا منيرياً<sup>(116)</sup>) وتضمخ بالطيب وركب حصان يقال له "الزباوى" اعتقد انه خاض للحروب وخاض المعركة ولكنة قتل في 1194هـ - 1781م وخلفه الشيخ رجب أكبر أبناء محمد أبو لكيلك<sup>(117)</sup> وعندما استقامت الامور بسنار وترك الشيخ رجب أخاه إبراهيم وكيلا عنه مع السلطان عدلان وتوجه إلى كردفان واكتفى أحمد على بمشيخة خشم البحر واستعاد الأمين ود مسمار نفوذه على العبدلاب<sup>(118)</sup> ويتضح مما سبق إن الملك عدلان اشترك مع هذه الأطراف ولم يستفد شيئاً فالهمج خلعوا جده بادى أبو شلوخ وقتلوا عمه ناصر وخلعوا أباه إسماعيل وهو الآن يحاول إزالة طغيان بادى لكنة ظل كما هو مسلوب الإرادة.

اجتمع الأمين ود مسمار مع الملك عدلان في سنار وانضم إليهم أولاد نمر وقتلوا إبراهيم بن محمد أبو لكيلك واسترقوا شقيقاته وتقول المخطوطة (وحبس بنات محمد سرارى للجعليين وغيرهم)<sup>(119)</sup> وعلم الشيخ رجب في كردفان بما حل لأخيه إبراهيم وأخواته بنات محمد أبو لكيلك حيث نقل له الشاعر التعيسان الخبر فغضب وأعلن الحداد وتحرك بجيشه ويقول كاتب الشونة (انه تحرك من كردفان طالبا القتال .. حتى نزل بحلة شانلى<sup>(120)</sup> وكان يقول يا سنار جاعتك نار حتى تقابلوا في مكان يعرف بالترس<sup>(121)</sup> وقتل الشيخ رجب وتفرق إخوانه وبقية الهمج. ومرة أخرى جمع ناصر بن محمد فلول جيشه وعلم الملك بذلك ورغب في ملاقاته جيش ناصر لكنه كان طريح

<sup>(116)</sup> نوع من القماش مصرى (أحمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص30).

<sup>(117)</sup> نفسه، نفس الصفحة.

<sup>(118)</sup> مكى شبيكه: مملكة الفونج الإسلامية، ص103.

<sup>(119)</sup> أحمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره ص32.

<sup>(120)</sup> حلة في منطقة واد مدنى أحمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص32 حاشية رقم 4.

<sup>(121)</sup> مكان غير موجود في تقويم الأماكن والبلدان السودانية ويبدو انه قريب من سنار، أحمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص35 حاشية رقم 3.



الفراس من عله إصابته فجهز جيشه بقيادة الأمين ود رحمه مع كبار الفونج وتقابلوا مع الشيخ ناصر في مكان يسمى انطرحنا واندحر جيش عدلان حتى إن بعضهم غرق في النهر<sup>(122)</sup> ومات الملك عدلان ربما نتيجة مرضه أو بحالة اليأس التي اعترته وتشير المخطوطة إلى حالة الفوضى والقتال داخل سنار قبل دخول ناصر. وهذا محتمل وقوعه لأن الملك مات وجنده تراجع مقهورا وسادت المدينة حالة من الفوضى التي تسبق دخول الجيش المنتصر ويقول كاتب الشونة: وتحول ناصر إلى جنوب المدينة وأشعل النيران فيها وتقابل الجيشان. مرة أخرى<sup>(123)</sup> ويظهر إن جند الملك شعروا بضعف قوتهم فأفسحوا الطريق لناصر. وشهدت الفترة التي تلت عهد السلطان عدلان قمة ضعف الدولة وصار يتولى العرش في العام الواحد أكثر من سلطان وتميزت كذلك بتصاعد الصدام المسلح ويمكن إن يقال انه بموت الملك عدلان الذي جاهد لإحياء مجد إبابه الذي كان قد اندثر وافلح إلى حد - انحصر الصراع بين الهمج والعبدلاب وبلغ هوان سنار آنئذ الحد الذي صار فيه كل طرف من أطراف النزاع يعين حسب هواه ملكا للفونج وبعد ذلك عين الشيخ ناصر بعد وفاة عدلان الملك أو كل لكنه مكث قليلا ومضى وكان ذلك في عام 1203هـ - 1789م<sup>(124)</sup> ولم يتبين لنا أكثر من ذلك وبعده عين الشيخ ناصر الملك طبل وفي نفس الوقت عين الشيخ محمد الأمين مسمار شيخ العبدلاب الملك رباط ولم يكن في وسع الملك طبل إلا الانصياع لأمر ولي نعمته القاضي بالإعلان العداء لشيوخ العبدلاب.

وهكذا توجه مع الشيخ ناصر إلى الحلفاية عاصمة العبدلاب حيث لقي مصرعه على يد الشيخ الأمين ود مسمار<sup>(125)</sup> وتم تعيين الملك حسب ربه ومات أيضا<sup>(126)</sup> كل هذه الإحداث توالى تباعا في عام واحد من 1204-1205هـ - 1790م-1791م.

(122) مكي شبيكه، مرجع سبق ذكره، ص 106.

(123) احمد بن الحاج أبو علي، مرجع سبق ذكره، ص 26.

(124) الشاطر بصيلي: مرجع سبق ذكره، ص 293.

(125) محمد صالح محي الدين: مرجع سبق ذكره، ص 198.

(126) نعوم شقير، مرجع سبق ذكره ج 2، ص 413.



فى عام 1205هـ - 1791م تعين الملك نوار وكان صاحب شهامة وعندما ظهرت عليه علامات النفوذ خشى منه الشيخ ناصر الذى قتله<sup>(127)</sup> خوفا من سطوته وتقول المخطوطة انه تولى السلطة الملك بادی السادس 1205-1236هـ 1791-1821م وكان حدثا صغير السن لا يستطيع ركوب الخيل ويساعده مجموعة من وزراء الهمج<sup>(128)</sup>. وبعد قليل نادى السلطان كمتور بسلطان آخر هو رانفى الذى تولى السلطة وبعدها اشتبك الفريقان المتعارضان وانتهى القتال بالصلح على أن يعزل بادی ويبقى رانفى، وبعد عام واحد أعيد بادی الى العرش. ومن هذا يتبين مدى ما أصاب البلاد من انحلال وتعطيل لمراق الحياة وما ساد من قلق وفزع كثرت معه هجرات القبائل وخاصة فى المنطقة الوسطى من السودان وهى التى تشمل ارض الجزيرة والبطانة وكانت هذه الحالة فرصة لازدياد نفوذ رجال الدين وسيطرتهم على العامة الذين لجأوا إليهم لسؤالهم الله تعالى ليرع عنهم الغمة.

وبينما كانت الأمور تسير من سى إلى أسوأ تغيرت الأحوال فى مصر باختفاء الحكم المملوكى وهرب جماعة إلى شمال السودان محاولين تثبيت أقدامهم وإقامة حكومة يسيطرون بها على البلاد فزاد بذلك الظلم والتدهور مما دفع الزعماء من مختلف نواحي السودان إلى الهجرة إلى مصر ومنهم من سافر إلى الحجاز حيث التقوا بمحمد على من (خلال حرب الوهابيين) وطلب هؤلاء منه المعونة لوضع حد للقلق والحروب المحلية بعد أن تعطلت الحياة الاقتصادية وخيم على البلاد شبح الخراب والدمار فما كان من محمد على إلا أن أرسل حملة بقيادة ابنة إسماعيل وصلت إلى عاصمة دولة الفونج حيث وقع السلطان الوثيقة التى اعترف فيها بتعيينه للسلطان العثمانى وتسليمه إدارة البلاد إلى والى مصر<sup>(129)</sup>.

(127) الشاطر بصيلى، مرجع سبق ذكره، نفس الصفحة.

(128) احمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، ص 28.

(129) شوقى عطا الله الجمل: مرجع سبق ذكره، ج 1، ص 312.

## الفصل الرابع

### مقومات النهضة العلمية في السودان

أ- المراكز والمدارس العلمية

ب- الكتب الدراسية

ج- الأجازات العلمية

د- دور الأزهر في السودان

هـ- رحلات الحج والعمرة



## الفصل الرابع

### مقومات النهضة العلمية في السودان

#### أ- المراكز والمدارس العلمية :

قبل أن نتحدث عن المراكز العلمية في عهد الفونج نرى من الضروري أن نرجع قليلا لنذكر هل كان هناك مراكز علمية قبل قيام السلطنة الزرقاء ؟ إما كان الأمر كما قال ود ضيف الله (لم تشتهر فيها مدرسة علم ولا قرآن ويقال إن الرجل يطلق المرأة ويتزوجها غيره في نهارها من غير عدة حتى قدم الشيخ محمود العركي من مصر وعلم الناس العدة)<sup>(1)</sup> والمتتبع لتاريخ الثقافة في سنار آنذاك يعلم أنه في مدة خلافة هارون الرشيد (170هـ - 193هـ ، 1786م - 809م) قدم إليه جماعة من بر السودان وهو ببغداد وطلبوا منه أن يرسل معهم علماء يعلمونهم أمور الديانة فأرسل معهم سبعة علماء من بني العباس ووصلوا إلى دنقلا وأقاموا بها وتناقلت منهم ذرية كثيرة<sup>(2)</sup> لا بد أن يكون هؤلاء العلماء انشأوا حلقات تعليمية وقاموا بتعليم عدد من الأقلية المسلمة وهم الذين جاءوا خصيصا لذلك إلا أننا لا ندرى نوع العلوم التي كان يقوم بتدريسها هؤلاء العلماء ولكنها لا تخرج عن نطاق الدين هذا بالإضافة إلى أولاد عون الله (جابر)<sup>(3)</sup> و(وجبر الله) و (هدلول) و (رزين) و (عبد الرازق) و (دهمش) و (صبح)<sup>(4)</sup> وقد اتخذ هؤلاء من دنقلا مركزا لهم نشروا فيها ثقافتهم وكان الإسلام إلى ذلك الوقت لم يتعمق

(1) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 40 .

(2) حسن محمد الفاتح قريب الله: مرجع سبق ذكره، ص 10-11 .

(3) عبد العزيز أمين عبد المجيد: التربية في السودان في القرن التاسع عشر، مصر، القاهرة، 1949م، ج 1، ص 59.

(4) محمد بن ضيف الله بن محمد الجعلي الفضلي: الطبقات في خصوص الأولياء والصلحين والعلماء والشعراء في السودان، لبنان، بيروت (نسخة صديق)، ص 45.



فى نفوسهم ولم يتطلب معرفته عندهم أكثر من النطق بالشهادتين<sup>(5)</sup> وإذا علمنا إن الشيخ إدريس ود الأرباب كانت ولادته فى سنة ثلاث عشرة بعد التسعمائة وكان يقرأ القرآن عند الشيخ البغدادى قدام الحلفايه وقدم محمود كان بعد ذلك نستنتج من ذلك<sup>(6)</sup> إن حالة الجهل التى أشار إليها ود ضيف الله قاصرة على جهة معينة والمعروف إن بلاد النوبة بدأ الإسلام ينتشر فيها منذ بداية القرن الرابع عشر بعد إن صار ملكها مسلماً ومن الطبيعى إن يكون بينهم علماء ينشرون إحكام الدين وتعاليمه. إلا إن ربما أهتم هؤلاء العلماء بالجوانب الأساسية فى الدين هذا بالإضافة إلى المؤثرات التى تسربت مع الهجرات العربية قبل معاهدة العرب والنوبة. وما أعقب ذلك من تأسيس خلاوى ومساجد وقيام مشيخات إسلامية لابد وإن يكون ذلك ترك أثراً. وإذا علمنا إن محمود العركى قدم إلى السودان فى مستهل دولة الفونج أى فى القرن السادس عشر<sup>(7)</sup> وندرك مدى الفرق الزمنى هذا بالإضافة إلى إن أسرة العريقاب التى قدمت للسودان خلال القرن الثانى الهجرى - الثامن الميلادى كان كبيرها من دعاة الإسلام فى دنقلا عند وصول العرب إليها<sup>(8)</sup> ويروى ود ضيف الله إن إبراهيم البولاد قام بتدريس خليل والرسالة عندما عاد من مصر إلى ترنج<sup>(9)</sup> والمعروف إن هذين الكتّابين لا يدرسان إلا لمن نال قدراً من التعليم هذا يعنى أنه كان فى بلاد الشايقيه من هم على قدر من العلم يؤهلهم لدراسة مثل هذه الكتب وربما كان فى مناطق أخرى كذلك لأن الشيخ محمود العركى بعد قدومه من مصر أنشأ سبع عشرة مدرسة من الخرطوم إلى أليس<sup>(10)</sup> وإقامة مثل هذا العدد من المدارس يعنى هناك رغبة فهو إن لمس تلك الرغبة من الأهالى حتى أقام هذه المدارس ومن الضرورى إن تكون معه مجموعة

(5) عبد المجيد عابدين: مرجع سبق ذكره، ص 29.

(6) أحمد بن الحاج أبو على، مرجع سبق ذكره، تحقيق الشاطر بصيلى، ص 123.

(7) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 344.

(8) يحيى محمد إبراهيم: تاريخ التعليم الدينى فى السودان، لبنان، بيروت، دار الجيل، 1407 هـ - 1987 م، ص 29.

(9) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 45.

(10) نفسه، ص 344.

تعمل في هذه المدارس وهو بجانب القرآن كان يدرس العلوم المختلفة<sup>(11)</sup> ولهذا فإن جهل الناس بالعدة وهو ما استند عليه ود ضيف الله وقرر به عدم وجود مدارس علم ولا قرآن لا اظنه كافيا وربما يكون مكتسبا نتيجة علاقات لأننا نجد في العادات والتقاليد والتنظيمات الاجتماعية ما يشير إلى صلات وروابط بين ساحل الزنج ولامو بصفة خاصة وبين مجتمع حوض النيل الأزرق<sup>(12)</sup> ومن ذلك إن زواج المرأة من غير عدة متبع في لامو بسبب إن عددا من السكان يعملون كملاحين في السفن ولهذا يتغيبون عن وطنهم زمنا لا يمكنهم فيه مدة العدة من إجراء الزواج.

#### - المسجد أو المسيد:

لفظ المسيد يعنى مسجد فقط لحقه الإبدال وهو معروف في لهجات العرب في الماضي والحاضر<sup>(13)</sup> وقال عون الشريف (نحن في السودان لا نقلب الجيم ولا نحورها. فهي عند العام والخاص جيم قرشية حرة<sup>(14)</sup>) فهي إذن وفدت مع المشايخ الذين توافدوا على السودان في وقت مبكر من الحجاز والمغرب مع العلم إن العامة في المنطقتين يطلقون كلمة المسيد على المسجد<sup>(15)</sup> وهذا اللفظ في السودان يقصد به المكان الذي يجمع مدرسة القرآن (الخلوة) والمصلى والسكن.

عرف السودان وادي النيل المساجد قبل الخلاوى وكانت وما زالت وظيفتها أماكن للعبادة والإرشاد والوعظ وهذه وظيفة المسجد في كل الأزمنة منذ عهد الرسول (ﷺ) حيث كانت الصلوات تقام فيه ويتعبد فيه الناس بالإضافة إلى انه ملتقى لصاحبة رسول الله (ﷺ) ومأوى للغريب وعابر السبيل وفوق ذلك اتخذ الرسول (ﷺ) مكانا لتعليم المسلمين مبادئ الدين ويروى في ذلك عن كعب بن مالك (رضي الله عنه) قوله "رحت

(11) عبد العزيز أمين عبد المجيد، مرجع سبق ذكره، ص 61.

(12) الشاطر بصيلي: مرجع سبق ذكره، ص 221.

(13) الطيب محمد الطيب: المسيد، السودان، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1991، ص 36.

(14) اللهجة العامية في السودان، في مادة المسيد، ص 37.

(15) الطيب محمد الطيب، مرجع سبق ذكره، ص 37.

إلى المسجد فسمعت رجلاً يقرأ فقلت من أقرأك؟ فقال رسول الله (ﷺ) " وهكذا صارت المساجد أماكن لتعليم القرآن ونشر الإسلام والتهذيب ولهذا كانت شديدة الاتصال بالحياة الإسلامية المادية منها والمعنوية<sup>(16)</sup>.

ويذكر أحمد شلبي إن هذه المساجد هي أنسب مكان لشرح تعاليم الإسلام وإحكامه أهدافه<sup>(17)</sup> ولم تختلف مساجد السودان عن هذه التي ذكرناها فهي مكان للصلاة والوعظ والتوجيه وحل المنازعات وفيها يتم نسخ المصحف والتلاوة وأول ذكر للمساجد في السودان هذا المسجد الذي بناه المسلمون في فناء دنقلا والتزم النوبيون بكنسسه وإسراجه<sup>(18)</sup> ولقد حرصت في البحث عن هذا المسجد الذي أجمعت كثير من المراجع على حقيقة واحدة وهو أنه كان في الأصل كنيسة إلا أنه إن تأكد ذلك فمعناه إن هناك اعتداء على المسيحيين وهذا لا يليق بالمسلمين الذين عرفوا بالتسامح واحترام الأديان منذ عهد الرسول (ﷺ) وتواصل في عهد سيدنا عمر بن الخطاب الذي أمر بعدم التعرض للمسيحيين والاعتداء على كنائسهم وطبق ذلك في فلسطين ومصر ونقول كيف تعطلت هذه الأوامر في عهد عثمان الذي بنى المسجد في عهده؟ وكيف يقبل هؤلاء المسيحيون الاعتداء على مقدساتهم وممالكهم في تلك الآونة ولم يكن الضعف دب في أوصالها ولكن وبعد رجوعى إلى نصوص الاتفاقية التي سجلها المؤرخون العرب بالإجماع وجدت النص الخاص بالمساجد يقول (عليكم رعاية المسجد الذي ابتناه المسلمون) وما يهمنا هو عبارة ابتناه المسلمون. إن فـالمسلمون لم يحيلوا كنيسة دنقلا إلى مسجد بل هم الذين بنوا هذا المسجد ولكن ليطمئن قلبي فقد صحبت وفدا مسيحيا إلى دنقلا وفي مكان منخفض وكما نصف الاتفاقية رأيت مسجد عبد الله بن أبي السرح<sup>(19)</sup> وهو مسجد صغير في حجمه تعلوه مئذنة وفي أركانه حجرات متهدمة وبالقرب منه أطلال منزل.

(16) أسماء حسن فهمي: مبادئ التربية الإسلامية، مصر، القاهرة، 1947م، ص26.

(17) أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، مصر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1960، ص85.

(18) تقى الدين أحمد بن علي المقرئ: الخطط، ج1، ص199-200.

(19) انظر الملحق رقم28.



قال الاهالى أنها بقايا منزل عبد الله بن أبى السرح إما الحقيقة التى وقفت عليها بنفسى هى إن المبنى الذى ذكرت المراجع انه كنيسة تحول إلى مسجد فهو قصر بطابقين لا يعطيك اى شئ فيه بالإحساس بأنها كنيسة لان الكنائس القديمة فى صعيد مصر والتى تعود إلى نفس الفترة يجد الباحث .. إن التصميم المسيحى واضح فيها والذى يتمثل فى النحت من الداخل حيث تجد صور السيد المسيح والقديسين. وهو من الصعب إزالته كل هذا لا يوجد فى ذلك القصر رغم وجود النحت بالقرب منه فى شكل كاتدرائية<sup>(20)</sup> ما بقى منها عبارة عن مجموعة عواميد رؤوسها ملقاة على الأرض منحوت عليها الصليبان<sup>(21)</sup> ولا اعتقد أنهم أقاموا كاتدرائية<sup>(22)</sup> بهذه الصورة التى رأيتها وأقاموا بالقرب منها كنيسة لان الاثنين الهدف منهما واحد أضف إلى ذلك إن هناك أنفاقا<sup>(23)</sup> فى أسفل هذا القصر تعذر على دخولها لكثرة الخفافيش التى تعيش فيها.

وذكر الاهالى إن إحدى هذه الأنفاق يؤدى إلى مدينة البركل والآخر إلى كريمة وربما هى مخابئ بنيت خصيصا لهروب الأسرة الحاكمة إن دعى الأمر وهذا يؤكد انه قصر الحاكم وليست كنيسة. وهذا ما ذكره النويرى عندما قال إن عبد الله برشمبو أول ملك نوبى مسلم أقام مسجدا فى قصر الملك بدنقلا<sup>(24)</sup> وقد كان تدشين هذا المسجد فى 16 ربيع سنة 717هـ الموافق 29 مايو سنة 1317م وتشير الكتابة التى نقشت على هذه اللوحة إلى هذا المعنى (تحويل هذا المكان إلى مسجد)<sup>(25)</sup> وقيام هذا المسجد فى تلك الآونة يكده ما قاله ابن خلدون من إن كثيرا من النوبيين قد دخلوا الإسلام منذ عصر شكندره<sup>(26)</sup> وأضف إلى ذلك إن التنقيبات والأبحاث التى أجريت حديثا فى هذا المسجد سنة 1361هـ الموافق 1974م أكدت إن المبنى كان قصرا ملكيا فى الأصل وإن الملك عبد الله برشمبو (شكندة) حول قاعة واحدة منها فى الطابق الثانى إلى مسجد<sup>(27)</sup>.

(20) هى عبارة عن كنيسة ضخمة تسع عدد كبير من المصلين (انظر الصورة فى الملاحق).

(21) انظر الملحق رقم 18.

(22) انظر الملحق رقم 19.

(23) انظر الملحق رقم.

(24) نهاية الأقرب فى فنون الأدب، ج 30 ورقة 95.

(25) جيوانى فانتينى: تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية، ص 183.

(26) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، المجلد الخامس، ص 429.

(27) جيوفانى فانتينى، مرجع سبق ذكره، ص 183.



ثم إن معاهدة عبدالله بن الجهم مع البجة سنة 228هـ - 841م كان من ضمن نصوحها إلا يهدم البجة شيئاً من المساجد التي بناها المسلمون بصيحة وهجر وبسائر البلاد طولا وعرضا<sup>(28)</sup>. يدل النص في تقدير الباحثة على وجود أكثر من مجد وان هناك عددا لا يستهان به من المسلمين حتى إن عمال أمير المؤمنين كانوا يجمعون منهم الصدقات لهذا اعتقد إن هذه المساجد بنيت فور استقرارهم. هذا وقد ثبت وجود جاليات إسلامية في منطقة خور نبت غربى سواكن وكذلك دل البحث الاثرى على وجود مسجد فى سكنات يرجع تاريخه إلى سنة 218هـ - 831م<sup>(29)</sup> ربما يكون ضمن المساجد التي نصت الاتفاقية على حمايتها لأنه يروى عن عمر بن الخطاب لما افتتح البلدان كتب إلى أبى موسى وهو على البصرة يأمره إن يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة وكتب إلى سعد بن أبى وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك أيضا<sup>(30)</sup> ولابد وان يكون هؤلاء قد نفذوا هذه الأوامر وأقاموا المساجد فى جميع هذه المناطق التى لهم عليهم سلطان ورغم إن المصادر لم تتعرض لذكر تفاصيل عن هذه المساجد إلا أن ابن فضل الله العمرى يروى لنا إن مسجد دنقلا هذا كان مسجدا جامعا يأوى إليه الغرباء ويحى رسل الملك إليهم تستدعيهم إليه فإذا جاءوا أضافهم وأكرمهم هو وأمرأؤه<sup>(31)</sup> ويذكر اليعقوبى إن المسلمين كانوا يترددون على سوبا فى أيامه<sup>(32)</sup>، أى فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى 284هـ - 897م حتى أنهم فى أواخر القرن العاشر كان فى علوه رباط به مجموعة من المسلمين ومن المؤكد إن تكون لهذه المجموعات مساجد تؤدى فيها الشعائر ودلت كذلك نتائج الحفريات التى أجريت فى منطقة دبيره شمال وأدى حلفا على وجود كثير من القباب والقبور

(28) تقى الدين احمد بن على المقرئى، مصدر سبق ذكره، ص 196.

(29) مصطفى محمد مسعد، الإسلام، ص 118.

(30) أحمد شلبى، مرجع سبق ذكره، ص 87.

(31) ابن فضل الله العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، ص 492.

(32) احمد بن إسحاق بن جعفر اليعقوبى، البلدان، ص 123.

الإسلامية التي تعود إلى القرنين العاشر والحادي عشر الميلادي<sup>(33)</sup> مما يوحى بان هذه المنطقة كانت موطناً لأقليات مسلمة كما عثر في أرض مريس على كتابات عربية ترجع أقدمها إلى القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادي وإلى مثل ذلك ذهب إليه مصطفى محمد مسعد عندما ذكر إن كثرة شواهد القبور المكتوبة بالخط العربي وتحمل أسماء عربية في كل من تافه وكلايشة تدل على حياة عربية هادئة لجاليات إسلامية في بلاد مريس<sup>(34)</sup> ولسنا بحاجة إلى التأكيد بان وجود جاليات عربية مسلمة دليل على وجود مسجد أو أكثر رغم كثرة المساجد في بلاد النوبة إلا أنها تعرضت للزوال لأنها بنيت من فروع الأشجار والطين وسالقي الضوء على هذه المساجد التي اتخذها مؤسسها أماكن للتدريس بجانب وظائفها الأخرى لذا أطلق عليها لفظ مدرسة لأنها تقوم بوظيفة التعليم.

#### أولاً: مدرسة أولاد جابر:

أولاد جابر هم أحفاد غلام الله بن عائد الركابي<sup>(35)</sup> الذي قدم إلى دنقلا في أواسط القرن الرابع عشر الميلادي<sup>(36)</sup> ويروى عنهم ود ضيف الله أنهم كالطبائع الأربعة أعلمهم إبراهيم وأصلحهم عبد الرحمن وأروعهم إسماعيل وابعدهم عبد الرحيم وأختهم فاطمة أم الشيخ صغيرون نظيرتهم في الدين<sup>(37)</sup> والغريب إن كثير من المراجع التي أشارت إلى هذه المدرسة نسبتها إلى غلام الله بن عائد<sup>(38)</sup> الذي جاء من اليمن عن طريق البحر الأحمر وسكن دنقلا<sup>(39)</sup> لكنني أرى انه لم يكن هو رائد هذه المدرسة وإنما أحفاده أبناء جابر الذي قال عنه ود ضيف الله هو أبو الأئمة الأربعة الذين قام

<sup>(33)</sup> سر الختم عثمان: العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى، السودان، الخرطوم، أدلب جامعة القاهرة، 1969. ص 166.

<sup>(34)</sup> مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، ص 130.

<sup>(35)</sup> انظر الملحق رقم (4).

<sup>(36)</sup> سر الختم عثمان: أولاد جابر، الأمانة العامة للشئون الدينية، 1394هـ - 1974م، ص 10.

<sup>(37)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 46.

<sup>(38)</sup> Mac Michael, H.A. Op.Cit, P359.

<sup>(39)</sup> عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان، لبنان، بيروت، 1967، ص 29.

عليهم نظام الدنيا والدين<sup>(40)</sup> إما إبراهيم الابن الأكبر للشيخ جابر ولد في دار الشايقية ورحل إلى الأزهر ودرس عند الشيخ البنوفري<sup>(41)</sup> ولما عاد درس خليل والرسالة ويعتبر أول من درس خليل في بلاد الفونج<sup>(42)</sup>.

إما عبد الرحمن فهو المؤسس الثاني لمدرسة أولاد جابر رحل إلى مصر مثل أخيه درس عند البنوفري وعاد فأنشأ ثلاثة مساجد في دار الشايقية وكورتى<sup>(43)</sup> والدفار وكان يقضى في كل مسجد أربعة أشهر<sup>(44)</sup> على الرغم من اهتمام المؤرخين بهذه المدرسة إلا إن أمر العلوم التي كانت تقوم بتدريسها بجانب خليل والرسالة مازال مجهولاً فقد تكون العلوم فقها وقد تكون أصولاً وإن كنا نميل إلى أنها تقوم بتدريس الفقه وعلوم القرآن من خلال إشارات محمد ود ضيف الله، أكثر من غيره مستنديين إلى اهتمام إبراهيم البولاد بذلك العلم أكثر من غيره.

ثانياً: مدرسة الحموياب<sup>(45)</sup>:

أسسها الشيخ عبد الرحمن ولد حمدتو ابن الخطيب واشتهرت بتدريس القرآن وإحكامه وكانوا لا يقبلون في حلقاتهم عدا من لمسوا فيه القدرة على الفهم.

(40) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 130.

(41) البنورى من أجله فقهاء مصر اشتهر بالزهد والدرع واخذ عنه اللقاني والاجهورى تولى رئاسة المذهب المالكي وتوفي نحو سنة 1590/998 (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 45 هامش رقم 9).

(42) نفسه ص 45.

(43) بلدة على شاطئ النيل الغربى على بعد خمسة أميال جنوب الضيقة الحدود الشمالية لدير الشايقية (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 251 هامش رقم 5).

(44) نفسه، ص 48.

(45) الحموياب موطنهم نوري وأم ببول ببلاد الشايقية وقندتو بدار الجميلين وفي الهالية بالجزيرة وهم من ذرية أبى بكر الصديق (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 256 هامش رقم 6).

### ثالثا: مدرسة سعد الكرسي:

أسسها الشيخ سعد الكرسي الذي حرص على رياضة حيرانة وتعليمهم الشد والمد والهمزة والقلقلة والإدغام ويروى عنه ود ضيف الله قائلا من لا يعرف هذه الأحكام لا يدرس عنده<sup>(46)</sup>.

### رابعا: مدرسة الدويحي:

أسسها الشيخ عبد الرحمن ولد دويح بن حاج الدويحي جمعت بين دراسة القرآن والعلم وعمل مؤسسها على تدريس خليل والرسالة<sup>(47)</sup>.

### خامسا: مدرسة الشيخ محمد ود عدلان:

في تنقاسي التي درس مؤسسها في المدينة المنورة ومكة ثم عاد إلى بلاده لتدريس علم الكلام في كبرى السنوسية ووسطاه والصغرى<sup>(48)</sup> ولم يكن تدريس هذه الكتب معهودا في دولة الفونج إلا أم البراهين<sup>(49)</sup> فقط وكان لهذه المدرسة عناية بالتصوف وكان لمؤسسها شروحات انتفع بها المبتدئ والمنتهى ومن تعاليمه إن من لم يعرف الله بالدليل والبرهان فليس بمؤمن.

ذاعت شهرة مدارس الشايقية حتى أصبحت مراكز أشعاع ديني وعلمي يحج إليها طلاب العلم من جميع مناطق السودان لأنهم يجدون إن أكثر العلوم الإسلامية يقوم بتدريسها أشهر العلماء.

### سادسا: مدرسة سوار الذهب في دنقلا:

أسسها الشيخ محمد عيسى سوار الذهب الذي عرف عنه انه سليل أسرة عرفت العلم فوالده كان صاحب مدرسة اشتهرت بتدريس خليل<sup>(50)</sup> جمع الشيخ محمد بين العلم

<sup>(46)</sup> نفسه ص 224.

<sup>(47)</sup> نفسه ص 285.

<sup>(48)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 117.

<sup>(49)</sup> نفسه، ص 359.

<sup>(50)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 71، 79.



والتصوف بعد إن درس على يد الشيخين محمد المصرى والتلمسانى المغربى وبلغ من العلم حدا تمناه أهل منطقته حتى قالوا (اللهم ارزقنا علم ود عيسى)<sup>(51)</sup> وتتلذ على يديه كل من عبد الرحمن والد الشيخ خوجلى وعبدالله الاغبش والد الغبش ونصر الله والد أبو سنيئة شيخ اربجى وكذلك تخرج عليه شيوخ نبغوا فى القضاء منهم حمد بن حسن أبو حليلة الذى كان يحل مشاكل الفقهاء<sup>(52)</sup> وتلميذة حلاوى الذى قال عنه ود ضيف الله انه حلالا للمعضلات من الامور<sup>(53)</sup>.

#### سابعاً: مدرسة الكيمانى المصرى فى بربر:

قدم الشيخ محمد بن على قرم الكيمانى المصرى إلى السودان بعد إن درس على يد الشربينى<sup>(54)</sup> فى مصر وساح بمدينة اربجى ثم سنار واستقر أخيراً فى بربر وبنى مسجده الذى صار مركزاً لتعليم الفقه الشافعى ودرس محمد المنهج والمنهاج وكلاهما من كتب الشافعية<sup>(55)</sup> التى تدرس فى هذه المدرسة. قال عنه ود ضيف الله (هو من أية الله لان جميع الشيوخ أخذت منه العلم) ودرس عنده عبد الله العركى والقاضى دشين الشافعى وعبد الرحمن ولد حمدتو وإبراهيم الفرضى<sup>(56)</sup>.

#### ثامناً: مدرسة المصرى القناوى فى بربر:

قدم الشيخ محمد المصرى القناوى<sup>(57)</sup> إلى بلاد العنج بعد إن تلقى العلم على يد الشيخ السنهورى<sup>(58)</sup> فى النصف الثانى من القرن العاشر واستقر فى بربر وأسس

(51) نفسه، ص 154.

(52) نفسه، ص 150.

(53) نفسه، ص 183-184.

(54) هو شمس الدين بن الشربينى من فقهاء الشافعية فى مصر له مؤلفات منها (السراج المنير) فى تفسير القرآن (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 353 حاشية 18).

(55) نفسه، ص 248.

(56) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 354.

(57) نسبة إلى بلده قنا فى الوجه القبلى بمصر (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 100 حاشية رقم 13).

(58) هو سالم بن محمد السنهورى المالكى، الإمام الكبير ومتى المالكية ولد بسنهور له مؤلفات كثيرة منها (حاشيته على مختصر خليل) عاش بين 945-1015 هـ، 1538-1606 م (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 100 حاشية رقم 14).

مدرسة لتدريس الرسالة والفقه والتوحيد وسائر العلوم الدينية وكان إميل إلى القضاء من الفقه (59).

#### تاسعا: مدرسة البديري الدهمشی في بربر:

ترجع نشأة هذه المدرسة إلى الشيخ عبدالله البديري الذي حظ القرآن على الشيخ محمد عيسى سوار الذهب ثم درس العلم عند أولاد جابر وسمى بالاغبش (60) ولهذه المدرسة الفضل في ازدهار علوم الدين وقام بالتدريس فيها أبناؤه وأحفاده فابنه حمد ود الاغبش درس بعد أبيه وجمع بين العلم والعمل وانتفعت به الناس وكان من كبار الصالحين (61) وابنه عبد الماجد الذي حفظ القرآن ودرس خليل وجمع بين العلم والعمل وأتباع الكتاب والسنة وجمع بين علمي الظاهر والباطن (62) حتى بلغ عدد طلابه ألف طالب وعبدالرحمن بن حمد الاغبش الذي درس الجزرية والخرازي ووضع شروحات عليها (63) وعبد الله بن حمد الاغبش الذي ضمت حلقاته العرب والحلقة (64).

كان تعليم القرآن الهدف المباشر لمدارس ومراكز التعليم الديني واختصت الخلوة بتعليمه للصغار شأن المرحلة الأولى من مراحل التعليم ففي الخلوة كانت تلقن مبادئ القراءة وتحفظ بعض آيات القرآن وسوره ومن شاء بعدها التعمق في العلم وأصول الدين من فقه وتفسير وحديث فعليه إن يتابع دروسه في مسجد فهو ليس مرتبطا بمنهج معين يختار من الشيوخ من ذاع صيته. إما إذا أراد إن يكون عالما فعليه إن يقوم بالرحلة إلى أكثر من واحد من الشيوخ المشهورين وقد يكتفى بالمتخصصين في المواد التي يريد التعمق فيها.

(59) محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، نفس الصفحة.  
(60) يقال انه كان تلميذ عن أولاد جابر وكسفت الشمس فصلى بالناس صلاة الكسوف فانجلت الشمس قال احد ملوك الشايقية (نعم ه الغبشه) (أحمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 279).  
(61) نفسه، ص 153.  
(62) نفسه، ص 279.  
(63) نفسه، ص 280.  
(64) نفسه، ص 281.

جمعت بين ثقافة الحجاز ومصر أو لأنهم كانوا يمتلكون المراجع لان المجاذيب حرسوا إلى إيفاد أبنائهم إلى الأزهر والحجاز فكانوا يعودون ومعهم المراجع<sup>(65)</sup>.

سرت سمعه مدارس الدامر إلى الحجاز واليمن مع الحجيج وزارها نفر من الشيوخ الأفارقة من نيجريا وتمبكتو مقيمين وعابرين وهم فى طريقهم للأراضى المقدسة وتركوا أثارا تتمثل فى كتب التجويد والفقه والخط العربى<sup>(66)</sup> ونلاحظ إن التعليم فى هذه المدارس يبدأ بالقرآن حفظا وتجويدا ثم الفقه والعلوم الإسلامية على المذهب المالكى وعلم التجويد والعقائد وعلوم العربية كالنحو والبلاغة وبعد تخطى الطالب لهذه المراحل وله رغبة فى الدراسات العليا فهى قسمين نظرى وهو دراسة كتب الإحياء للغزالي والسكندري وغيرها وعملى ويتمثل فى الصلاة والصوم وقيام الليل<sup>(67)</sup>.

#### – مدرسة الزيداب<sup>(68)</sup>:

أسسها ضو البيت بن أحمد الشافعى فى منطقة الزيداب وكان يدرس إحكام القرآن وحظى عندهم حظا وافرا<sup>(69)</sup>.

#### – مدارس شندى:

##### أولا: مدرسة الشيخ صغيرون:

أسسها الشيخ محمد صغيرون جد الصيغروناب فى قوز المطرق جنسوب شندى ولما كان الشيخ صغيرون أول من أوقد نار العلم فيها سميت بقوز العلم<sup>(70)</sup> ويذكر ود ضيف الله إن الشيخ جمع بين العلم والتصوف حيث درس الفقه على خاله الشيخ إسماعيل بن جابر الذى أجاز له التدريس ثم سافر إلى مصر وقرأ خليل على البنوفرى

<sup>(65)</sup> يحيى محمد إبراهيم، مرجع سبق ذكره، نفس الصفحة.

<sup>(66)</sup> الطيب محمد الطيب، المسيد، ص 141.

<sup>(67)</sup> نفسه، نفس الصفحة.

<sup>(68)</sup> هم فرع من الجعليين يسكن بين الدامر ومحطة العالياب (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 248 حاشية رقم 15.

<sup>(69)</sup> نفسه، نفس الصفحة.

<sup>(70)</sup> نفسه، ص 149.

الذى تتبأ له بالنبوغ فى الدراسة<sup>(71)</sup> وكان من كبار العلماء الذين درسوا التجويد والفقه ويتضح ذلك ممن تتلمذوا عليه<sup>(72)</sup> ومن الذين درسوا فى هذه المدرسة بأسبار السكرى الذى درس الفقه والعقائد والقرآن وبلغت حلقاته ألف طالب<sup>(73)</sup> واستمر الشيخ صغيرون فى هذا المكان ثلاث عشرة سنة وبعد وفاته واصل الدراسة فيه ابنه الزين الذى بلغ تدريسه خمسين ختمه وبلغت حلقاته ألف طالب<sup>(74)</sup>.

### ثانيا: مدرسة آل الحاج جابر:

فى عام 1062هـ - 1651م تقريبا أسس الشيخ محمود الصاردى مدرسه مشهورة لتعليم القرآن فى شندى<sup>(75)</sup> قصدھا الناس من كل الجهات.

### ثالثا: مدرسة أبوكتى:

أسسها الشيخ احمد عبدالله جد الكتّاب الذى كان يربط المصحف فى عنقة أينما ذهب فلقب بأبوكتى وأسسها غرب المحمية فى 1082هـ - 1671م ثم تشعبت منها عدد من المدارس القرآنية<sup>(76)</sup>. والجدير بالذكر إن أهل الكتّاب خصصوا جزءا من مقبرة أبو كتى لحفظة القرآن لم يفصل بينهم أى قبر لم يحفظ صاحبة القرآن<sup>(77)</sup>.

### - مدارس منطقة الخرطوم الحالية:

#### أولا: مدرسة اسلانج:

يرجع تأسيس أول مدرسة فى جزيرة اسلانج<sup>(78)</sup> إلى عام 970-1019هـ، 1562م-1610م التى أنشأها الشيخ عجيب المانجلك للشيخ حمد النجيب الجموعى

(71) نفسه، 234-235.

(72) انظر محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 297-97-360.

(73) نفسه 109-110.

(74) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 73.

(75) الطيب محمد الطيب، مرجع سبق ذكره، ص 150.

(76) نفسه، ص 152.

(77) نفسه، ص 152.

(78) جزيرة تقع شمال أم درمان بالقرب من قرية الشهباب وتعرف أيضا بجزيرة الفكى ولد أم حقين (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 128 هامش رقم 9).



وأوقف له دارا للأنفاق عليها<sup>(79)</sup> وحمد النجيز اخذ الطريقة من الشيخ تاج الدين البهاري وعمل في تدريس القرآن دهرًا طويلًا<sup>(80)</sup> ويبدو ان جزيرة اسلانج كانت مقصد الشيوخ وذلك لشهرتها العلمية ويروى صاحب الطبقات عن الشيخ صالح ودبان النقا احد حوار الشيخ حسن ود حسونة عندما كان يطلب شيخا في الطريقة يذهب إلى جزيرة اسلانج<sup>(81)</sup>.

### ثانيا: مدرسة الحلفايا:

اتخذ الشيخ البنداري في منطقة الحلفايا مكانا لتدريس القرآن أطلق عليه صاحب الطبقات اسم مكتب<sup>(82)</sup> وذلك قبل قيام مملكة الفونج أو في بدايتها لان الشيخ إدريس ود الأرباب الذي دخل هذا المكتب كانت ولادته 1912هـ-1507م وإذا افترضنا ان عمره كان سبع سنوات عندما دخل هذا المكتب إذا كان هذا المقر موجودا قبل عهد الفونج أو في بدايته.

ومن إعلام الدعوة الإسلامية في الحلفايا الضرير والفقير ابنا عون الله ويقول عنهم صاحب الطبقات ان البلد كله مقتدى بهم ويجتمع معهم من الصبابة إلى شمبات والحلفايا للصلاة خلفهم<sup>(83)</sup>.

### ثالثا: مدرسة حمد بن علي المشيخي<sup>(84)</sup> "حمد ود أم مريوم":

ولد في جزيرة توتي 1055هـ-1643م وتلمذ على يد الفقيه أرباب العقائد وأقام مدرسة في المكان المعروف باسمه الآن (حلة حمد) واتسعت حلقة وكان إتباعه من

<sup>(79)</sup> نفسه، ص 153.

<sup>(80)</sup> نفسه، نفس الصفحة.

<sup>(81)</sup> محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 133.

<sup>(82)</sup> المكتب عرف منذ العصور الأولى للإسلام بأنه مكان لتعليم القراءة والكتابة والنحو (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 50 هامش رقم 5).

<sup>(83)</sup> نفسه، ص 72.

<sup>(84)</sup> نسبه إلى المشايخة وهم نرية سيدنا ابي بكر الصديق (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 173، حاشية 17).

النساء أكثر من الرجال<sup>(85)</sup> اتسع اثر هذه المدرسة حتى بلغ إقصى الغرب حيث كان له إتباع من قبيلة زاره ومن بنى جرار خاصة وكانوا يأتونه بالزكاة فيشتري بها عبيد ثم يعتق بعضهم بعد إن يفقههم في الدين<sup>(86)</sup> ويروى عنه انه علم سبعين نرا من بنى جرار اسلموا على يديه فاعتقهم وأمرهم بالرجوع ونشر الإسلام في بلادهم<sup>(87)</sup> وخذت الدراسة في مدرسة ود أم مريوم منحني اجتماعيا حيث تناول الزواج والطلاق والصدقة ونبذ الربا والحسد<sup>(88)</sup>.

#### رابعاً: مدرسة الشيخ خوجلى:

عاصر الشيخ خوجلى بن عبد الرحمن حمد ود مريوم ودرس التوحيد على أرباب العقائد والفقه على الزين صغبيرون وجمع بين الفقه والتصوف<sup>(89)</sup> وبلغ درجة عظيمة حتى إن أكابر العلماء في حضرته يكونون كالأطفال<sup>(90)</sup> أقام مدرسة في المكان الذى يحمل أسمة الآن (حلة خوجلى وبعد وفاته في 1155هـ - 1746م بنى إتباعه قبة فوق قبره أصبحت مزاراً)<sup>(91)</sup>.

#### مدرسة القوز:

أسس الشيخ محمد بن مسلم الذى ينتسب إلى أولاد جابر مدرسة في القوز<sup>(92)</sup>.

<sup>(85)</sup> نفسه، ص176.

<sup>(86)</sup> نفسه، ص180.

<sup>(87)</sup> محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص18.

<sup>(88)</sup> نفسه، ص174.

<sup>(89)</sup> نفسه، ص190.

<sup>(90)</sup> نفسه، ص192.

<sup>(91)</sup> محمد إبراهيم أبو سليم، الفونج والأرض، ص14.

<sup>(92)</sup> يقول يوسف فضل إن المقصود هو قوز ولد دياب وهو حلة القوز تقع في الجزء الجنوبي الغربى من مدينة الخرطوم المنطقة الواقعة الآن جنوب غرب السجانة (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص232 هامش رقم 17).

## مدرسة حمد ود زروق:

جاء الشيخ حمد من اليمن وسكن الصبابي<sup>(93)</sup> وانشأ فيها مدرسة (خلوته) التحق بها إدريس ود الأرباب بعد أن قرأ القرآن على البنداري في الحلفايا لم أجد إشارة إلى إن الشيخ حمد كان يدرس غير القرآن في خلوته وألا لماذا دخل ود الأرباب خلوة الشيخ حمد. ربما لأنه لم يختم القرآن عند البنداري لسبب أو لآخر أو ربما كان الشيخ حمد يدرس نوعاً من العلوم أراد ود الأرباب دراستها وغفلت المراجع عن ذكرها مع العلم إن ود ضيف الله عندما تناول مصادر تصوف الشيخ إدريس ود الأرباب لم يذكر إن لحمد ولد زروق أثراً في ذلك بل قال انه اخذ التصوف من غير شيخ أو أخذه من رسول الله أو قدم عليه رجل من المغرب<sup>(94)</sup> ومما يذكر إن الخلاوي لم تعرف قيوداً آنذاك الطالب يتمتع بحرية مطلقة في اختيار المادة والمدرس وفي الانتقال من حلقة إلى أخرى وفي إن ينال من العلم ما أراد وأينما ذهب كان يجد العناية مكفولة له. إلا إن شهرة الخلاوي لها اثر في نزوح الطلاب خلوة (أب رماد) رب المتمة قيل إن القيه كان يوزع على الطلاب صفحات القرآن كلها حتى لا يبقى منها واحدة<sup>(95)</sup> ربما شهرة خلوة الشيخ حمد هي التي جذبت ود الأرباب لأنه كان يميل للعبادة والعزلة حيث المكان المناسب للتوحد والعزلة.

## مدرسة أرباب الخشن (أربابا العقائد):

درس الشيخ أرباب بن علي بن عون الفقه علي يد الشيخ الزين صغيرون والعقائد علي الشيخ ولد بري ولبراعته فيها سمى بأرباب العقائد<sup>(96)</sup> التي اشتهر بتدريسها ويقول ود ضيف الله عنه: شددت إليه الرحال وبلغ عدد طلبته ألف طالب من دار الفونج إلى

<sup>(93)</sup> قرية شمال الخرطوم بحري على الجانب الشرقي من النيل (يحي محمد إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص132، هامش167).

<sup>(94)</sup> نفسه، ص41.

<sup>(95)</sup> إبراهيم عبد الرازق - التعليم في السلطنة الزرقاء - مجلة العمل، السودان، الخرطوم، عدد 1 سبتمبر 1966م ص35.

<sup>(96)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص100.

دار برنو<sup>(97)</sup> ثم هجر توتى قاصدا الغابة الواقعة بين النيلين الأزرق والأبيض<sup>(98)</sup> وأقام مدرسة للقرآن في تلك المنطقة<sup>(99)</sup> وربما فعل ذلك لكسب المريدين من طلاب العلم ودرس في هذه المدرسة الفقه والعقائد والزهد والتصوف<sup>(100)</sup> وقد ألف كتباً كثيرة في الفتاوى والأحكام ويقول عنه ود ضيف الله أنه فاق أقرانه وأذعن له علماء الجزيرة كأنه بن عرفة<sup>(101)</sup> حتى إن أحدا من العلماء لا يفتى بحضرته.

### مدارس الجزيرة:

#### أولاً: مدرسة كترانج:

يرجع تأسيس هذه المدرسة إلى الشيخ أحمد بن عيسى ود بشارة الانصارى وصمت مؤلف الطبقات عن الترجمة لآل عيسى رغم قرب موطنهم من الحلفايا إلا أن الدراسة التي قام بها الدكتور عز الدين الأمين بعنوان قرية كترانج وإثرها العلمى فى السودان ألقت الضوء على سبق هذه الأسرة في مجال تأسيس المدارس القرآنية وذكر أنه في أوائل القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) قدم ود عيسى من الأزهر بعد حصوله على أجازات من شيوخها ورحل إلى كترانج وبنى فيها مدرسته<sup>(102)</sup> وكان القرآن والفقه والتوحيد أهم العلوم التي كانت تدرس وقال عنه إبراهيم عبد الداغ ما وجدت في بلاد السودان عالماً أورع ولا أعلم من تلامذته<sup>(103)</sup>.

#### ثانياً: مدارس العركيين:

بعد عودة محمود العركى من مصر وبعد إن درس الأزهر في بداية القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) أسس مدارس لتعليم القرآن في منطقة النيل الأبيض

<sup>(97)</sup> نفسه، نفس الصفحة.

<sup>(98)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 181 حاشية رقم 10.

<sup>(99)</sup> يحيى محمد إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص 137.

<sup>(100)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 362.

<sup>(101)</sup> هو عبد الله بن عرفه كان إمام تونس في المذهب المالكي وألف عدداً من الكتب (محمد النور بن

ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 362 هامش رقم 6).

<sup>(102)</sup> عز الدين الأمين، قرية كترانج وإثرها العلمى في السودان، ص 13.

<sup>(103)</sup> نفسه، ص 42.



ويذكر صاحب الطبقات انه كان من الخرطوم إلى أليس توجد سبع عشرة مدرسة<sup>(104)</sup> ساهمت هذه المدارس في تعليم الناس وإرشادهم في أمور الدين من عدة وطلاق وتمييز بين الحلال والحرام وشاركه في التدريس ابنه الذي كان شيخا ورعا ومرشدا<sup>(105)</sup>.

### مدارس اربجي:

#### مدرسة حجازي بن معين:

تعد مدينة اربجي<sup>(106)</sup> أحسن مدائن الجزيرة ذات تجارة وعمارة ومبان حسنة ومدارس علم وقرآن<sup>(107)</sup> حيث أسس حجازي بن معين أول مدرسة لدراسة القرآن فيها<sup>(108)</sup> وقدم هذه المدينة وشهرتها التجارية جعلها تستقبل العلماء وترسل أبنائها إلى مراكز العلم خارج البلاد لينهلوا من معينهم وحرصوا على تحصيل العلوم ونالوا الأجازات فزادت شهرتهم حتى بلغ عدد الوافدين في حلقة الشيخ أبو سنيينة ألف طالب وقرا عليه خلائق لا يحصون<sup>(109)</sup> ومن فقهاء اربجي حمد بن أبي زيد الحضري البصلي<sup>(110)</sup> الذي عرف بالزهد والتصوف واشتغل بتدريس الرسالة لخلائق كثيرين<sup>(111)</sup> ومن شيوخ اربجي سنوسي ولد نورين الذي كان مدرسا للقرآن

(104) أحمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 344.

(105) نفسه، ص 345.

(106) هي مدينة تجارية تقع على شاطئ الغربي للنيل الأزرق جنوب الحصاصي (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 39 هامش رقم 11) وقد ذكر ود ضيف الله إنها أنشئت 880هـ - 1475م على يد حجازي بن معين. وبما إن حجازي قد أخذ العلم على يد تاج الدين البهاري الذي قدم إلى السودان في النصف الثاني من القرن العاشر حسب ما ذكر ود ضيف الله ص 127. ويرجح قريب الله قدوم البهاري في 974هـ - 1566م إذن ربط نشأتها بحجازي مستحيلة ويقول يوسف فضل انه شيد مسجدها فقط (أحمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 39 هامش 11).

(107) أحمد بن الحاج أبو علي، مرجع سبق ذكره، ص 16.

(108) نفسه، ص 128 هامش رقم 5.

(109) أحمد بن الحاج أبو علي، مرجع سبق ذكره، ص 89-90.

(110) أنهم من ذرية حماد البصلي، وكانوا يسكنون في ادفو بمصر وإنهم يرجعون أصلهم البعيد إلى عرب الحجاز وينتمون إلى جبهة (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 186، هامش رقم 10).

(111) نفسه، نفس الصفحة.

وكريما مع الطلبة<sup>(112)</sup> وكان أهل ارجى يعتقدون في والده نورين الذى انشغل بقراءة القرآن نهاره وليله<sup>(113)</sup>.

ومن علمائها كذلك شمو بن محمد بن عدلان الذى درس خليل والرسالة وجمع بين الفقه والعقائد ودرس كتب الفقه الشافعى المنهج والمنهاج ويقول عنه ود ضيف الله إن شمو عالم ارجى وخطيبها وقاضيهام ومفتيها في مذهب مالك والشافعى ومدرسا فيها<sup>(114)</sup> وأصبح متعدد الثقافات حتى أطلق عليه أهل ارجى مركب الهند<sup>(115)</sup>.

من علماء ارجى كذلك القاضى دشين<sup>(116)</sup> وتوليه منصب القضاء يعكس مدى علمه وثقافته هذا بالإضافة إلى موقفه مع الشيخ محمد الهميم يؤكد غيرته على تنفيذ إحكام الشرع.

اشتهر في سنار والجزيرة علماء جمعوا بين الفقه والتصوف والتأليف منهم إبراهيم بن عبودى المشهور بالفرضى<sup>(117)</sup> وابنه القدال الذى شدد إليه الرحال وضربت إليه أكباد الإبل فى طلب العلم وكان يدرس خليل والرسالة والعقائد والتفسير وقراءة الجامع فى الحديث<sup>(118)</sup> وفى أبى حراز شدد الرحال إلى الشيخ دفع الله أبو إدريس الذى كان شغله تدريس القرآن وبلغ أربعون من تلاميذه درجة القطبانية<sup>(119)</sup> والقيه إبراهيم السعوى الذى كان يمتلك خزانة كتب موقوفة على طلبة العلم<sup>(120)</sup>.

(112) نفسه، ص 224.

(113) نفسه، ص 266.

(114) نفسه، ص 232.

(115) لأنها تحمل بضائع متعددة محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 233 هامش (3)

(116) سمي بقاضى العدالة لأنه فسخ نكاح الشيخ محمد الهميم الذى تزوج تسعين امرأة قال له خمست وسدست وسبعت وجمعت بين الأختين وخالت كتاب الله وسنه رسوله (محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 320).

(117) لأنه ألف الحاشية المشهورة بالفرايض وهو علم يختص بتقسيم الأرض وتوزيع الأنصبة الشرعية علم المواريث يسمى علم الفرائض (يحيى محمد إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص 169).

(118) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 82.

(119) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 209.

(120) نفسه، ص 89.

الملاحظ إن سنار وما جاورها كانت منطقة ثرية بنشاط ديني وعلمي واسع ساهم فيه فقهاؤها عن طريق مراكزهم العلمية (خلاوى ومساجد) هذا بالإضافة إلى أنهم طرّقوا مجالات جديدة أصقلت تجاربهم منها رحلة العلماء إلى الحجاز ورحلة حسن ود حسونة إلى مصر والشام والفقير موسى الجعلى وكان ممن درسوا فى مسجد الحلفايا. وكان تلاميذه محمد بن ضيف الله جد مؤلف الطبقات<sup>(121)</sup> الذى درس منحنيات بن عطا الله<sup>(122)</sup> وسائر أذكّار شيوخه خوجلى وقراءة الوظيفة<sup>(123)</sup> وأحزاب الشاذلى<sup>(124)</sup>. يتضح من ذلك إن الدراسة فى زمن جد مؤلف الطبقات أخذت طابعا أرخ إذ شملت بجانب ألفه كتباً أخرى حرص الطلاب على دراستها ومن شيوخ الحلفايا الشيخ عبد الهادى ولد دوليب وابنه الشيخ نابرى<sup>(125)</sup>، والشيخ عبد الحليم بن سلطان الذى قدم جده من فاس فى المغرب فى زمن الفونج وأنجب عبد الرحمن والد عبد الحليم الذى كان من كبار شيوخ الحلفايا ومن حكمته كان يبعث به لحل الخصومات بين العرب والفونج<sup>(126)</sup>. ولأغلب هؤلاء المذكورين مساجد فى الحلفايا يعلمون فيها أولاد المسلمين كما أسس الشيخ أبو سرور الفضلى الذى ولد بالحلفايا أسس خلوته بالقرب منها<sup>(127)</sup>.

## ب- الكتب الدراسية:

تشابهت مؤسسات التعليم من خلاوى ومدارس فكانت واحدة فى المشرق والمغرب ورغم إن التعليم لم يوضح بمنهج محدد إلا أن الكتب كانت واحدة فقط

<sup>(121)</sup> نفسه، ص 105.

<sup>(122)</sup> كتاب من تأليف تاج الدين أحمد بن عطا الله السكندرى (ت 709 هـ - 1305 م) ومن أكثر كتبه شيوعاً (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، المقدمة 9).

<sup>(123)</sup> الوظيفة: هى وظيفة الشيخ أبى الحسن على الشاذلى مؤسس الطريقة الشاذلية ووظيفته أو أوراده تبدأ بـ (اللهم صلى وسلم بجميع الشئون فى الظهور والباطون على من منه انشقت الأسرار الكامنة .. وتنتهى بقراءة الصمدية والمعونتين والفاحة (عبد العزيز أمين عبد المجيد - التربية فى السودان) ج 1 ص 156، حاشية رقم 4.

<sup>(124)</sup> هى من مؤلفات الشيخ أبى الحسن على الشاذلى كذلك وهى كثيرة منها حزب البحر، البر، اللطيف، النصر وهى تقريبا 18 حزبا (حسن الفاتح قريب الله، التصوف فى السودان ص 242-248).

<sup>(125)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 367.

<sup>(126)</sup> نفسه، ص 297.

<sup>(127)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 105.



الاختلاف كان في التخصص فنجد مثلاً مدرسة للقران تعنى بعلوم القران وأخرى بالفقه وثالثه بالتوحيد وهكذا واهم الكتب التي كانت تدرس في الفقه هي خليل<sup>(128)</sup> والرسالة<sup>(129)</sup> ويعود الفضل للشيخ إبراهيم البولاد في إحضار هذه الكتب من مصر والشروحات التي وضعت عنها وكتاب مختصر خليل كان مثار اهتمام العلماء والمتصوفة والطلبة لأنه شمل القضاء والإفتاء والفرائض وإحكام البيع وتناول مسائل اجتماعية ووضع حلولاً لمشاكل مجتمع لم يعرف القوانين الوضعية ولهذه الكتب شروحات متعددة كشرح عبد الباقي الزرقاني المالكي على مختصر خليل<sup>(130)</sup> وشرح الشبراخيتي<sup>(131)</sup> على العشماوية ومن كتب الشافعية التي راجت في مملكة الفونج وكانت تدرس في كل من سواكن وطوكر كتابان هما: (منهاج الطالبين) لمحي الدين النووي (ومنهج الطلاب) لذكرى الانصارى إما بالنسبة لكتب الحديث كانت صحيح البخاري التي احضرها فقهاء الدامر من مصر وكانت تدرس في مدارسهم وكذلك كتاب الجامع في الحديث الذي كان يدرسه الشيخ القدال<sup>(132)</sup> وكذلك كتاب الجامع الصغير الذي يدرسه عمار بن عبد الحفيظ ضمن حلقاته الخمسة<sup>(133)</sup> ومن كتب العقائد التي كانت تدرس (متن السنوسية) وهي مقدمة في التوحيد من ثلاث مقالات

<sup>(128)</sup> خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب من كبار علماء المذهب المالكي بمصر وقد ألف مختصراً في المذهب لمالكي وجمع فيه فروعا كثيرة واقتل عليه الطلبة ودرسوه واعتنى الفقهاء بشرحه وكان من أهم الكتب المتداولة في دولة الفونج وتوفي في 776هـ - 1374م (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 42 حاشية رقم 1).

<sup>(129)</sup> هي رسالة ابن زيد القيرواني وهو عبد الله أبو محمد بن أبي زيد القيرواني سكن القيروان وكان من أشهر أئمة المالكية في زمانه وهو الذي جمع روع المذهب المالكي وشرحه ولخصه وقد اخذ عنه كثيرون وله مؤلفات كثيرة على المذهب المالكي منها (النوار والزيادات على المدوله) و(مختصر المدونة) و(كتاب الرسالة) وهو كتاب مشهور عمت فائدته سائر الأقطار التي تسدين بالمذهب المالكي وتوفي ابن أبي زيد القيرواني سنة 386هـ - 984م (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 41 حاشية رقم 2).

<sup>(130)</sup> هو عبد الباقي بن يوسف بن علوان الزرقاني المالكي كان عالما وقيها متحجرا ولد بمصر 1020هـ - 1611م لزم الاجهوري سنين عديدة ودرس بالأزهر وقد ألف كتباً كثيرة منها شرحه على مختصر خليل وتوفي بمصر سنة 1099-1688م وشرح عبد الباقي مطبوع ببولاق عام 1303هـ - 1893م في ستة أجزاء (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، 182 حاشية رقم 12).

<sup>(131)</sup> هو محمد بن سلام الشبراخيتي من علماء الأزهر (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، نفس الصفحة، حاشية رقم 14).

<sup>(132)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 82.

<sup>(133)</sup> نفسه، ص 261.



كبرى وتسمى (بعقيدة أهل التوحيد) ووسطى وتسمى (بالمرشدة) وصغرى وهى (أم البراهين)<sup>(134)</sup>.

كان يدرس كذلك كتاب (الجوهرة) الذى قام بتأليفه أرباب العقائد فى أركان الأيمان وكان ذا نفع عظيم<sup>(135)</sup> ووضع الشيخ مضوى بن محمد المصرى أربعة عشر شرحا فى أم البراهين عم بها سائر الأقطار وشرحين لـ (يقول العبد) الكبير فى مجلد ضخيم نحو ستين كراسا والصغير فى سبعة كراريس وشرح الجزرية<sup>(136)</sup> والرسالة والاجرومية<sup>(137)</sup> ومن كتب العقائد كذلك الاخضرى<sup>(138)</sup> والعشماوية<sup>(139)</sup> إما بالنسبة لعلوم القرآن مثل القراءات والتجويد والتلاوة فقد ازدهرت فى بلاد الفونج على يد محمد بن عيسى سوار الذهب<sup>(140)</sup> تلميذ التلمسانى المغربى والمصرى محمد القناوى<sup>(141)</sup> ويعد سعد الكرسي رائدا فى هذا المجال لأنه حرص على تعليم تلاميذه الشد والهمزة والإدغام والغنة ومن كتب القرآن التى كانت تدرس آنذاك (الخرازى) و(الجزرى)<sup>(142)</sup> و (الشاطبية)<sup>(143)</sup> وقد صاحب هذا الوعى الإسلامى الاهتمام بجمع

<sup>(134)</sup> لأبى عبد الله السنوسى التلمسانى المتوفى 895هـ - 1480م (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص5).

<sup>(135)</sup> نفسه، ص100.

<sup>(136)</sup> منظومة فى التجويد مؤلفها شمس الدين الدمشقى الجزرى من أئمة الوعاظ توفى 833هـ - 1429م (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق فضل، ص102 حاشية 92).

<sup>(137)</sup> أشهر كتب النحو تأليف عبد الله بن محمد المعروف بابن اجرود المولود 682هـ - 1283م المتوفى 823هـ - 1323م (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، نفس الصفحة حاشية رقم 10).

<sup>(138)</sup> كتاب فى العبادات تالى عبد الرحمن الاخضرى على مذهب الإمام مالك وهو من مدينة بسكرة فى الجزائر (918-983هـ 1512-1575م) محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 282 حاشية 21.

<sup>(139)</sup> متن العشماوية للإمام عبد البارى العشماوى وهى مقدمة فى القه على مذهب مالك وقد شرحها عبد المجيد الشرنوبى الازهرى (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، نفس الصفحة، حاشية 22).

<sup>(140)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص101.

<sup>(141)</sup> نفسه، ص347.

<sup>(142)</sup> منظومة فى التجويد مؤلفها شمس الدين أبو الخير الدمشقى الجزرى من أئمة الحفاظ وعلماء القراءات توفى فى 833هـ - 1429م (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص102 حاشية رقم 8).

<sup>(143)</sup> أرجوزة فى القراءات لأبى القاسم بن فيرة بن خلف أبو محمد الشاطبى ولد فى الأندلس وتوفى بمصر (538-590هـ 1144-1194م) وكان عالما بالحديث والتفسير وله الكثير من المؤلفات (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص282 حاشية 19).

الكتب ونقرا بين طيات الطبقات عن حرص الشيوخ لاقتناء الكتب فالشيخ عبد الرحمن بانقا الذي استأجر النساخ لينقلوا له الكتب وأرسل إلى مصر والحجاز يطلب الكتب الغربية والنادرة وملاً بها ست خزانات<sup>(144)</sup> والفقير حامد اللين الذي باع عبداً ليشترى بثمنه مختصر خليل من مصر<sup>(145)</sup> وعمار بن عبد الحفيظ الذي جمع الكثير من المراجع إثناء رحلاته إلى مصر والحجاز حتى بلغ ما جمعه نحو رحلين أو ثلاثة من الكتب<sup>(146)</sup> وبجانب هذا وذاك كانت هناك حركة تأليف وذكر ود ضيف الله مؤلفات منسوبة إلى علماء السودان لم نجدها مثل كتاب (الجواهر) لأرباب العقائد وهذا المؤلف كان فيما يبدو متداولاً بدليل ما قيل عن انتفاع الناس به شرقاً وغرباً وكتاب (صفه الفقير) للشيخ محمد ولد هدوى الذي كان شاعراً وأديباً ويذكر ود ضيف الله أبيات له في رثاء الشيخ الزين بن الشيخ صغيرون<sup>(147)</sup> وابنه إبراهيم<sup>(148)</sup> وكذلك كان لعبد الرحمن بن جابر كتاب (ترشيد المريد في علم التصوف)<sup>(149)</sup> وهو الذي اختص بالفتاوى والأحكام ولكنى لم أتحصل عليه لكن من خلال أجازته لأحد مريديّة تؤكد أنه كان متمكناً من علمه<sup>(150)</sup> كذلك كتب عبد الرحيم بن الشيخ سليمان من مسائل في نحو كراسين سال عنها الشبراخيتي في مصر وكانت في غاية الفائدة وتدل على نباهته<sup>(151)</sup> كما أن هناك عبارات في الطبقات مثل (وجد عند الناس قبولاً) و (وجدت بخط فلان) و (قد رأيت بخط الشيخ .. في مكان له صورته)<sup>(152)</sup> وأقرب مثال لحركة التأليف السفر الذي بين يدينا لود ضيف الله عكس سعه إطلاع هذا المؤلف رغم إن كثير من عباراته كتبت بالعامية لكنى لا اعتقد إن ذلك يقلل من قيمته.

(144) نفسه، ص 291.

(145) نفسه، ص 182.

(146) نفسه، ص 259.

(147) نفسه، ص 75.

(148) نفسه، ص 77.

(149) نفسه، ص 251.

(150) انظر أجازته في الطبقات، ص 104 الملحق رقم 5.

(151) نفسه، ص 371.

(152) نفسه، نفس الصفحة.

إما علوم البلاغة والمنطق والنحو والصرف كانت تدرس في حلقة الشيخ محمد القناوى وابنة المضوى المصرى ولا تخرج المقررات عن المؤلفات المتداولة فى الأزهر مثل (الأزهرية) و (قطر الندى) و (شذور الذهب)<sup>(153)</sup> هذا بالنسبة للنحو إما كتب المنطق والبلاغة فلا نعرف عنها شيئا لأن المصادر لم تسعفنا فيها وبجانب ذلك كانت المدائح النبوية التى اشتهر بها الشيخ ود حنّيك المحسى<sup>(154)</sup> .

كان لهذه الكتب على قلتها فى بلد مترامى الأطراف كدولة الفونج شأن كبير فى تبديد العزلة الفكرية التى فرضتها صعوبة المواصلات من الخارج وقلة الاتصال فى الداخل واعتماد التلاميذ على قدر بسيط من المؤلفات الخطية توضح لنا الصعوبات التى كانت تحول دون نشر الثقافة العربية بطريقة اشمل كما توضح دور الفقهاء من إرساء لتعاليم الإسلام الصحيحة.

### ج- الأجازات العلمية:

عرف السودان الأجازات العلمية فى عصر الفونج وهى لم تكن شهادة بالمعنى الذى نعرفه وإنما كانت إنا أو أقرارا من الشيخ بان الطالب بلغ مرتبة تؤهله لتدريس المادة وروايتها والإجازة إما شفوية أو تحريرية<sup>(155)</sup> ولما كانت أكثر أجازات علماء السودان صادرة من علماء الأزهر يجب إن نعرف إن الدراسة فى الأزهر كانت فى شكل حلقات فإذا رغب الطالب فى إن يقوم بالتدريس يستأنن شيخه ويعقد حلقة تضم طلابا من أنصاره وخصومه فإذا أجاب على الأسئلة المطروحة بجدارة واقنع خصومه والحاضرين أعطى الإجازة وإذا تعثر يعود طالبا يتلقى العلم فى مجالس الشيوخ<sup>(156)</sup> ولهذا ما كان الطالب يقدم على الاستجارة إلا بعد إن يأنس فى نفسه الكفاءة والأهلية. وطالب الأزهر السودانى كان إذا أراد العودة لبلده عليه الحصول على إجازة تثبت

(153) يحيى محمد إبراهيم، مرجع سابق، ص 164.

(154) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سابق ذكره، ص 181.

(155) يحيى محمد إبراهيم: مرجع سبق ذكره، ص 188.

(156) أحمد شلبى: مرجع سبق ذكره، ص 220.



كفاءة في الفتيا أو التدريس<sup>(157)</sup> وخاصة أنهم درسوا على مشاهير علماء الأزهر أمثال البنوفري واللقاني والاجهوري وليس ما يمنع إن يكون هؤلاء قد منحوا تلاميذهم هذه الإجازة بدليل أنهم عندما عادوا قاموا بتدريس العلوم التي درسوها. ولكن هل كان هناك منهج محدد يدرس وبعده يستجاز الطالب؟ لا اعتقد ربما اكتفى الطالب بحفظ كتاب واحد أو جزء من كتاب أو سور من القرآن وطلب من أستاذه أن يجيزه في تدريس هذا الكتاب أو هذا الجزء منه بقصد الارتزاق<sup>(158)</sup> ويذكر ود ضيف الله إن إسماعيل بن جابر الذي شد الرحال إلى مصر ودرس على يد البنوفري الذي أجازته ثم عاد إلى جزيرة ترنج وقام بتدريس مختصر خليل<sup>(159)</sup> والشيخ البنوفري هو الذي أثنى على عبد الرحمن بن حمدتو قائلاً أنه يصلح للفتوى لكونه يسأل عن خفايا الشراح كما أشاد بمحمد بن سرحان قائلاً أنه يصلح للتدريس لأنه يسأل عن تحقيق صورة المتن<sup>(160)</sup> وربما منحهما أجازات في ذلك وقد يحدث إن يستحيز طالب شيوخا لا يعرفهم عن طريق المراسلة أو المكاتبة وربما كان السبب بعد الديار وتعدد الالتقاء فيجيزه الشيخ أو يرفضه ويحدث ذلك لشيوخ المتصوفة كما يحدث للعلماء<sup>(161)</sup> ومن الأجازات بالمكاتبة تلك التي منحت للشيخ حسن عبد الرحمن بن الشيخ صالح ود بانقا عندما كان في صحبة الشيخ أحمد ود عيسى عندما استجاز الشيخ أحمد الدريدي في قراءة كتب الحديث ومصطلحها<sup>(162)</sup> والشيخ أحمد الكفرواي الذي صاحب في مصر عددا من أجلة العلماء وحصل منهم على عدد من الأجازات وبعد عودته درس الفقه في مسجد كترانج<sup>(163)</sup> والجدير بالذكر إن كثيرا من علماء قرية كترانج الذين درسوا في الأزهر حصلوا على أجازات علمية منهم الشيخ عيسى بن بشاره الانصاري الخزرجي

<sup>(157)</sup> يوضح أبو العباس أحمد القلقشندى الغرض من الإجازة في التيار والتدريس فيقول (إما الإجازة للفتيا فقد جرت العادة إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس إن يأذن له شيخه في إن يفتي ويدرس وكتب له بذلك وجرت العادة إن تكون الإجازة مكتوبة في فرقة الشامي أو البلدي بقلم الرقاع اسطرا متوالية بين كل سطرين أصبح عريفي (صبح الأعشى ج 14، ص 322).

<sup>(158)</sup> حلیم اليازجي: مرجع سبق ذكره، ج 1، ص 78.

<sup>(159)</sup> سر الختم عثمان: أولاد جابر، ص 18.

<sup>(160)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 256.

<sup>(161)</sup> أحمد شلبي، مرجع سبق ذكره، ج 1 ص 91.

<sup>(162)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 189.

<sup>(163)</sup> محمد النور بن ضيف الله، الطبقات تحقيق يوسف فضل، ص 189 هامش رقم 8.



والشيخ احمد البدوى وابناه عبد الرحمن ومحمد<sup>(164)</sup> وبالمكاتبة كذلك حصل الشيخ محمد المجذوب على اجازة من الشيخ الصعدي العدوى احد علماء الأزهر<sup>(165)</sup> ولعل ارفع الأجازات هي تلك التي أعطيت لمن تلقوا تعليمهم في الأزهر وكتساب الطبقات حافل بذكر العديد من أسماء العلماء الذين نالوا هذا الشرف مثل عبد الرحمن بن بلال الذي كان مازونا له في الفتوى والتدريس<sup>(166)</sup> وكذلك على بن دياب القرشابي الذي كان مازونا له في التدريس كذلك كشيخة أبي الحسن وحضر حلقة خلق كثيرين<sup>(167)</sup> وهناك نوع آخر من هذه الأجازات هي الإجازة الشفهية التي حصل عليها عبد الدافع القنديل بعد أن شهد له الشيخ حمد النحلان بالتدريس في صغره والواضح أنها إجازة شفهية بدليل قوله يا فقيه شكر الله تقري أولاد الحلفايا أنت حي وأبو عيونا حمر هذا يقري في مسجدك<sup>(168)</sup> وبالإضافة إلى مقدرة الطالب العلمية تحرص بعض الأجازات على ذكر الجوانب الروحية والخلقية مثل الإجازة التي منحها الشيخ عبد الرحمن بن جابر لتلميذه إبراهيم ودام رابعة<sup>(169)</sup> حين وصه شيخه بقوله (الشيخ المتأدب المحترم المتواضع) ويمضي الشيخ ليحدد في تلك الإجازة واجباته الروحية والاجتماعية بقوله انه قد جعله مربيا للمريدين وقدرة للمسترشدين وملجأ للقراء والمساكين ويبدو إن الأجازات في عهد الفونج لم تكن خاصة بعلوم الدين فقط فقد ذكر ود ضيف الله إن عبد الرحمن ولد طرف صاحب الشيخ إدريس ود الأرباب وسلك عليه الطريقة وأذن له في الطب ودل الناس عليه<sup>(170)</sup>.

#### د- دور الأزهر في السودان:

تعتبر السلطة السنارية أو دولة الفونج أهم حلقات التسلسل الحضاري في تاريخ السودان فهي المرحلة التي انصهرت فيها كل إبداعات الحضارة السودانية السابقة لها

(164) عز الدين الأمين، مرجع سبق ذكره، ص 65.

(165) يحيى محمد إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص 196.

(166) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 285.

(167) نفسه، ص 286 - 287.

(168) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 290.

(169) انظر الملحق رقم (5).

(170) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 263.

المروية والكبوشية والفرعونية والمسيحية والإسلامية لتخلف مرحلة حضارية لا تزال مصطلحاتها الثقافية فعالة حتى يومنا هذا.

وقد خلقت السلطة السنارية الأسس الحضرية والإدارية للسودان الموحد وللهوية السودانية التي ساهمت كل مناطق وقبائل السودان في خلقها ونشأتها واستمراريتها وقد مثلت الثقافة العربية المتسربة قبل ومع الإسلام على يد علماء الأزهر من مصريين وسودانيين رسموا فيه مرتكزا أساسيا في نهضة السلطة السنارية. لد اعترفت الدولة السنارية بأهمية العلم والعلماء في الدولة والعمل بأرائهم والرجوع إليهم وقد جاء ذلك واضحا في مخطوطة كاتب الشونة تحقيق الشاطر بصلي الذي يذكر في مقدمة تحقيقه:-

منذ أوائل القرن التاسع بدأت في السودان حركة علمية طيبة لكتابة تراجم العلماء ورجال الدين من أهل البلاد وخاصة أولئك الذين سكنوا إقليم الجزيرة والمنطقة الشمالية الغربية من الخرطوم وافتتح هذه النهضة العلمية الفقيه محمد النور ود ضيف الله ابن محمد ود ضيف الله الجعلي بتأليفه كتاب بعنوان (الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان) وهو المشهور بطبقات ود ضيف الله ثم تلاه الشيخ أحمد بن الحاج أبو علي المعروف بكاتب الشونة بتأليفه كتاب عن تاريخ السلطة السنارية والإدارة المصرية.

ويكشف كتاب الطبقات عن أهمية الحركة الفكرية في تكيف دولة الفونج ودور رجال التعليم والدعوة في إقامة تلك الدولة. ويكفي إن هذا الكتاب اقتصر على الترجمة لسيرة رجال التعليم والدعوة وأهمل تدوين التاريخ السياسي وهو الكتاب الاساسي عن تلك الفترة مما يدل على طغيان الحركة الفكرية وتنامي تأثيرها على أوضاع المجتمع والسياسة والاقتصاد<sup>(171)</sup>.

(171) حسن مكى: من مضامين الثقافة السنارية المغزى والمضمون، مجلة الدراسات الأفريقية، السودان، الخرطوم، العدد الثمن، ديسمبر 1991م، ص29.

شجع سلاطين الفونج وملوك العبدلاب قدوم العلماء والفقهاء ورجال الطرق الصوفية من مصر والحجاز والمغرب ليسهموا في نشر العقيدة الإسلامية وتعميق مفاهيمها على أسس علمية سليمة بين مواطنيهم.

كان أول العلماء السودانيين اهتماما بنشر العلوم الإسلامية الشيخ محمود العركي الذي درس مذهب الإمام مالك في مصر وعند عودته أسهم في التدريس وإنشاء سبع عشر مدرسة في المنطقة الواقعة بين توتي واليس (الكوة) ومنهم إبراهيم البولاد حفيد غلام الله بن عايد بن جابر الذي ركز جهده في منطقة الشايقيه بعد أن تخصص في فقه الإمام مالك في مصر (172).

لقد ظلت مصر كما كانت دائما كعبة العلم والعلماء والطلاب يهرعون إليها ليستظلوا بظلها الوارف وينهلوا من نيلها الفياض.

### دور الأزهر في الحياة الثقافية السودانية:

لقد صاغت السلطة السنارية أو دولة الفونج أساس السودان العربي الأفريقي المسلم الذي امتزجت فيه الحضارة النوبية بالفرعونية بالزنجية لتصب في رافد الحضارة الإسلامية التي ازدهرت في السودان بفضل العلماء وإتباعهم وتلاميذهم ويمكن أن نقول إن الإسلام في السودان جاء على مرحلتين:-

الأولى: تلقائية بواسطة طلائع المهاجرين والتجار والتزواج.

الثانية: منظمة وعلى أسس علمية عن طريق الأزهر وهذه قامت بتصحيح إسلام الذين أسلموا في المرحلة الأولى وكان إسلامهم تشويبه بعض الشوائب الوثنية والمسيحية (173).

(172) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 144.

(173) محمد سليمان محمد: نور الأزهر في السودان، مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985م، ص 20.

لقد أخذت الحياة الثقافية والتعليمية طابعها العلمى المنتظم فى عهد دولة الفونج - والسلطة السنارية خاصة أيام حكم الشيخ عجيب الذى أولى اهتمامه بالمساجد ودور العلم وفى عهده زار كثير من العلماء السودان حيث وجدوا الترحيب<sup>(174)</sup>.

كان السودانيون يهاجرون من عالم إلى آخر فى طلب العلم ثم يتجهون إلى مصر إلى الأزهر الشريف حيث صدق عليهم القول بان للمسلمين قبة دينية هى الكعبة بينما للسودانيين قبليتين دينية وهى الكعبة وعلمية وهى الأزهر فد كانوا يسافرون وهم على إمام ودراية بعلوم الفقه واللغة واعتقد إن وصف رحلة الشيخ عمار بن عبد الحفيظ التى ذكرناها فى موضع آخر دليل على ذلك.

ويقول الشيخ محمد المبارك<sup>(175)</sup> فى كتابه مذكرات وذكریات - الجزء الأول (واسمع عن الأزهر الشريف وعلو شأنه فى جامعات العالم وأصالته فى التعلم الدينى وان ما سواه رافد من روافده وانه منهى مقاصد العلماء يفيدون إليه من كل فج عميق). هكذا كان ومازال السودانيون يسافرون لمصر وللازهر خاصة غير مهتمين بمشاق السفر وطوله سواء كانت مشاقا جسمانية أو اقتصادية فقد كانت الرحلة من سنار إلى مصر تستغرق خمسة شهور يتعرض فيها المسافر للمخاطر والأهوال ولكن كل ذلك كان يهون لان السفر للأزهر كان أملا يراود طالب العلم. كان سلاطين سنار يحتفلون بالطلاب السودانيين القاصدين للأزهر ويودعونهم.

#### الرواد من السودانيين الأزهريين:

اشتدت الدعوة الإسلامية والرغبة فى نشر العقيدة بأساليب سليمة وكان روادها من مصر والحجاز والمغرب والعراق إلى جانب الدعاة الوطنيين الذين كانوا لهم فضل كبير فى هذا الصدد ولما كانت مصر وريثة عظمة بغداد الثقافية تطلع ملوك الفونج إلى

<sup>(174)</sup> انظر ص ( ).

<sup>(175)</sup> هو شيخ علماء السودان رحلته التى كتب عنها كانت للأزهر 1342 هـ - 1923 م أى بعد مائتين وخمسة وستين عاما من رحلته الشفيح عمار.



أزهرها وعلمائه ويذكر الحارثي أن أول ما بدا من علاقة ثقافية بين مصر والسودان بشكل واضح لا يخطئ كل مطلع على تاريخ هذه العلاقة كان في العهد السناري منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادي في هذا العهد تجد الوفود من السودانيين ترد مصر قاصدة موردها العذب وذلك هو الأزهر الذي أصبح جامعة إسلامية فينهلون من العلم ما أمكنتهم ظروفهم وما وسعت قدرتهم.

ثم تجد وفودا من العلماء المصريين يفدون إلى السودان. على هول الطريق وبعده متجشمين الصعاب يقيمون في السودان متخذين لهم تلاميذ ومعجبين. إن هؤلاء العلماء كانوا يشجعون تلاميذهم على الهجرة إلى مصر ليأخذوا العلم من مصدرة ويردوا الحوض الروى من مكانه فما هم إلا سواقي على شاطئ البحر<sup>(176)</sup>.

كان أول من ذهب إلى مصر من السودان كما سجلته وثائق التاريخ هو الشيخ محمود احمد العركي الذي تتلمذ على الشيخين شمس الدين اللقاني وناصر الدين اللقاني في ما بين 935/940 هـ الموافق 1529/1534م وهما من شيوخ المالكية المعروفين وكان ذلك بعد حوالي خمسة وعشرون عاما من قيام سلطنة الفونج.

وعندما عاد الشيخ محمود أنشا خمس عشرة مدرسة على طول النيل الأبيض من الخرطوم ولم تعرف أو تشتهر قلبه مدرسة علم ولا قران وهذا يوضح لنا الدور الذي قام به.

ومن مدارس تخرج المشايخ والعلماء الذين انتشروا يحملون رسالة النور والعلم لأهل السودان.

وهناك أولاد جابر الأربعة الذين ينحدرون من أسرة دينية معروفة آنذاك في شمال السودان كان عميدها غلام الله بن عايد اليمنى الذي جاء إلى السودان في أواخر القرن الخامس عشر قبيل قيام السلطنة السنارية وكان أكبرهم إبراهيم بن جابر (البولاد) الذي

<sup>(176)</sup> إبراهيم الحارثي: الرباط الثقافي بين مصر والسودان، ص 57.

درس في الأزهر على يد الشيخ البنوفري وغيره من شيوخ المالكية في مصر، كما درس أصول الفقه المالكي واللغة والنحو وعاد إلى السودان ويقال انه أول من درس مختصر خليل بن اسحق المالكي ورسالة ابن أبي زيد القيرواني في السودان<sup>(177)</sup>.

وكان أول من تخرج على يد إبراهيم بن جابر أخوه عبد الرحمن جابر الذي ذهب إلى مصر للاستزادة من العلم في الأزهر على شيوخ أخيه وعاد فأنشأ ثلاثة مساجد وكان يدرس في كل مسجد أربعة شهور<sup>(178)</sup> مقتدياً بأستاذه الشيخ محمد البنوفري الذي كان يمضي أربعة شهور في القاهرة ومثلها في الإسكندرية ثم الأربعة الأخيرة في الحجاز حيث اعتاد إن يحج سنوياً إلى بيت الله الحرام. يواصل ود ضيف الله في طبقاته الرواية عن الشيوخ والعلماء الذين درسوا على الشيخ عبد الرحمن بن جابر مثل الشيخ عبد الله بن دفع الله العركي الذي رجع إلى منطقة أهلة في أرض الجزيرة حيث اخذ في نشر العلم فيها كما تولى مهمة القضاء في السلطنة السنارية.

هاجر إلى الأزهر كذلك الشيخ إسماعيل بن جابر الأخ الثالث لأولاد جابر حيث درس هنالك على يد شيخ أخوية البنوفري وعاد ليواصل رسالة أسرته وأخوته في نشر العلوم والمعرفة الإسلامية والثقافية العربية خاصة بعد وفاة أخيه عبد الرحمن.

كان لأولاد جابر أخت تعتبر نظيرة لهم في العلم والدين وهي فاطمة بنت جابر وهي والدة العالم محمد بن سرحان المعروف بصغيرون الذي سار على مهج أخواله فسافر إلى مصر ودرس أيضاً على الشيخ البنوفري وعاد لينشر العلم في دار الجعليين. عن هذه الأسرة أسرة أولاد جابر - يقول أحد المؤرخين السودانيين<sup>(179)</sup> (أنهم وضعوا أساساً قوياً للحياة في السودان فقد نشروا العلوم الإسلامية ووضعوا منهجاً لدراساتها وتضاعف مجهودهم على مدى السنين عن طريق الطلاب الذين تلقوا العلم عليهم ثم

<sup>(177)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 45.

<sup>(178)</sup> نفسه، ص 251.

<sup>(179)</sup> سر الختم عثمان: أولاد جابر، ص 25.

نشروا بدورهم فى إرجاء مختلفة من السودان كما قام هؤلاء الطلاب بتطوير رسالة مشايخهم أولاد جابر وذلك بإدخال موارد إسلامية فى خلاويهم ومساجدهم).

ومن العلماء السودانين الذين واصلوا تعليمهم فى الأزهر الشيخ عبد الرحمن حمدتو الخطيب<sup>(180)</sup> الذى تتلمذ على يد الشيخ البنوفرى وعاد إلى السودان ليقوم بتدريس مواطنيه وقد تخرج على يديه عدد من العلماء منهم الشيخ عبدالله الأغبش عميد أسرة الغبش الذى أسس مسيد وخالوى الغبش فى بربر.

ومن الذين تخرجوا من الأزهر فى تلك الفترة الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم<sup>(181)</sup> من أبى ملاح الكتانى والد الشيخ خوجلى العالم المشهور فى توتى الذى درس على يد الشيخ على الاجهورى فى الأزهر.

وهناك كثيرون غيرهم أمثال القاضى على ود عشيبي<sup>(182)</sup> الذى درس على الشيخ البنوفرى وتولى القضاء والشيخ جمال الدين<sup>(183)</sup> المعروف بخالوى الذى كانت له دراية بالفتاوى والحكام.

عاد أولئك الرواد إلى بلادهم بعد إن اخذوا عن أساتذتهم فى الأزهر ما تيسر لهم من العلم وما أهلهم للتدريس والفتيا فى بلادهم عادوا كل منهم يحمل إجازة علمية<sup>(184)</sup> من أستاذة كما جرت العادة آنذاك.

وهكذا نشأت المدن والقرى حول أولئك العلماء وتولت بيوت دينية بعينها تأسيس المدارس وإيواء الطلاب ونشر العلم فى البلاد وقد أوردنا فصلا كاملا عن المراكز العلمية فى عهد دولة الفونج.

(180) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 115.

(181) نفسه، نفس الصفحة.

(182) نفسه، ص 114.

(183) نفسه، ص 71.

(184) انظر الملحق رقم (5).

## العلماء المصريون في السودان:

لم يكن العلماء السودانيون الذين تخرجوا في الأزهر هم وحدهم حملة رسالة العلم في السودان في العهد الفونجي فقد جاء عدد من العلماء المصريين أسهموا في نشر العلم والثقافة في ربوع بلادنا نذكر منهم:

الشيخ محمد المصري القناوى هو من مدينة ادفو بصعيد مصر درس الأزهر على الشيخين السنهورى والزرقانى ووصل السودان في منتصف القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) اى بعد قيام دولة الفونج وتنقل بين المدن السودانية إلى أن استقر في مدينة بربر القديمة المعروفة آنذاك بالمخيرف حيث أنشأ مسجدا فيها اقبل عليه طلاب العلم من كل حذب وصوب وترك مؤلفات في الشرح على عقيدة السنوسى الصغرى وكتاب العشماوية ورسالة في البسملة.

وقد تتلمذ عليه الشيخ محمد بن عيسى<sup>(185)</sup> بن صالح المعروف بسوار الذهب الذى قرا العقائد والمنطق وعلوم القران وأصبح فيما بعد من اجل علماء السودان وممن تخرج على يد الشيخ المصري القناوى حفيده الشيخ محمد المضوى الذى له مؤلفات منها (شرح القصيدة المنظومة في فن التوحيد).

ومن تلاميذ الشيخ محمد المضوى الشيخ خوجلى عبدالرحمن أبو الجاز المعروف بأزرق توتى<sup>(186)</sup>.

ومن العلماء المصريين في السودان الشيخ محمد بن على قرم الكيمانى المصرى<sup>(187)</sup> دخل السودان في أول ملك الفونج وزار اربجى وسنار واستقر في بربر ويقال أنه أول من درس المذهب الشافعى في السودان وقد تتلمذ عليه كثيرون منهم الشيخ عبد الله العركى والقاضى دشين المقلب بقاضى العدالة والشيخ إبراهيم الفرضى

<sup>(185)</sup> بلدة في الوجه القبلى في مصر.

<sup>(186)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 347.

<sup>(187)</sup> نفسه، ص 190.



وكان الشيخ ابن قرم قد درس في مصر على الشيخ محمد الخطيب الشربيني احد اعلام الشافعية هناك.

### الأزهر والقضاء في سلطة الفونج:

انتظم القضاء في دولة الفونج على أسس الشريعة الإسلامية أسوة بما كانت تجرى في مصر والشام والحجاز في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) هذا مع تطبيق بعض القوانين العرفية.

كان هناك قاض يحكم في جميع المنازعات<sup>(188)</sup> بالقران الكريم وكانت تجرى مناظرات ومحاورات بين القضاة. وهم إما خريج من الأزهر أو درس على خريج ويكون الحكم فيها على ما استقر عليه رأى القضاة وفي بعض الأحيان يحتكمون إلى علماء مصر فيما نشأ بينهم من خلاف كما حدث في قضية حكم فيها القاضى السودانى عبد الرحمن بن مشيخ النويرى المتخرج من الأزهر على امرأة تبرعت بثلاث مالها قاصدة بذلك ضرر زوجها، حكم برد المبلغ ونازعة الراى فرد عليهم بصحة حكم النويرى مراعاة للعرف والمصلحة العامة<sup>(189)</sup>.

عندما دخل الدخان في مصر وبدا انتشاره من أوروبا إلى العالم العربى ومنه للسودان في نهاية القرن العاشر الهجرى (نهاية السادس عشر الميلادى) اختلف العلماء السودانيون في ما بينهم فمنهم من أباحهم ومنهم من حرمة تماما مثلما حدث في مصر وقد روى ود ضيف الله إن الشيخ إدريس ود الأرباب العالم والمتصوف السودانى عارض الشيخ الاجهورى<sup>(190)</sup> الذى أفتى في إباحة هذا التبغ وكان ومؤيدا

(188) محمد صالح محى الدين: مشيخة العبدلاب وإثرها في تاريخ السودان السياسى، 910هـ-1236هـ، 1504م - 1821م، السودان، الخرطوم، الدار السودانية للكتب، 1392هـ - 1972م، ص28.

(189) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص254-255.

(190) هو شيخ المالكية بمصر (967-1066هـ، 1560م-1656م) كتب رسالة في مسألة الدخان اسمها (غاية البيان لحل شراب ما لا يغييب العقل من الدخان) (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، حاشية رقم 11).

للشيخ اللقاني صاحب جوهرة التوحيد في حرمة. إما العالم السوداني الشيخ عبد الوهاب رجل أم سنبل فقد عارض الشيخ إدريس ود الأرباب وأيد الشيخ الاجهوري مبيحا استعمال التبغ وجرت المناظرات بين العالمين السودانيين في ذلك، ثم أرسل الشيخ إدريس ود الأرباب رسالة خاصة إلى الشيخ الاجهوري حملها رسول منه وهو حمد ولد أبي عقرب يعارضه فيها ويورد له حجته في تحريم التبغ وكانت بينهما مراسلات ودية من قبل كما كانت هنالك صلات ورسائل مودة بين بعض علماء السودان وعلماء الأزهر منها ما كان بين الشيخ الخراشي إمام المالكية في مصر وأول إمام للأزهر الشريف وبين العالم السوداني الشيخ إبراهيم صغيرون وكان قد أهدى العالم السوداني جارية إلى الشيخ الخراشي الذي بعث له بدورة نسخة من شرحه الكبير على مختصر خليل في مذهب مالك<sup>(191)</sup>.

#### هـ- رحلات الحج والعمرة:

الحج والعمرة أمل يراود كل مسلم في جميع بقاع المسكونة. عندما ظهرت دولة الفونج في 910هـ - 1505هـ كان طبيعيا أن يرنو سلاطينها إلى هذا النبع الأصلي بالإضافة إلى شر الانتماء إلى البيت إن الحج إلى بيت الله الحرام كان أملا يراود الملوك والعلماء والتجار وحتى العامة وقد ساعد على تحقيق هذا الأمل سهولة الاتصال عن طريق سواكن والبحر الأحمر.

مهد الشيخ عجيب بن عبد الله جماع لهذا الاتصال بعمل حفير لجمع ماء المطر لحل مشكلة مياه الشرب وذلك في عام 960هـ - 1560م هذا الحفير كان على طريق قوافل الحجاج وساعد إلى حد كبير في تذليل وعورة هذا الطريق ثم ذهب إلى الحج وأقام هنالك زمنا أسس رواق بالحرم ولا تزال إثارة باقية<sup>(192)</sup> وذلك لإيواء السودانيين

<sup>(191)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص76.

<sup>(192)</sup> احمد محمد علي حاكم: علاقة الجزيرة العربية بالسودان في زمن الخلفاء الراشدين، مجلة الدراسات الأريقية، السودان الخرطوم، العدد الأول، 5 رجب 1405هـ، 1985م، ص16.

ثم إن قوافل الحج كان لها أثرا في قدوم العلماء للسودان ويذكر ود ضيف الله إن تاج الدين البخارى حج إلى بيت الله الحرام ومنه قدم بلاد السودان بدعوة من داود بن عبد الجليل<sup>(193)</sup> التاجر السوداني وكان قدومه في النصف الثاني من القرن العاشر<sup>(194)</sup> وتزوج امرأة من ناس العك<sup>(195)</sup> وله بنتان وأقام في الجزيرة سبع سنين وبعدها سافر إلى الحجاز.

يعد الفقيه عمار بن عبد الحفيظ خير مثال يعكس مدى تعلق المسلمين في دولة الفونج بالحجاز فقد اشتهر بكثرة رحلاته وقد أورد ود ضيف الله طرفا من رحلاته التي كتبها بخطة وكان سفرنا من سنار لطلب العلم بالأزهر وللحج وجلسنا بالأزهر إلى شوال ثم سافرنا إلى الحج وحججنا حجة الإسلام في تلك السنة<sup>(196)</sup> ثم رجعنا إلى مصر فلم ندخلها إلا في سنة تسعة وسبعين في شهر صفر ثم سافرنا إلى الحج أي حج التطوع في شهر شوال مع الحاج المصري ثم جلسنا بمكة مجاورين بيت الله الحرام ثم سافرنا إلى حضرة المصطفى بمكة ودخلنا فيه وصرنا إن شاء الله من الأمنين ثم سارنا من مكة إلى مصر ثم إلى السودان<sup>(197)</sup>.

ومن أوائل السودانيين الذين سافروا للحجاز فيما نعرف العجمي ود حسونة الذي سلك في رباط العباسي وانقطع إلى الله في الذكر والعبادة ولم يتزوج إلى إن مات<sup>(198)</sup> وأخوه حسن ود حسونة الذي حج إلى بين الله الحرام وقضى في الحجاز ومصر والشام نحو اثنتي عشرة سنة ومعه أبو حميدة واحمد تود الدنقلاوي<sup>(199)</sup> وعبد الله العركي

<sup>(193)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 127.

<sup>(194)</sup> أي أواسط القرن السادس عشر الميلادي: ويرجح حسن محمد الفاتح قريب الله (التصوف في السودان: 94-101) إن تاريخ قدومه كان في سنة 974-1566.

<sup>(195)</sup> العك قرية على الشاطئ الأيمن من النيل الأزرق في مجلس ريفي الحصاصيصا وسكانها ركابية وشكرية (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 128 هامش 2).

<sup>(196)</sup> أي سنة ثمان وسبعون وألف.

<sup>(197)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 259-260.

<sup>(198)</sup> نفسه، ص 88.

<sup>(199)</sup> نفسه، ص 134.

الذى حج أربعة وعشرين حجة ذهابا وإيابا واثنى عشرة جوارا واشتهر بالعلم فلمنا طال مكثه بالحجاز سافر إليه أخوة الشيخ أبو إدريس ومعه الحاج سلامة الضيaby فحجا حجة الفريضة وجابوة معهم<sup>(200)</sup>.

ومن الجوانب الهامة فى سيرة إسماعيل بن جابر أداءه فريضة الحج وربما كان الوحيد من أبناء جابر الذكور الذين حجوا إلى بين الله الحرام وقد اصطحب معه فى هذه الرحلة أخته فاطمة بنت<sup>(201)</sup> جابر وابنها محمد بن سرحان<sup>(202)</sup> (الذى اشتهر بالشيخ صغيرون).

إن ثمة عوامل أدت إلى توثيق الصلة بين دولة الفونج وبلاد الحجاز تميزت برحيل علماء منها إلى الاراضى المقدسة وبمجرد عودتهم كانوا يؤسسون الخلاوى والمساجد. ويروى ود ضيف أن عمارة بن شايقى أسس خلوته فى الحلفايا بعد أن حج إلى بيت الله الحرام وجاوره بمكة<sup>(203)</sup>.

وبجانب ذلك كانت بلاد الحجاز ملاذا لفارين من ضغط الحكام لأنهم كانوا يجدون الأمن والطمأنينة بجوار مسجد رسول الله وفى ذلك يروى ود ضيف الله بن عبد اللطيف بن الخطيب عمار الذى وصفه بـ (الاصولى النحوى اللغوى المتعلم الفقيه المنطقى المجود للقران المجتهد فى مذهب الشافعى) حج إلى بيت الله الحرام بسبب نكبه حصلت له من سلطنه الفونج فجاور بسببها<sup>(204)</sup> وقد مدحه احد علماء الحجاز قائلا (عالم الديار السنارية وعلامة الأقطار الإسلامية)<sup>(205)</sup>.

(200) نفسه، ص 25.

(201) نفسه، نفس الصفحة.

(202) سر الختم عثمان، أولاد جابر، ص 18.

(203) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 309.

(204) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 299.

(205) نفسه، نفس الصفحة.



الواقع إن أثر الحجاز كان كبيرا أكثر الذين هاجروا إليه سواء لأداء الفريضة أو التجارة درسوا هناك على علماء المالكية ونقلوا تعاليم هذا المذهب وكتبه المتعددة.

والمعروف إن رحلة الحج في ذلك الزمن كانت من أشق الرحلات فالرحلة داخل السودان إلى البحر الأحمر محفوفة بمخاطر الطريق من وعورة إلى قلة امن كما إن الرحلة البحرية من ساحل السودان إلى ساحل الحجاز تكتنفها نفس الصعاب والمشاق لهذا فالحج في ذلك الزمن لم يكن يؤديه عدد كبير من أهل السودان.

كان بعض حجاج دارفور يسIRON عبر النيل لأنهم لا يستطيعون تكلفة الرحلة الصحراوية والسفر عبر النيل يعتبر صدقة بالنسبة للحاج لأنه يمر على المدارس القرانية المنتشرة والموازية للنيل<sup>(206)</sup>. إلا إننا نجد في كتاب الطبقات عدد من الشخصيات أمثال حمد أبو عقرب تلميذ الشيخ إدريس ود الأرياب سافر مع الفقيه حمد ولد أبو حليلة والفقيه على ولد أبو نافلة إلى الحج<sup>(207)</sup>.

تمسك المسلمون في دولة الفونج بدينهم الذي دفعهم لأداء هذه الشعيرة فنجد فرح ولد تكتوك صاحب الحكمة والموعظة الحسنة الذي حج إلى بيت الله الحرام وكان سببا لعدد من النصاري اسلموا على يده<sup>(208)</sup>.

ثم إن الحاج إبراهيم بن برى الذي حج ومعه أربعة أشخاص<sup>(209)</sup> ولقد أعجب الفقيه أبو الحسن بن إبراهيم بولد برى<sup>(210)</sup> فقال: (الحج مثل حج الحاج إبراهيم والحاج عوض الكريم).

<sup>(206)</sup> Umar Al-naqar: the pilgrimage tradition in west Africa, Khartoum university press, p111.

<sup>(207)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص53.

<sup>(208)</sup> نفسه، ص312.

<sup>(209)</sup> نفسه، ص88.

<sup>(210)</sup> لعله أبو الحسن دفع الله بن الفقيه ضيف الله (محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص65)

ومنهم من سافر وأوصى زملاءه الشيوخ على أبناءه فنجد الشيخ عبد الله الطريفي الذي أوصى الشيخ دفع الله على أولاده عندما سافر لأداء فريضة الحج لبيت الله الحرام (211).

وكان من الشيوخ من يؤدي الفريضة ومعه نفر كثير ويروى ود ضيف الله إن (الجنيد ولد طه بن عمار الذي أعطاه الله قبولاً عند الملوك والسلطين ولاسيما أهل الحرمين والحجاز وجدة كان حاجاً إلى بيت الله ومعه خلائق لا يحصون) (212).

اعتقد أن الرواق التي شيدها الشيخ عجيب كان لها دوراً كبيراً في إيواء هذه الإعداد من الحجيج وتقديم المساعدة لهم. ومن مشايخ دولة الفونج الذين ذهبوا لبيت الله الحرام حمد النحلان المشهور بابن الترابي يروى ود ضيف الله عنه قال: (إنه أمر جيرانه بالسفر إلى الحج لزيادة قبر الرسول عليه السلام فقامت معه سبعين منطقة (تلميذ) وهو راكب على حمار وزوجته الحاجة على حمار وعناقريهما الاثنتين شايئنهن الفقراء على رءوسهم لا زاد ولا ماء معهم وطلعوا من على ود عثيب بالنهار صايئين وبالليل ينزلوا عرباناً يفطرونهم وهكذا إلى أن وصلوا سواكن) (213).

هذا وقد استخدم الحاج السودانيون في تلك الآونة طريق آخر هو ميناء القصير (214) الذي سلكه الشيخ شرف الدين بن عبد الله العركي الذي حج ومعه جماعة من جيرانه ومعهم الحاج مكي ولد سراج وإفيه شكر الله الجميع (215).

(211) كعله أبو الحسن دفع الله بن الفقيه ضيف الله (محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 65)

(212) نفسه، ص 131.

(213) كانت ميناء سوكن الرئيسي في عهد الونج وأحدى المنافذ للتجارة والحجاج السودانيين (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 164، هامش 9).

(214) ميناء مصرى على ساحل البحر الأحمر ولعل هذا النص الوحيد الذي يستدل منه إن بعض الحاج السودانيين كانوا يسارون الحجاز عن هذا الطريق إذ يبحر معظمهم من سواكن.

(215) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 231.



## الفصل الخامس

### الدور المصرى المجازى فى النهضة العلمية

أ- العلماء والمتصوفة

ب- الفقهاء والحكام

ج- الطرق الصوفية





## الفصل الخامس

### الدور المصرى الحجازى فى النهضة العلمية

#### أ- العلماء والمتصوفة:

الفونج هم حصيلة لقاح هجين بين العرب الوافدين والسكان الأصليين وهو لقاح مسالم تم بعيدا عن مظاهر التحكم العنصرى والتعسف الدينى والمذهبى ويقول بن خلدون (حاول ملوك النوبة صد العرب من دخول بلادهم السودان) ولكنهم لما فشلوا فى ذلك استطاعوا أن يكسبوا العرب عن طريق المصاهرة فزوجوا بناتهم للعرب وأصبحوا الورثة الشرعيين للنوبة عن طريق وراثة ابن البنت وهكذا تفككت دولة النوبة وآلت لجينته<sup>(1)</sup>.

#### - بلاد الحجاز :

لما كانت بلاد الحجاز مكة والمدينة منبعاً ثرا فى هذه الفترة حيث احتلت المقام الثانى بعد مصر فى استيعابها للوفود الإسلامية القادمة للحج والتجارة والعلم حيث كان الحاج السودانيون يشجعون علماء الحجاز على الرحلة للسودان<sup>(2)</sup>.

#### - بلاد المغرب:

كانت بلاد المغرب منبعاً آخر للثقافة الإسلامية وربما جاء علماء المغرب مع الفونج حيث زحفوا من الغرب إلى مملكة سوبا فكانوا نواة لأفواج أخرى من المغاربة لحقوا فى أزمان مختلفة بزملائهم فى مملكة سنار ويذكر ود ضيف الله عددا من علماء

(1) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، ج2، ص5.

(2) عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية فى السودان، ص57.

الفونج يعود أصلهم إلى المغرب أو الأندلس منهم (عبد الكافي المغربي، الذي قدم على (إدريس ود الأرباب) وعلمه الصوفية<sup>(3)</sup> وقدم كذلك جد حسن ود حسونة من (جزائر الأندلس)<sup>(4)</sup> ودفع الله بن مقبل ومعه الفقيه محمد فكرون من غرب السودان<sup>(5)</sup> وسعد ولد شوشاي وعلى اللبدى وهما صوفيان من المغرب<sup>(6)</sup> والتلمساني المغربي الذي قدم في عهد الملك بادى على الشيخ محمد ولد عيسى سوار الذهب وعلمه الصوفية<sup>(7)</sup>.

## - العراق :

هي من أوائل من نشر الصوفية في بلاد الفونج حيث قدم منها تاج الدين البهاري وعلم الناس مبادئ الطريقة القادرية وأقام في السودان سبع سنوات<sup>(8)</sup> كان لهؤلاء جميعا آثار واضحة في نشر الثقافة الإسلامية في السودان إلا أننا نلاحظ إن الأثر الذي تركه علماء مصر في السودان تميز بطابع علمي في معظمه واقصد بذلك إن المصريين آنذاك كانوا يعنون بالفقه والتوحيد واللغة في حين إن الطابع الصوفي قد غلب على تعليم الحجازيين والعراقيين والمغاربة ويتضح ذلك في قول ود ضيف الله (أعلم إن الفونج ملكت ارض النوبة وتغلبت عليها أول القرن العاشر سنة 910هـ وخطت مدينة سنار ولم تشتهر في تلك البلاد مدرسة علم ولا قران حتى وفد الشيخ محمود العركي من مصر وعلم الناس العدة<sup>(9)</sup>).

وفي أوائل النصف الثاني من القرن العاشر قدم إبراهيم البولاد من مصر إلى بلاد الشايقية ودرس خليل والرسالة ونشر الفقه في الجزيرة ثم قدم التلمساني المغربي على الشيخ محمد بن عيسى سوار الذهب وسلكه التصوف ثم قدم الشيخ محمد بن قرم

<sup>(3)</sup> ولد الشيخ إدريس ود الأرباب بعد إن اختطت سنار بثلاثة أعوام (913-1508م).

<sup>(4)</sup> ربما المقصود بها تونس وهو بلد يكثر ذكره في الروايات عند القبائل السودانية خاصة البقاره (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات تحقيق يوسف فضل، ص 133 حاشية رقم 2).

<sup>(5)</sup> نفسه ص 205.

<sup>(6)</sup> نفسه ص 222، 262.

<sup>(7)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 41.

<sup>(8)</sup> نفسه، ص 127.

<sup>(9)</sup> نفسه، ص 40.

المصرى الذى ادخل المذهب الشافعى وقدم كذلك الشيخ محمد المصرى ودرس التوحيد والنحو والرسالة<sup>(10)</sup> كل هؤلاء الشيوخ وفدوا فى زمن الشيخ عجيب المانجلىك الابن الأصغر لعبد الله جماع والذى كان يقدر العلم ويحترم العلماء ويفرق المنح والعطايا عليهم وهو الذى شيد الأروقة لإيواء طلاب العلم<sup>(11)</sup> وعمل على جذب العلماء للإقامة فى مملكته بكل السبل حتى يتسنى لهم نشر الدين والثقافة الإسلامية وقد تمتع هؤلاء العلماء بنفوذ واسع فما كان يرد لهم طلبا ومن استجار بهم فهو امن من غضب السلطان<sup>(12)</sup> الذى كان يخشاهم أيضا فزى مثلا المجذوب جد المجاذيب لا يردون له شفاعه لاعتقادهم بان من يردها ينكب سريعا<sup>(13)</sup> وهيبة الشيخ خوجلى كانت تجعل السلاطين كالأطفال فى حضرته<sup>(14)</sup>.

المتتبع لتاريخ الثقافة فى دولة الفونج يلاحظ إن العلم والصوفية دخلا سويا فى القرن السادس عشر الميلادى إلا إن الأخيرة انتشرت سريعا لان الناس كانوا يبحثون عن الخلاص من حالات الضعف واليأس التى اكتتفت حياتهم لان دخولها تزامن مع فترة السيطرة العثمانية على بلاد الشرق والعزلة السياسية والفكرية التى فرضها العثمانيون وتأثرت بها مصر وبالتالي دولة الفونج ولما كانت الصوفية تبشر بنعيم الآخرة للمحرومين وسوء العاقبة للباحثين عن نعيم الدنيا فقد وجدت تعاليمها أذانا صاغية من أناس هم نتاج بيئات كانت أساسا وثنية ومسيحية. ويعتبر شيخ الطريقة نواة التجمع الصوفى حيث يجتمع حوله المريدون على اختلاف قبائلهم وأجناسهم ويصبحون تحت زعامته أسرة واحدة أو طريقة واحدة وكتاب الطبقات حافل بأمثال هؤلاء وقد لاحظنا إن أهل الدامر هم أهل بلدة واحدة ويتبعون طريقة واحدة (المجاذيب) ولهذا من الصعب على الباحث التمييز بين الجماعة الصوفية وأهل البلدة ولا نرى حدا فاصلا

(10) نفسه ص 40-42.

(11) محمد صالح محى الدين: مشيخة العبدلاب وأثرها فى تاريخ السودان، ص 261.

(12) مكى شبيكه: السودان عبر القرون، لبنان، بيروت، دار الثقافة، 1991م، ص 4.

(13) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 188.

(14) نفسه، ص 192.



بين الجانب العلمى والجانب الصوفى وذلك إن الفقيه كان فى الغالب صوفيا كما إن بعض المتصوفة كانوا فقهاء فأولاد جابر بجانب اهتمامهم بالعلوم الفقهية وفى مقدمتها كتاب مختصر خليل الذى كان أول من درسه فى دولة الفونج هو إبراهيم البولاد وإلى جانب هذا الأثر العلمى يتبين فى حياة بعضهم التصوف فى شخصية عبد الرحمن بن جابر الذى وصفه ود ضيف الله بالقطب الربانى والغوث الصمدانى<sup>(15)</sup> وهذه الصفات يوصف بها كبار الصوفية هذا بالإضافة إلى كراماته ومنها عندما كان يدرس فى أحد مساجده الثلاثة كان تلاميذه يرونه فى المسجدين الآخرين فى إن واحد<sup>(16)</sup> وهكذا إلى جانب الثقافة العلمية ظهرت بوادر ثقافة دينية صوفية وهى التى كانت شائعة فى الحجاز والعراق ومصر ومنها تسربت إلى مملكة الفونج على يد الدعاة أو المواطنين الذين اتصلوا بمنابعها.

والسناريين صلات لا تنقطع بالحجاز وخاصة فى موسم الحج لطلب العلم على علماء الحرمين هذا بالإضافة إلى إن قادة الصوفية فى الحجاز كانوا يجدون ترحيبا وتشجيعا من ملوك الفونج<sup>(17)</sup> ولهذا لقيت الطرق الصوفية منبعا خصبا هذا بالإضافة إلى ما أظهره المشايخ من صفات جعلت الناس يتهافتون عليهم ويتخذونهم ملاذا فى ساعات الضيق ومنها أن حسن ود حسونة كان يهتم بالفقراء ويذبح لكل خلوة من خلواته شاتين كل يوم وكان عدد خلواته إحدى عشرة أو ثلاثة عشرة<sup>(18)</sup> والشيخ عبودى الذى يجد عنده المسافرين وابن البلد طعاما يوميا لا ينقطع<sup>(19)</sup> ويزوى صاحب الطبقات عن الشيخ مسلمى الصغير الذى كان يأخذ من المقتدرين ويعطى الفقراء<sup>(20)</sup> ولهذا آلت فالناس حول الشيوخ بعد إن ذاقوا مرارة الانقسامات فى بلاد النوبة إبان

(15) سر الختم عثمان: أولاد جابر، ص 28.

(16) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 91.

(17) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 138.

(18) نفسه ص 271.

(19) نفسه ص 87.

(20) توماس ارنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين، مصر القاهرة، 1947م، ص 99-100.

العهد المسيحى بعد إن بلغ الانحطاط فيها إلى أقصى درجة<sup>(21)</sup> أضف إلى ذلك ما كانت تعانيه البلاد من الحروب الداخلية. والغازات المستمرة والعصبية القبلية التى كانت تمزق البلاد فى ذلك العهد لذا شعر السودانيون إلى رغبة شديدة فى الحياة المستقرة فما إن وجدوا فى عصر الفونج هؤلاء المشايخ حتى لبوا النداء فى حماس شديد<sup>(22)</sup> والقارئ لكتاب ود ضيف الله يرى كيف نجحت الطرق الصوفية فى جمع شمل القبائل والأجناس من مختلف أنحاء البلاد فزاوية الشيخ عمار بن عبد الحفيظ محاطة بالخيل والجمال التى حملت الناس إليه من جهات بعيدة وعند الباب تجد نعال الفونج والعرب (دليل على تعدد الأجناس) وفى داخل الزاوية تجد الناس حلقات مجموعة تتحدث بتجارة الحجاز وأخرى بتجارة الغرب وثالثة بتجارة الصعيد<sup>(23)</sup> وكذلك الشيخ الزين صغيرون الذى ولد بدار الشايقيه وشدت إليه الرحال وضربت إليه آباط الإبل فالبلاد كلها إلى دار صليح تلامذته وتلامذة تلامذته والشيخ أرباب العقائد الذى بلغ درجة من الصلاح والتصوف وبلغ عدد طلبته ألف طالب من دار الفونج إلى دار برنو<sup>(24)</sup> وهكذا قامت على أيدي هذه الصفوة من شيوخ ذلك العصر حركة الدعوة التى كانت شخصية الشيخ محورها بما يتسم به من زهد وتقوى وكرامات وقد استخدم الشيخ الداعية ككل الوسائل الشعبية لجذب الناس إليه وكانت البيعة للشيخ تتم على المستوى الشخص من اخذ الطريق وهى شهادة إن لا اله إلا الله محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأوراد عند نهاية كل صلاة ودعوة غيرة لأخذ الطريق وحضور حلقات الذكر ما أمكنه ذلك وقد أدى ذلك إلى تمكين عقيدة المتصوفة فى نفوس الناس بل أن كثيرا من الفقهاء صاروا من مؤيدى الطرق الصوفية بعد إن جمعوا بين علمى الظاهر والباطن ومن ثم فقد خضع انتشار الإسلام فى دولة الفونج خضوعا تاما للجوء الصوفى المنتعش فى العالم الاسلامى بعد إن كتب له النصر فى صراعه مع أهل السنة<sup>(25)</sup> وقد حسم هذا

(21) عبد المجيد عابدين، مرجع سبق ذكره، ص 63.

(22) محمد النور بن ضيف الله: مرجع سبق ذكره ص 261.

(23) نفسه ص 73.

(24) محمد النور بن ضيف الله: مرجع سبق ذكره ص 100.

(25) أبو العلا عفيفى: التصوف الثورة الروحية فى الإسلام، ص 23.

الخلاف الإمام أبو حامد الغزالي (توفي في عام 516هـ - 1111م) الذي مزج التصوف بالشرعية جاعلا الأخيرة هي الأساس<sup>(26)</sup> وقد وجد هذا الصنيع قبولا عند جمهور المتصوفة ورضى عنه كثير من أهل السنة بيد أن من الفقهاء لم ترضهم شطحات بعض المتصوفة مثل اعتبار القوافل أعلى من الفرائض والنية أفضل من العمل والتأمل خير من العبادة... الخ. ويروى كتاب الطبقات أمثلة لهذا النزاع بين القاضي دشين والصوفي محمد الهميم الذي يروى عنه أنه في ساعة من ساعات الجذب زاد في نكاحه من النساء عن الحد الشرعة وهو أربع وجمع بين الأختين حيث تزوج بنتى أبي ندوده في رفاة وجمع بين بيتى بانقا الضرير (كلتوم وخادم الله) فانكر عليه ذلك القاضي دشين وقال له خمست وسدست وسبعت إما كفاك؟ حتى جمعت بين الأختين!! رد الهميم وما تريد بذلك؟ قال أريد سخ نكاحك لأنك خالفت الكتاب والسنة فقال له: الرسول إنن لى والشيخ إدريس يعلم وكان الشيخ إدريس حاضرا فقال لدشين اترك أمرة وخل ما بينه وبين ربه فقال دشين لا اترك إمرة وقد فسخت نكاحه فقال الشيخ هميم لدشين فسخ الله جلدك. ويقال إن القاضي دشين مرض حتى تفسخ جلده<sup>(27)</sup>.

نلاحظ من هذه الحادثة إن الصوفي محمد الهميم انتصر على الفقيه دشين والهميم يمثل وجه نظر الصوفية إما القاضي دشين فيمثل الفقهاء ونلتمس من رد هميم على القاضي دشين لونا من الصراع بين الفقهاء المتمسكين بالكتاب والسنة وبين المتصوفة المعتمدين على وحى الباطن واللهجة العنيفة التى خاطب بها محمد الهميم قاضى العدالة تدل على استهتار المتصوفة بما ينهى عنه الشرع الاسلامى ربما نبع ذلك جهل هؤلاء بأمور دينهم هذا الجهل حكم فى إن تبقى الثقافة الدينية فى مستوى متدن رغم أنهم تسابقوا فى حفظ القرآن ولكن بطريقة لفظية لا يميزون بين الأصل والبدعة ولم يكن هذا الجهل قاصرا على بسطاء المتعلمين بل شاركهم فيه الفقهاء فقد ذكر التونسي عسن والده عمر الذى قدم للسودان فى عهد دولة الفونج إن الفقيه مالك خطيب جامع دارفور سأله إن يكتب له خطبة يلقيها فى يوم العيد فكتبها وذيها بالخاتمة المعروفة (تمت على

(26) نفسه، ص14.

(27) محمد النور بن ضيف الله: مرجع سبق ذكره ص212.



يد مؤلفها الفقير إلى المنان عمر بن سليمان التونسي) فما كان يوم العيد وبعد الصلاة اعتلى الخطيب المنبر وخطب وقرا تمت على يد مؤلفها عمر بن سليمان التونسي دون إن يدرك إن هذه الخاتمة خارجة عن الخطبة<sup>(28)</sup> وعلى هذا إن العلم كان يعنى التعبّد والزهد أكثر من التفقه فى أمور الدين ومن بين شيوخ الصوفية الذى بالغ فى الزهد والانقطاع حمد النحلان الذى دخل خلوته وأغلق بابها تاركاً فتحة صغيرة يتناول منها طعامه الذى يتكون من قرض وسبع بلحات وقطعة خبز فى حجم عين الجمل وكانت تستمر فترات اعتكافه أكثر من ثلاثين شهراً يخرج بعدها يابس من اللحم والدم<sup>(29)</sup> وقد بلغ من تشدد أحدهم أنه لبس المرقع وجعل الخريم<sup>(30)</sup> طعامه لأجل علل ثلاثة (هضم النفس وقلة الحلال فى زمننا هذا وأتباع السلف الصالح) ومنهم من كان يلزم الخلوة قائماً الليل صائماً النهار ملازماً أذكار الله كلها) ويتلو صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ليلة أربعين ألفاً وبالنهار ثمانية عشر ألفاً وكل ما تم مائه ينتقل بعدها<sup>(31)</sup> ومنهم من تشققت إطرافه من كثرة الوضوء فاشتهر بالخشن<sup>(32)</sup> وروى إن أحدهم حج أربعاً وعشرين حجة أثنى عشرة ذهاباً وإياباً وأثنى عشرة جواراً<sup>(33)</sup>.

والم يكن التقشف الزهد الطريق الوحيد للاتحاد بذات الله فقد كان بعض الشيوخ يعيشون حياة دنيوية متكاملة بل إن إغراقهم فى الملذات يفسر بأنه حالة جذب فمثلاً الفقيه نور الرياش يصف شيخه صاحب الربابة فى حالات الجذب فيقول: أول ما تقوم عليه الحالة يحضر البنات العرايس والعريسان للرقص ويضرب الربابة كل ضربة لها نغمة يفيق منها المجنون وتطرب لها الحيوانات والجمادات<sup>(34)</sup>.

(28) محمد عمر التونسي: تشحيز الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان تحقيق خليل محمد عساكر ومصطفى محمد مسعد، مصر، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1965م، ص 213.

(29) محمد النور بن ضيف الله: مرجع سبق ذكره، ص 162.

(30) هو ثمر شجر الحراز وتتخذ البهائم علفاً وقد يأكله الأطفال (محمد النور بن ضيف الله: الطبقات تحقيق يوسف فضل، ص 176 حاشية رقم 14).

(31) نفسه، ص 65.

(32) نفسه، ص 99.

(33) نفسه، ص 253.

(34) نفسه، ص 95.



## ب- الفقهاء والحكام:

سنذكر كلمة الفقهاء فى شئ من التعميم لتشمل الجميع متصوفة وغيرهم وتهدف محاولتنا هنا تسليط الضوء على علاقة الفقهاء بالحكام وبصورة عامة، كان الونام غالبا بين الفقهاء والحكام فنجد نماذج من الفقهاء تقدم النصائح منهم داؤود بن محمد الذى زهد ولبس جلود الضان ويقول عنه ود ضيف الله: كان كالوزغ لزم الخلوة لم يخرج منها إلا بعد صلاة العشاء ثم لم يروه إلا مثلها<sup>(35)</sup> فى اليوم الثانى واعتقد فيه السلاطين وخصوصا محمد أبو لكيلك وقد كان يشاوره فى جميع أموره ويروى إن احد السلاطين لبس قميص ولى من الأولياء يوم خروجه للقتال لاعتقاده فى بركته إلا أن الاعتقاد فى البركة لم يكن الدافع للزهد والورع والانقطاع للخلوة هذه الصفات اعتقد أنها رفعت من مكانتهم عند العامة والخاصة فلا غزو إذن إذا منح الحكام الفقهاء الاقطاعات الواسعة المعفاة من الضرائب فهم سند الحكام والمدافعون عن النظام والدليل على ذلك إن هؤلاء الحكام كانوا يقطعون الأرض لهؤلاء الفقهاء ليس بدافع الثواب والبركة فحسب بل إن هذه الهبات كانت لها جوانب سياسية<sup>(36)</sup> وبنفس القدر تعكس واقع خليل بن الرومى مع الملك بادی الأحمر أحد سلاطين الفونج مدى نفوذ الفقهاء واعتقاد الحكام والرعية فى مقدرتهم على فعل المعجزات ويقول ود ضيف الله: ... ومنها (أى من معجزاته) إن ملك الفونج لما خرجت عليه العساكر بجميعها من قرى سنار وأليس وأحاطت به العساكر من كل جانب وقتلوا جميع من كانوا معه وما بقى إلا ثلاثين فرسا اختفى منهم فى حوش كمير بنت الملك اختى فذهبت كمير المذكورة إلى الشيخ خليلي وقالت يا سيدى أخى فارقة ملكة وتخشى عليه من الهلاك من عبدة فقال لها أخوك الظالم المفسد فقالت آتية إليك ويتوب على يدك من الظلم والفساد فقال آتية إلى الملك وجاءت به مختفيا والبسته ثوب امرأة فلما حضر بين يدى الشيخ قال إنا تبنت تتهانى عنه فقال له

(35) محمد النور بن ضيف الله: مرجع سبق ذكره، ص 213.

(36) محمد إبراهيم أبو سليم: الفونج والأرض ص 35.

الفونج اخذوا عمامة الملك فهناك عامتى وضمنت لك ملك أبيك إلى إن تموت ولكن إذا خرجت للقتال احضرنى واحضر حاج عمارة فلما أصبح خرج على تلك الجيوش فى ثلاثين فارسا واحضر الشيخ والحاج عمارة كما أمره الشيخ فهزمهم ببركة الشيخ وقتلهم اشد قتله وبقي فى ملكه إلى إن مات والملك المذكور بآدى الأحمر<sup>(37)</sup> هذه الحادثة تعكس المدى الذى وصل إليه نفوذ الفقهاء من حيث اعتقاد الحكام فى مقدراتهم واحترامهم وسماعهم لنصائحهم على يد هذا الشيخ تقودنى هذه الحادثة إلى أسرار الكنيسة عند المسيحيين هناك سر يسمى سر الاعتراف وهو إن المسيحى الارثوذكسى مهما كانت وظيفته لابد إن يعترف بذنوبه التى اقترفها إمام الشيخ (القس) حتى تكتمل عباداته وبما إن المسيحية انتشرت فى بلاد النوبة حوالى ستة قرون ربما توارث الفونج هذه الطقوس التى وجدوها.

تعاون الفقهاء وملوك الفونج اتخذ عدة مظاهر منها الشفاعة التى تعنى التوسط لدى أحد الملوك أو من ينوب عنهم لرفع غين أورد مظلمة وقعت على احد الرعايا من إتباع الشيخ ومن أصحاب الشفاعات الشيخ إدريس ود الأرباب الذى احترمه الملك بآدى بن رباط ملك سنار واعتقد فيه ويقول صاحب الطبقات (إن الملك جمع كبار الفونج وقال لهم الشيخ إدريس شيخى وابوى دارى من العسل إلى البصل يسمها له النصف فامتنع الشيخ قائلا هذه الدار دار النوبة وانتم غصبتموها إنا ما بقبلها الرسول قال من سرق شبرا من الأرض طوقه الله يوم القيامة من سبع ارضين. وقال لهم اعطونى الحجز<sup>(38)</sup> فى كل شئ فأعطاه الملك كما طلب ثم إن الشيخ دخل سنار واحد وسبعين مرة فى مصالح المسلمين. بالتوسط يوفى الشيخ بمسئوليائه تجاه إتباعه المتضررين من السلطنة دون إن يدخل فى مواجهة عدائيه معها وتعكس هذه الرواية اعتراف السلطة ونوابها بسلطة الفقهاء الروحية ويخشون منها والدليل على ذلك قول

(37) محمد النور بن ضيف الله: مرجع سبق ذكره 202-203.

(38) الحجز هو الوساطة وفض المنازعات والصلح بين المتشاجرين (محمد النور بن ضيف الله: الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 60 هامش 18).

ود ضيف الله (ومن رده ينكب سريعا)<sup>(39)</sup> لكننى أرجح أن يكون احترام الملوك ونوابهم للفقهاء ينبع من احترامهم وتقديسهم للإسلام لان الفقهاء يمثلون الدين هذا وقد عمل بعض هؤلاء الفقهاء بالعمل المعروف والنهى عن المذكر وتعاملوا معه كمبدا يجب ممارسته وتنفيذه على الجميع حكاما ومحكومين وقال صاحب الطبقات عن محمود ود دوليب (كان ورعا تقيا لا تأخذه فى الله لومه لايم غير مكترث بالملوك ومن دونهم) ويضيف إن الملك أونسه بن ناصر أرسل له قائلا (حوارك على ولد شاويش طعن جمال رفيقى محمد ولد مصطفى هل يقوم بجئ ؟ فجاءة قواد الملك فقال له ملك الفونج أرسلنى إليك فقال له (أنا بلا الله والرسول وكتبى هذه ما يعر احد ....<sup>(40)</sup> وحمد ودام مريوم الذى لا تأخذه فى الله لومه لايم مغلظا على الملوك ومن دونهم وكان يشترط على الواقع عليه من السلطنة إن يصلوا معه الأوقات الخمسة ومن لم يفعل ذلك يطرده<sup>(41)</sup> هذه جراءة ميزت شخصيات أولئك الفقهاء اعتد أنهم استبدوا إلى الحديث الكريم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقالبه وهذا اضعف الإيمان) ومنهم من رفض مقابلة الحكام مثل شكر الله بن عثمان الذى رفض مقابلة الشيخ محمد السميع<sup>(42)</sup> حتى انتهى من درسه هؤلاء الفقهاء كانوا متشددين فى تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لم يحابوا الملوك خوفا منهم ولهذا كانت لهم إمكانية الاحتجاج فى ممارسات الملوك التى يراها الفقيه غير مقبولة ويطالب بأنصاف الرعية خاصة وأنهم كانوا أصحاب دعوة مستجابة يتضح ذلك من سيرة حمد ود مريوم الذى دعا على الفونج وأولاد عجيب فهلكوا جميعهم بالجدرى. ومن هؤلاء من يرفض تقويم المساعدة للحكام مثل الفقيه خليل بن على الصاردى الذى يروى عنه صاحب الطبقات قائلا: إن الشيخ حمد السميع عندما قاتل الجعليين طلب

(39) انظر سيرة كل من حمد المجزوب، ص188، سيرة عبد الرحمن الدويحي ص285، وعبد الرحمن بن محمد بن مدنى ص285 فى المرجع السابق.

(40) محمد النور بن ضيف الله: مرجع سبق ذكره، ص 348.

(41) نفسه 173-176.

(42) هو خامس ملوك العبدلاب (محمد النور بن ضيف الله: الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص239 هامش 16).



شراء خليل فلم يجد وجعل أهل الخيل جمعوهن عنده فأرسل له حفيده قائلاً الشيخ يسلم عليك ويقول ليك نحن محتاجين للخيل بالثمن دا الحين أهل الخيل عندك هلى يجيبوهن ونحن نعطيهم الثمن باليمين ونقبض منهم باليسار فقال لحفيده قل له الخيل تراهن حاضرات إن لم تجى تأخذهن عكازى فيك والخيل تراهن واقفات بأمر حجر إلى كجوك فذهب كضيوه إلى حمد واعلمه بما قال الشيخ خليل فقال الشيخ حمد لوزير مرقنتى من دارى وديتتى لدعوة الشيخ خليل أنا برئ منه هل يموت بسمه<sup>(43)</sup> هذا الفقيه انتصر لأهله عن طريق المعارضة لأوامر الحكام فأهل المنطقة جمعوا خيولهم تحت حراسته لأنها ستكون فى مكان أمين من تغول حمد السميع وبالفعل كان الفقيه خليل الصاروى عند حسن الظن حين رض إعطاء الخيول أو بيعها نيابة عن أهلها لحمد السميع.

وأخيراً لم يكن لإسلام الفونج فى السودان مفهوماً آخر سوى هذه الصوفية فالصوفية كانت تعنى الإسلام والدخول فى الإسلام يعنى اختيار طريقة من الطرق ولهذا كان هناك وفاق حقيقى قائم بين الشريعة والتصوف ومن أجل ذلك دام الصفاء بين الفقهاء والصوفية فى دولة الفونج واستمرت العلاقات حسنة بينهم دون أن يحدث ما يعكرها إلا تلك الخلافات العارضة<sup>(44)</sup> ولم يرد فى كتاب الطبقات اسم لفقيه عارض التصوف ووقف فى وجهة سوى الشيخ عبد الماجد حمد الاغيش المتوفى 1122هـ- 1710م فقد كان هذا الشيخ فمن جمع بين العلم والعمل واتبع الكتاب والسنة ولا تأخذه فى الله لومه لائم وكان غيوراً على أصحابه يمنعهم طريق التصوف قائلًا (طريقتى الكتاب وحزب البحر)<sup>(45)</sup> ورغم ذلك فإن بعض الفقهاء يرى إن معرفته الكلية لا تكتمل إلا بالتصوف مثل المسلمى الصغير الذى جمع فى بداية أمره بين الفقه والتصوف ثم اختار التصوف بقوله للشيخ دفع الله العركى (علمى ما نفعنى حيث بدور مدكم)<sup>(46)</sup>.

(43) محمد النور بن ضيف الله: مرجع سبق ذكره ص 203-204.

(44) حسن الفاتح قريب الله: التصوف فى السودان إلى نهاية عصر الفونج ص 30.

(45) محمد النور بن ضيف الله: مرجع سبق ذكره 129.

(46) محمد النور بن ضيف الله: مرجع سبق ذكره 83.



## ج- الطرق الصوفية فى سلطنة الفونج :

### - الطريق القادرية:

اقترن دخول الطريقة القادرية أكثر الطرق الصوفية انتشارا فى السودان باسم تاج الدين البهارى البغدادي الذى قدم للسودان فى نحو عام 985هـ- 1577م من بغداد والطريقة القادرية تنسب أصلا إلى مؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلانى<sup>(47)</sup> ودخلت أفريقيا أواخر القرن الخامس عشر<sup>(48)</sup> وتاج الدين قدم عن طريق الحجاز اثر دعوة من داوود بن عبد الجليل التاجر السودانى وفى إثناء أقامته التى بلغت سبعة أعوام سلك عددا من المريدين كانوا من كبار الأسر التى لها مكانتها الاجتماعية منهم خليفته محمد الأمين (الهميم) ابن عبد الصادق جد الصادق<sup>(49)</sup> وبن النقا الضرير جد اليعتوباب<sup>(50)</sup> والشيخ عجيب المانجلك جد العبدلاب وفى تلك الفترة طلب تاج الدين من الشيخ عبد الله بن دفع الله العركى وهو تلميذ عبد الرحمن بن جابر وهو ممن ولاهم الشيخ عجيب القضاء طلب منه إن يسلك فى التصوف فرفض فى بادى الأمر ولما رأى مكانة مريديه وكيف انقادت لهم العرب والفونج واطهروا الكرامات سافر إليه فى الحجاز ولما وجده توفى اخذ الطريقة على تلميذه<sup>(51)</sup> وعاد إلى السودان مرشدا فى علمى الظاهر والباطن على الرغم من إن البهارى اختار خليفته الهميم عند مغادرته سنار وحيث الأتباع على طاعته إلا إن الطريقة القادرية تعددت مراكزها فبعد مغادرة البهارى بفترة وجيزة برزت ثلاثة مراكز بالقرب من سنار والعركيون نسبة إلى عبد الله العركى فى أبو حراز<sup>(52)</sup> بجانب هذه المراكز التى أنشأها إتباع البهارى هناك

<sup>(47)</sup> عبد القادر الجيلانى محى الدين (470-561-1077-1166) الفقيه الحنفى السواعظ الصوفى مؤسس الطريقة القادرية ولد فى جيلانى من بلاد فارس ونشأ فى بغداد يروى أنه من ذرية الحسن بن على دعا الناس إلى طريقته وكثر أتباعه وانتشرت طريقته فى كل أرجاء العالم الاسلامى (محمد النور بن ضيف الله: الطبقات، تحقيق يوسف فضل ص 56 حاشية رقم 5)

<sup>(48)</sup> توماس ارنولد مرجع سبق ذكره ص 277.

<sup>(49)</sup> منطقهم إقليم السوكى بين واد مدنى والقضارف.

<sup>(50)</sup> يقال إن تاج الدين قبل إن يغادر السودان قلد (بن النقا) هذا شعار الرئاسة عند الفونج وهو الطاقية والككر (عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية فى السودان ص 66).

<sup>(51)</sup> محمد النور بن ضيف الله: مرجع سبق ذكره ص 252-253.

<sup>(52)</sup> نفسه ص 253.

مراكز أخرى للقادرية فمركز إدريس ود الأرباب بالعيلفون واحد من هذه المراكز وثمة رواية منسوبة إلى الشيخ خوجلى بن عبد الرحمن تذكر إن إدريس ود الأرباب هو أول إن أوقد نار الشيخ عبد القادر الجيلاني قيل أخذها بمدد من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أو من شيخ يدعى الكافى قدم عليه بالخطوة من المغرب<sup>(53)</sup> وعدم توحيد القادرية وتعدد مراكزها فى سلطنة سنار ربما عكس وجود الاختلافات ذات الجذور الدينية أو الدنيوية<sup>(54)</sup> ولكننى اعتقد إن شهرة مؤسس المركز تلعب دورا فى التفاف الناس حول مسيد الشيخ الذى سرعان ما يصبح مركزا كبيرا ويتكاثر سكانه ولما كانت الصوفية تقوم على العلاقة الشخصية بين المريد وشيخ الطريقة الذى يذهب إليه الناس لأخذ بركنه أو استشارته أو طلب المساعدة المادية أو المعنوية وبقدر تلبية الشيخ لهذه المطالب يكتسب شهرته<sup>(55)</sup> وعلى كل سيطرت القادرية على المسرح معظم القبة السنارية وصار معظم السكان من مريديها فى القرى والمدن وشغلت الناس وما صاحب رجالها من كرامات جذب إليها الناس دون رجال العلم حتى بات مركز الصوفية أعلى من رجال العلم والدين بعد إن سيطرت على عقائد الناس وانحنى القه صاغرا أمام آدابها وأذكارها وأورادها وحل رجال الطرق الصوفية فى قلوب الناس محل الإجلال والتقدير معظمهم إحياء وأقاموا الأضرحة للتعبد أمواتها فيما حل الفقهاء وأهل العلم فى المرتبة الثانية واضطر أهل الفقه إلى الأخذ بعلوم الباطن إلى جانب علوم الظاهر ليسايروا تيار الصوفية<sup>(56)</sup> هذا وقد أرجع بعض الدارسين شعبية القادرية إلى أنها لا تشترط التبحر فى العلم لسلوك الطريق<sup>(57)</sup> أو لأنها تتميز بالتسامح وعدم التشدد<sup>(58)</sup> وكلا الرأيين يقود إلى نتيجة واحدة هى إن طريقة القادرية تلاءمت مع مجتمع سنار الذى كان جديد عهد بالإسلام.

(53) محمد النور بن ضيف الله: مرجع سبق ذكره ص 41.

(54) عبد السلام سيد أحمد: الفقهاء والسلطنة فى سنار، ص 68.

(55) Yousf Badri: A survey Of Islamic Learning In The Fung State, PP140.

(56) حليم اليارنجى: السودان والحركة الأدبية، ج 1، ص 63.

(57) مثلا أوائل خلفاء القادرية من الصادات لا يعرفون الآراء والكتابة مثل محمد الهيم الذى قرأ حتى الزلزلة فقط. انظر حسن الفاتح ريب الله التصوف فى السودان إلى نهاية عصر الفونج، ص 71.

(58) يروى عن الشيخ عبد القادر الجيلاني انه قال وددت أو إن أبواب الجحيم قد أغلقت وأبواب النعيم فتحت (محمد النور بن ضيف الله: الطبقات، تحقيق يوسف فضل ص 56 هامش 5).

وجوهر هذه العقيدة يقوم على معرفة الإنسان بالله عن طريق العمل (المجاهدة) وأداة هذه المعرفة هي القلب وليس العقل وبالتالي يخضع إلى الإلهام الالهي الذي يمنع المتصوف المقدرة على القيام بمنجزات وبدون مناقشة الفلسفة الصوفية يجب على التابع الأيمان بالشيخ المتصوف وبكرامته ويثق فيه ثقة مطلقة ويطيعه في جميع أوامره حتى يسلك طريق التصوف وهكذا يصبح الشيخ واسطة بين الله والناس<sup>(59)</sup> وليس هناك فترة زمنية محددة لسلوك الطريق فالبعض يصل بمجرد التحاقه بالشيخ بينما آخرون يستمرون سنين في خدمة الشيخ دون الحصول على إجازة<sup>(60)</sup> وحين يشتهر هذا الشيخ بكرامته يتهافت عليه الناس طمعا في بركته فيصبح مسيده حجة يأتيها الناس من كل فج وكاعتراف بقدرة يقوم سلاطين الفونج بإقطاعه أرضا خالية من الضرائب أو منحة حق جباية الذكاه في المناطق المجاورة لمركزه<sup>(61)</sup> وهكذا أصبح مشايخ الصوفية ملاك الأرض في عهد الفونج وقد مكنهم ذلك من القيام بواجبات الضيافة لزوارهم تلك التي رفعت من شأنهم في نظر الناس وأصبحت مراكزهم مأوى للمحتاجين وبالتالي يزداد عدد الأتباع والتنظيم الصوفي يمثل هرم على رأسه مؤسسوا الطريقة أو خليفته وفي يده السلطة العليا لإدارة الطريقة ثم يأتي بعده خلفاؤه ويوكل لهم إدارة شئون الطريقة بجانب عدد من الحيران القدامى ثم يأتي القطاع الأكبر من الحيران الذين مازالوا في بداية الطريق<sup>(62)</sup> ثم القطاع الواسع من جماهير الشيخ أي إتباعه ومريده البعيدين وهؤلاء يكتفون بزيادة الشيخ وحضور الحلقات التي تقام في مناطقهم ويطلق على هؤلاء لقب أولاد الطريقة<sup>(63)</sup>.

(59) عبد السلام سيد أحمد: الفقهاء والسلطنة في سنار ص 71.

(60) نفسه ص 80.

(61) محمد إبراهيم أبو سليم: تاريخ الخرطوم، لبنان، بيروت، 1971م، ص 11.

(62) Trimingham, J.S. Islam In The Sudan London P 204-205

(63) نفسه، نفس الصفحة.



### - الطريقة الشاذلية:

نسبت الطريقة الشاذلية إلى أبى الحسن الشاذلى (119هـ - 1258م) الذى ولد فى شاذلية بتونس وانتشرت طريقته فى مراكش فى القرن الخامس عشر على يد عبد الله محمد بن سليمان الجزولى مؤلف (دلائل الخيرات) وذكر إن إحدى بناته تزوجت من الشريف حمد أبى دنانه الذى نزع إلى السودان ومعه ابنه السيد الحسن وسكنوا البقعة المعروفة بـ (المحمية) سنة 850هـ - 1445م أى قبل عصر الفونج وأن تأكد ذلك تكون الشاذلية اسبق الطرق دخولا إلى السودان<sup>(64)</sup> انتشرت تعاليم الشاذلية فى الفونج على يد خوجلى بن عبد الرحمن المتوفى فى (1156هـ - 1743م) وكان أول امرأة قادريا ثم التحق بالشاذلية فى أقوالهم وأفعالهم وارتنى الثياب الفاخرة وعلى رأسه طربوش احمر ويفعل ذلك إقتداء بالشيخ أبو الحسن الشاذلى<sup>(65)</sup> وتعد طريقته إلى حد ما شاذلية متأثرة بالقادرية. ومن بعده اشتهر الشيخ حمد بن محمد المجذوب (1098-1181هـ - 1693-1776م) إذ أسس بعد عودته من مكة فرعا للشاذلية فى الدامر عرف بالمجاذيب<sup>(66)</sup>.

### - الطريقة التجانية:

نسبت الطريقة التجانية إلى احمد بن محمد بن المختار التجانى المولود فى عام 1150هـ - 1737م فى مدينة فأس بالمغرب<sup>(67)</sup> ودخلت السودان واتخذت أساليب القادرية فى الدعوة وساعدها تعدد مدارسها فى نشر عقيدتها على نطاق واسع وامتازت التجانية بين طرق السودان فى أنها لم تتورع فى اللجوء إلى السيف فى نشر خطتها الدينية<sup>(68)</sup>.

<sup>(64)</sup> محمد النور بن ضيف الله: الطبقات، تحقيق يوسف فضل، المقدمة ص3.

<sup>(65)</sup> نفسه، ص192-193.

<sup>(66)</sup> Trimingham Opcit. P. 196-197.

<sup>(67)</sup> عبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة ص541.

<sup>(68)</sup> حليم اليازجى: السودان والحركة الأدبية ص66-67.



- الطريقة الميرغنية:

دخلت السودان في آخر سلطنة الفونج على يد السيد محمد عثمان المرغنى فاشتهرت في التاكا بين الحلقة والبنى عامر وفي دنقلا بين البرابرة والشايقيه والكبابيش والبشاريين إما مؤسسها قد ولد ودفن بمكة<sup>(69)</sup>.

ومن الطرق انفه الذكر تفرعت الطرق الأخرى مثل الطريقة الإسماعيلية وهى فرع من الطريقة الميرغنية وانتشرت في كردفان على يد الشيخ إسماعيل السولى ولا يختلف عن الطريقة الأصلية إلى فى اختصار بعض الأذكار وتطويل بعضها<sup>(70)</sup> والطريقة الاحمدية والطريقة الرفاعية وهما حديثان فى السودان ومما سهل انسياب حركة الطرق الصوفية فى دولة الفونج عدم وجود سلطنة مركزية تمنح ترخيص لمن يريد إنشاء طريقة بل خضع الأمر إلى رغبة الشخص المؤسس للطريقة بالصورة التى يراها.

<sup>(69)</sup> نعوم شقير: مرجع سبق ذكره، ج1، ص164.

<sup>(70)</sup> نعوم شقير: مرجع سبق ذكره، ج1، ص164.

## الفصل السادس

### العلاقات التجارية

- أ- المراكز التجارية
- ب- الأسواق
- ج- وسائل المعاملات التجارية (النقود)
- د- الطرق
- هـ- الضرائب والخراج



## الفصل السادس

### العلاقات التجارية

تميزت بلاد السودان بشهرة تجارية واسعة منذ أيام ممالكها القديمة بالدرجة التي جعلها قبله للوفود التجارية المختلفة من أوروبا والهند والجزيرة العربية فضلا عن مصر التي ربطتها بها صلات تجارية أزلية وفي عهد الفونج امتازت سنار بحركة تجارية لعبت دورا كبيرا في اقتصاديات السلطنة وكان التبادل التجاري فيها يشمل ثلاث مستويات:

1- تبادل محلي على نطاق القرى والمجموعات السكانية ويكون بين المزارعين والحرفيين والمجموعات الرعوية المتاخمة لمناطق الاستقرار<sup>(1)</sup>.

2- تبادل اقليمي وهذا مجاله السوق ونشا نتيجة الإحساس بضرورة التبادل بين المنتجين من مختلف مجموعاتهم (رعاة - مزارعين - حرفيين) ولهذا اختلفت الأسواق من منطقة لأخرى فأسواق الشمال تقام في مناطق معينة في أطراف القرى وفي أيام معروفة وتستمر طوال العام إما القبائل الرعوية فأسواقها قريبة من دورها حسب تواجد القبائل لأنها دائمة الحل والترحال<sup>(2)</sup> إما في الجنوب فقد كانت الأسواق تقام في فصل الجفاف<sup>(3)</sup>. ومثل كل الحقوق في سنار فقد كان حق إقامة السوق يستمد من السلطان والذي يفوضه لنوابه المحليين باسمه ولم يكن في مقدور العامة ممارسة التجارة إلا تحت ضوابط تحددها السلطنة ومن هذه الضوابط إلا يحق للفرد الانتقال من منطقة لأخرى بغرض التجارة إلا بعد الحصول على إذن خاص مع

<sup>(1)</sup> spauldig j. l: the heroic age of sinnar 1985 p. 107.

<sup>(2)</sup> سيد عبد السلام احمد: الفقهاء والسلطنة في سنار، ص37.

<sup>(3)</sup> Spaulding . j. l : op. cit. p. 107.



الحماية التى يكفلها إما صاحب الدار أو شخص معروف لدية أو عضو فى حاشية الملك أو المانجل أو السلطان حسب موضع السوق ونظام الحماية هذا عرف باسم (الادارى)<sup>(4)</sup> وهو ينظم أيضا الشروط الواجب إتباعها عند دخول السوق<sup>(5)</sup>. واعتقد إن هذا النظام يطبق على التجار الأجانب أو الوافدين من مناطق أخرى. نستنتج من ذلك إن دخول السوق فى عهد دولة الفونج كان امتيازاً وليس حقاً فد كانت السلطنة تحصل على رسوم مقابل ذلك وبصفة عامة فرضت السلطنة ضرائب فى شكل مكوس تجارية حكمت انتقال البضائع داخل أسواق السلطنة<sup>(6)</sup>.

3- تبادل قومى أو التجارة السلطانية وهذه يحتكرها السلطان الذى يقوم بإرسال قوافله المحملة ببضائع الجنوب من رقيق وذهب وعاج وريش النعام والصمغ الجلود والتمر هندى إلى أسواق مصر والحجاز واليمن وإثيوبيا ويستورد بالمقابل معدات حربية أو متطلبات القصر من بضائع استهلاكية وخلافة مثل المنسوجات القطنية والحريرية والعمود والتوابل<sup>(7)</sup> احتكار التجارة الخارجية لسلطين سنار مكنهم من تدعيم سلطتهم وإحكام سيطرتهم لأنهم تمكنوا من جلب آلات حربية من الخارج وهذا يعنى مزيد من التفوق لجيش السلطان مما يدعم سيطرته على كافه إلا اليم ويمكنه من الحصول على سلع وأشياء غير متاحة لغيره مثل الصابون وخشب الصندل والقرنفل والمسك والحريز وارد القسطنطينية والحلى الزجاجية الأوربية وهكذا فإن خيول السلطان هى أجود أنواع الخيول وأسلحته أكثر تطورا وملابسة أجود وأطول إما طعامه فهو أغنى الأطعمة وأوفرها وحافل بشتى الأصناف المجلوبة من الخارج<sup>(8)</sup>.

(4) Spaulding. J.I: op. cit. p. 107.

(5) مثل ترك السلاح قبل الدخول للسوق.

(6) هناك محطات تجبى منها المكوس مثل: تشليحه، دنقلا، قرى، اربجى (الشاطر بصيلى، معالم تاريخ السودان وادى النيل، ص71).

(7) عبد السلام سيد احمد، مرجع سبق ذكره، ص38.

(8) نفسه، ص39.

## أ- المراكز التجارية:

### - سنار:

احتلت سنار موقعا طيبا منذ إن قامت على النيل الأزرق وكان الاشتغال بالتجارة هو الغالب على نشاطها الاقتصادي<sup>(9)</sup> وساعدها في ذلك موقعها الجغرافي عند ملتقى القوافل القادمة من الحبشة وسواكن ومصر وكردفان وأصبحت بذلك حلقة وصل بين كثير من مناطق السودان وزاد من هذا الأهمية وقوعها في إقليم له شهرته الواسعة في المجال التجاري حيث كان التجار يأتونها بالبضائع من مصر والحجاز والهند عن طريق النيل والبحر الأحمر<sup>(10)</sup> وكذلك تعد إليها السلع والمصنوعات التي تنتجها المشيخات وأهمها الدمور الذي اشتهرت به ويذكر بوركهارد إن من أهم السلع التي تحملها قوافل سنار هو الدمور الذي يستعمل على طول ضفاف النيل حتى دنقلا وكردفان ودارفور والحبشة وفي جميع بلاد النوبة وهي سلعة عليها إقبال شديد ويمكن الحصول بها على جميع السلع التجارية<sup>(11)</sup> كما كان لذهب سنار التي يأتيتها من فازو غلى وبنى شنقول أهمية كبرى في تجارتها حيث يعتبر السلعة الثانية بالنسبة للتجارة حتى إن روبينى المغامر اليهودى الذى مكث نحو عشرة أشهر فى ديار عمارة دونقس لاحظ كثرة الذهب فى سنار وكيف إن الملكة ووصيفاتها وعامة الإماء كن يتزين بالحلى الذهبية وبها يسترن عوراتهن<sup>(12)</sup> وهذا الذهب يشتره تجار سواكن ويحملونه إلى جدة. اعتقد إن الذهب كان يوجد بكثرة فى تلك الأماكن فعندما حاصر الفونج جبل سقدي ومويه فى 961هـ - 1554م اسروا زعيميهما وقادوهما فى سلاسل من الذهب إلى سنار<sup>(13)</sup> بالإضافة لهذه السلع كان تجار سنار يحملون الرقيق وهو إما

(9) عبد العزيز كامل: وجه السودان دراسة حضارية مقارنة، مجلة الدراسات السودانية، السودان، الخرطوم، العدد الأول، المجلد الثانى، مارس، 1970م، ص14.

(10) نعوم شقير: مرجع سبق ذكره، ص415.

(11) نسيم مقار: مرجع سبق ذكره، ص73.

(12) يوسف فضل: مرجع سبق ذكره، ص44.

(13) نفسه، ص63.

من الأحباش أو النوبة والنساء الحبشيات يفضلن عن النساء السود من أجل جمالهن إما الرقيق الذكور فالنوبة أفضل لأنهم أكثر قوة وأقل إصابة بالمرض<sup>(14)</sup>.

اشتهرت سنار كذلك بتجارة العاج والأبنوس فالأولى تجد إقبالا شديدا في مصر والأخرى تصدر إلى جدة<sup>(15)</sup> وكذلك تجارة الجلود التي يصنع منها سروج الإبل وتصدر إلى مصر بأسعار مرتفعة ويصنع منها الأكياس الجلدية التي تباع في اليمن ومكة وتستعمل في حمل المؤن أثناء السفر. ويضيف بوركهارد إن العسل يستورد بكميات كبيرة من سنار والذرة والإبل كانتا من أهم السلع التي ترد من سنار<sup>(16)</sup> وكذلك ريش النعام الذي كان يرسل من سنار إلى القاهرة ويبيع هناك بأسعار مرتفعة.

بلغ تجار سنار من الثراء درجة كبيرة حيث عقد بروس مقارنة بينهم وبين التجار المصريين فذكر إنهم أكثر ثراء منهم<sup>(17)</sup>.

#### - فازوغلى :

تقع إلى الجنوب من سنار بين النيل الأزرق والنيل الأبيض وهي بلاد جبلية قبل إن بها 99 جبلا<sup>(18)</sup> منها جبال بنى شنقول. كانت مركزا تجاريا هاما وقد أمدنا الرحالة بروس الذي يعد من أبرز الشخصيات الذين زاروا السودان في القرن الثامن عشر بمعلومات عن السلطنة وقت زيادته لها في 1772م حيث قال: تعتبر فازوغلى المركز الرئيسي في إقليم سنار فمنها يأتي الذهب وأهالي تلك المنطقة يؤكدون أن جميع الذهب يوجد في التربة الحمراء بوفرة خاصة في المجارى التي تتكون عقب سقوط الأمطار ويضيف قائلا إن الذهب يوجد كذلك بجوار النهر ولكن بكميات قليلة ويغسل لفصله من التراب ولا يوجد في مناجم ويستخدم العبيد في استخراج<sup>(19)</sup> كما اشتهرت فيها كذلك سركى كمركز للتجارة إذ كانت ملتقى طرق القوافل التجارية<sup>(20)</sup>.

(14) نسيم مقار: مرجع سبق ذكره ص74.

(15) نفسه: نفس الصفحة.

(16) نفسه: ص75.

(17) james bruce. Vol.7P.89.

(18) نعوم شقير: مرجع سبق ذكره، ص115.

(19) jams bruce. Vol. 7, p.79.

(20) مكى شبيكه: دولة الفونج الإسلامية، ص61.

### - أم هجر:

هي بلدة أم حجار حالياً وقد احتلت موقعا جعل منها مركزا تجاريا حيث سيطرت على طرق القوافل بين داخل البلاد وإثيوبيا ومن ثم ربطت البلاد بموانئ نهر سنيت وبهذا جعلته منفذا لها<sup>(21)</sup>.

### - بربر:

تعتبر أول مركز تجارى على الطريق المؤدى إلى سنار وهي محط القوافل الآتية من الشمال من مصر ومن الجنوب من سنار ومن الغرب من دارفور وكردفان ومن الشرق من الحبشة والتاكا وسواكن<sup>(22)</sup> وبها نقطة جمارك كان يطلق عليها عند زيادة بروس اسم قوز الفونج وسماها بوركهارد النخيره ومنها تفرض الضرائب على البضائع الداخلة أو المارة على إقليمها<sup>(23)</sup> وأهل بربر عامة يميلون إلى العمل بالتجارة وحتى التجار المصريين يفضلون العمل فى بربر عن شندى وسنار وذلك لسرعة إنجاز أعمالهم فى بربر والعودة إلى بلادهم مع قوافل الإبل والعبيد عن طريق بربر دارو عبر الصحراء<sup>(24)</sup>. والطريق يسمح للرقيق الصغار والإماء بركوب الإبل بينما الآخرون يقومون بالرحلة سيرا على الأقدام وإذا حدث إن جملاً تعطل فى الطريق فإن صاحبة تحمل العبيد بما كان يحمله الجمل من إئقال<sup>(25)</sup> وعند وصولهم إلى مصر باعون إما فى أسنا أو أسيوط أو القاهرة والخان الخاص بتجار الرقيق يسمى وكالة الجلالة وهو بالقرب من الجامع الأزهر<sup>(26)</sup>.

(21) الشاطر بصيلى: مرجع سبق ذكره ، ص 24.

(22) نعم شقير: مرجع سبق ذكره ، ص 105.

(23) محمد النور بن ضيف الله: الطبقات: تحقيق يوسف فضل ، ص 42. حاشية رقم 2.

(24) نسيم مقار: مرجع سبق ذكره ، ص 49.

(25) نفسه ، ص 83.

(26) نفسه ، ص 81.



## - الدامر :

هى مدينة تجارية يقصدها الناس من جهات مختلفة<sup>(27)</sup> وتقع على الطريق بين بربر وشندى وكانت محط القوافل التجارية وقد ساعدها فى هذا حماية فقهاء لها هذه القوافل وقد وصف بوركهارد مكانة هؤلاء الفقهاء قائلاً: إن جميع السكان المجاورين لبربر يحترمون الفقهاء حتى البشارية<sup>(28)</sup> يظهرون للفقهاء كل احترام لدرجة أنهم لا يجراون على الاعتداء على أهل الدامر عند سفرهم إلى سواكن.

يصف بوركهارد الطريق بين بربر وشندى بأنه محفوف بالمخاطر لكن مرافقة أحد فقهاء الدامر كافية لحماية المسافرين والقوافل حتى القوافل القادمة من الجنوب تقف عند أطراف شندى حتى يرافقها فقيه من الدامر<sup>(29)</sup> إذ إن كثيراً من هؤلاء الفقهاء كانوا تجاراً وقد أشار كاتب الطبقات إلى أحد عشر فقيهاً كان لهم نشاطاً تجارياً. واعتقد إن احترام البشارية هذه القبيلة التى اشتهرت بنزعتها العدوانية لهؤلاء الفقهاء التى ربما تمنع عنهم المطر أو تجلب المرض والموت لقطعانهم. ويوقل ضرار عن البشاريين أنهم أهم من يضمن الطريق التجارى فى صحراء عذاب حتى قوص وأسوان وبقية الديار المصرية التى فى الصعيد<sup>(30)</sup>.

## - شندى :

تعتبر شندى من أهم مراكز التجارة فى السودان فهى تلى سنار من حيث أهمية مكانتها التجارية ولعب موقعها الوسط دوراً رائداً مما جعلها تتحكم فى المنطقة الواقعة بين نهر عطبرة والنيل الأزرق والنيل<sup>(31)</sup> وكانت ملتقى الطرق التجارية الوافدة من

<sup>(27)</sup> شوقى عطا الله الجمل: مرجع سبق ذكره، ص 305

<sup>(28)</sup> هى قبيلة بدوية تسكن ضفاف نهر عطبرة على طريق سواكن شندى كانوا يعملون فى التجارة بالإضافة إلى الضرائب التى كان يفرضها زعيمهم على القوافل قلما تخلو من المنازعات وهم دائماً مسلمون لا تردعهم القوانين (نسيم مقار، مرجع سبق ذكره، ص 89).

<sup>(29)</sup> نفسه: ص 58.

<sup>(30)</sup> ضرار صالح ضرار، هجرة القبائل، ص 386.

<sup>(31)</sup> ألان مورهد: مرجع سبق ذكره، ص 217-218.

مصر وسواكن وسنار وسواكن ومن ثم أصبحت بمثابة مخزن للسلع والمنتجات الآتية من دنقلا وبربر وسنار وكردفان ودارفور وسواكن ومصر والحبشة ومناطق شبة الجزيرة العربية. ولهذا أصبحت شندى المدينة التجارية التى يلتقى فيها كل هؤلاء التجار ويذكر بوركهاردت إن أكثر طبقات المجتمع فى شندى احتراماً طبقة التجار حيث يوجد بالإضافة للتجار السودانين عدداً من التجار الأجانب مقيمين فيها<sup>(32)</sup> ويعمل الدناقلة سماسرة فى هذه التجارة.

من أهم السلع التى تصدر من شندى هى التبغ إلى جده واليمن والتمر هندى<sup>(33)</sup> والسمسم الذى يستخدم فى مصر كعلاج لأمراض العيون ومن السلع الأساسية التى تستورد من مصر هى السمبل والمحلب ويستعملان كعطر ودواء وعليهما إقبال شديد وكذلك السكر لأنه بالإضافة استعماله فى المأكولات يقدم كهدايا للشخصيات<sup>(34)</sup> الكبيرة وكذلك يرد من مصر الصابون المصنوع فى غزة ويافا وحبرون وأورشليم ويجد هذا الصابون إقبال شديد فى شندى ومن الصناعات المصرية التى تغذى سوق شندى آنذاك نوع من القماش يسمى (تاكات)<sup>(35)</sup> يعتبر من أكر السلع التجارية تداولاً ويمكن إن يستعمل فى كل مكان فى التعامل فى حالة عدم وجود دولارات واعتقد أنه كان نوع من القماش القطنى يشبه الديموريه التى كانت من السلع الأساسية فاستعملت بدل العملة ود لاحظ بوركهاردت فى زيادته لشندى إن النساء والأطفال ينسجون القطن<sup>(36)</sup> وعامة الناس يلفون أنفسهم بثوب من الكتان يرتدونه بطرق مختلفة<sup>(37)</sup> من السلع التى وجدت سوقاً رائجا فى شندى الخرز خاصة المصنوع من الخشب بواسطة الخراطين

(32) نسيم مقار: مرجع سبق ذكره، ص 66.

(33) نبات ينمو فى الشمال الغربى من دارفور يطلق عليه اسم عرييب وستعمل كمشروب بعد إذابته فى الماء.

(34) نسيم مقار: مرجع سبق ذكره، ص 69.

(35) قماش خشن أزرق اللون يستخدمه النساء البدويات كغطاء على ملابسهن (نسيم مقار: مرجع سبق ذكره، ص 70).

(36) نسيم مقار: مرجع سبق ذكره، ص 65.

(37) ونكلوز: قبائل من السودان الأوسط والغرب ص 79.

المصريين إما الخرز الزجاجي الذي يرد من الهند فيجد إقبال شديد في دارفور وكردفان حيث يستبدل بالعبيد وألف حبه من الخرز يمكن بها شراء ست أنثى من العبيد<sup>(38)</sup> وهناك أيضا مصنوعات أوربية ترد إلى شندی عن طريق مصر إلى جانب السلع المصرية فيرد الورق من جنوه والقصدير والنحاس الإصر والأمواس والسيوف من ألمانيا وكذلك الأجراس التي يزين بها اهالي سنار ودارفور سننام ولجام الإبل<sup>(39)</sup>.

ارتبطت شندی مع كردفان بعلاقات تجارية واسعة ومن أهم السلع التي ترد من كردفان كانت العبيد وتعتبر الوارد الرئيسي بالإضافة إلى الصمغ العربي والتمر هندی وریش النعام وأنياب الفيل وقرون الخرتيت ويعود تجار كردفان محملين بالسنبيل والمحلب والخرز والتوابل والكتان المصري والأقمشة الحريرية وارد الحجاز. التي يلبسها الزعماء كعلامة مميزة لهم والجدير بالذكر إن الفضة لا قيمة لها في هذه البلدان<sup>(40)</sup>. ارتبطت شندی بسواكن التي كانت على مر العصور المنفذ الرئيسي لتجارة السودان مع بلاد العرب وأقطار جنوب شرق آسيا مثل الهند وقد اشتهر تجار سواكن من الحداربه ويقول عنهم، أنهم عرب أحرار وأكثر ثروة وعددا من بقية التجار في شندی وعلاقاتهم بالملك طيبة فهو يعاملهم بأدب وهم يقدمون له الهدايا<sup>(41)</sup>. وعن السلع والبضائع التي كانوا يأتون بها إلى شندی يقول بوركهارد: تجار سواكن يمدون شندی بالبضائع الهندية والقرنفل والجنزبيل وخشب الصندل وكذلك الصفرة<sup>(42)</sup> وقوافلهم تجد ترحيبا من اهالي كردفان وسنار وهم منافسين للتجارة المصريين وعند عودتهم يأخذون الذهب والعبيد.

(38) نسيم مقار: مرجع سبق ذكره ص 71.

(39) نسيم مقار: مرجع سبق ذكره ص 71.

(40) ونكولز: الشايقية، ص 78.

(41) نسيم مقار: مرجع سبق ذكره ص 79.

(42) صدف حيوان بحري يعيش في البحر الأحمر يستخدم معطر يأتي برائحة نكية.

ارتبطت شندى بعلاقات تجارية مع دنقلا زادت بعد استقرار المماليك فيها وحوجتهم إلى السلع المصرية عن طريق شندى بالإضافة إلى الرقيق من النساء اللاتي عملن في خدمة المنازل في دنقلا وجدن إقبالا من تجار الرقيق.

ويقدر بوركهاردت عدد هؤلاء الرقي الذين يباعون في سوق شندى سنويا بحوالى خمسة آلاف عبد والجزء الأكبر منهم عمره دون الخامسة عشر وسعر العبد في هذا العمر ستة عشر دولار والأنثى من عشرين إلى خمسة وعشرين دولارا أسبانيا<sup>(43)</sup>.

### - سواكن:

هى من أهم مراكز السودان التجارية والميناء الرئيسى للسلطنة وهى عبارة عن جزيرة محيطيا ميل ونصف تقع على ساحل البحر الأحمر وتربط السودان بالجزيرة العربية والهند ومصر وقد ارتبطت سواكن بمشيخات السلطنة بعده طرق حيث كانت القوافل تأتيا من شتى المناطق حتى ازدهرت بمعسكرات هؤلاء التجار خاصة القادمين اليها من الهند ومصر والحجاز وألمانيا وإيطاليا وفرنسا<sup>(44)</sup> ويصف بوركهاردت النشاط التجارى لسكان سواكن بقوله (ليس لدى سكان سواكن حرفة غير التجارة إما بحرا أو مع السودان وبالنسبة للسلع التى يصدرونها يقول: أنه إلى جانب السلع التجارية من شندى وسنار وهى الرقيق والذهب والتبغ وريش النعام والذرة يمدون الحجاز بالقرب والحقائب الجلدية وجلود الحيوانات والحصر والمصنوعة من سعف الدوم<sup>(45)</sup> ويضيف ويحمل تجار سواكن الخيل إلى اليمن والحصان الذى يساوى خمسة عشر دولارا فى شندى يباع فى الحديدة بمائة وخمسين دولارا.

إما عن السلع التى كان تجار سواكن يشترونها من جدة فيقول إن تجار سواكن يشترون جميع البضائع الهندية والملابس وأدوات الزينة للنساء والسكر والبن والتمر والحديد<sup>(46)</sup>.

(43) نسيم مقار، مرجع سبق ذكره، ص 80.

(44) ضرار صالح ضرار: هجرة القبائل، 649.

(45) نسيم مقار، مرجع سبق ذكره، ص 106.

(46) نفسه: نفس الصفحة.



وفى 722هـ - 1317م قام صاحب سواكن بالالتزام بدفع ضريبة للسلطان المملوكى قيمتها 80 رأسا من الرقيق و 300 من الإبل 300 قنطار من العاج وهذه البضائع الثلاثة توضح بان سواكن صارت منفذا لبضائع السودان<sup>(47)</sup>.

### - قوز رجب :

هى من المراكز التجارية فى إقليم عطبره تقف عندها القوافل التجارية القادمة من شندى وسنار فى طريقها إلى التاكا حيث كان يعقد فيها سوقا تعرض فيه بعض تلك القوافل ما تحمله من سلع وبضائع مما جعل سكانها يعتمدون على التجارة اعتمادا كليا وخاصة أنهم يمتلكون الماشية ولم يكن هذا يشغلهم عن نشاطهم التجارى وقد أمدنا بوركهاردت بمعلومات هامة عن قوز رجب فيقول أنها تقع على الضفة المقابلة لنهر عطبره على سهل رملى وهى تتمتع بموقع جغرافى ويمارس سكانها التجارة مع سنار وشندى والدامر وسواكن ومصوع وبربر<sup>(48)</sup> وسكانها خليط من العرب والبشاريه والهندوة والشكرية الذين استقروا هنا من اجل التجارة<sup>(49)</sup> ويصف بوركهاردت أهمية طريق قوز رجب التجارى بالنسبة لبعض قوافل سواكن التى تفضله عن الطرق الأخرى قائلا: إن القوافل القادمة من سواكن إلى سنار والتى لا ترغب فى المرور بعطبره تفاديا من الضرائب وشندى لما تتطلبه الإقامة من نفقات فهى تأخذ طريقها إلى قوز رجب ومنه رأسا إلى سنار<sup>(50)</sup>.

### - التاكا :

هى ملتقى للقوافل التجارية بين سواكن على البحر الأحمر وشندى وسنار حيث تمر بها القوافل من بلاد النوبة وسنار دارفور وكردفان متجهة إلى سواكن. نالت شهرة

<sup>(47)</sup> yosuf fadl hassan, opcit p.85.

<sup>(48)</sup> نسيم مقار: مرجع سبق ذكره، ص90.

<sup>(49)</sup> محمد صالح ضرار: تاريخ شرق السودان ممالك البجة قبائلها وتاريخها ج2، ص547.

<sup>(50)</sup> نسيم مقار: مرجع سبق ذكره، نفس الصفحة.

كبيرة فى البلاد السودانية وخارجها فى شبه الجزيرة العربية بما كانت تمد به هذه البلاد من محصول الذرة الوفير الذى اشتهرت بإنتاجها. ويذكر بوركهاردت إن ذرة التاكا لعب دورا كبيرا فى التجارة مع سواكن التى كانت يصدر لها بكميات كبيرة وبلغ سعرها فى سواكن أربعة إضعاف سعرها فى التاكا كانت السفن دائما محملة به ويمكن إن ترسل فى أى وقت إلى جدة<sup>(51)</sup>.

بالإضافة إلى الذرة اشتهرت بثروتها الحيوانية خاصة الأبقار التى كانت تستعمل كوسيلة للمبادلة ووصل سعر البقرة السمينة أربعة قطع من الدُمور أو ستة وتسعين مدا من الذرة<sup>(52)</sup>.

ويحدثنا بوركهاردت كذلك عن عامل هام ربما أسهم فى تنشيط التجارة بين التاكا وسواكن قائلا: انه لا تدفع ضرائب مباشرة فى التاكا كما إن أهل التاكا لا يدفعون ضرائب فى سواكن وكل ما يحدث هو إن الرئيس يكرم التجار بتقديم الذبائح وهم بدورهم يقدمون له هدية من الدُمور<sup>(53)</sup> ويبدو إن ذلك ساعد كثيرا فى استمرارية التجارة وشجع الهندوة التى هى أقوى القبائل التى تقطن إقليم التاكا على مواصلتها مع سواكن. ومن السلع التى تصدر من التاكا الصمغ العربى الذى يباع لتجار جده ومنها إلى مصر ويذكر بوركهارد إن السلعة الرئيسية التى يبيعها التجار الأجانب هى التبغ من إنتاج سنار وفارس واليمن وأهل التاكا يفضلون التبغ اليمنى لأنه أكثر قوة من السنارى<sup>(54)</sup>.

## ب- الأسواق:

تعتبر الدعامة التى بنى عليها الاقتصاد فى السلطنة ولا تخلو مشيخه من وجودها وذكر كاتب الشونة السوق فى مخطوطته باسم الأشر بينما أوضح الشاطر بصيلى أن

(51) نسيم مقار: مرجع سبق ذكره، 92-93.

(52) نفسه، ص 92.

(53) نفسه، ص 93.

(54) نفسه، ص 96.

كلمة الفاشر تعنى الساحة التى ينعقد فيها السوق<sup>(55)</sup> إما الأسواق الداخلية فى السلطنة فقد كانت أثرا ظاهرا إذ برزت فى العديد من المدن وكذلك الأسواق الموسمية التى كانت تتردد عليها المجموعات التجارية المختلفة حتى أصبحت أسواقا كبرى بسبب كثافة الحركة التجارية ونموها الواسع ولكل مشيخه سوقا تجارية تفتح فى يوم معين من الأسبوع يجتمع إليها التجار والمنتسبون لبيع ما عندهم من السلع والمواشى والحبوب فمدن مثل الأبيض وسواكن وقرى واريجى وسنار وأبو حمد وبربر والدامر وشندى كلها كانت أسواقا ومحطات للقوافل التجارية<sup>(56)</sup> وقد أتاح تنقل هذه الأسواق الدورى بين البلدان التى ضمت كل خيرات المشيخات مما أدى إلى تميز هذه الأسواق بوجود الأصناف المختلفة من لحوم البقر والإبل والأغنام كما يوجد اللبن ومشتقاته كالسمن والحليب الرائب والزبد ومن البقول الذرة والحمص والفول الترمس ومن أنواع الخضروات البامية والملوخية والبصل والفاكهة كالتمر والدوم والللوب كما إن هناك أماكن لبيع البهارات كالشطة والملح والفلفل الأحمر والقرفة والروائح العطرية والحنة<sup>(57)</sup> وقد أولى سلاطين سنار عناية خاصة للأسواق إذ كان السوق فى سنار فى غاية الدقة والنظام بالقدر الذى جعلهم يقيمون عليه جنديا للإشراف على شئون السوق وحفظ الأمن والنظام<sup>(58)</sup> وقد تميز سوق سنار برخص الأسعار وظل مفتوحا طوال اليوم حيث كانت تاتي منتجات المشيخات مثل سن الفيل والتمر هندی وتبر الذهب والمنسوجات<sup>(59)</sup> والتبغ الذى تميز بشهرته فى الأسواق الداخلية والخارجية.

#### - سوق ود مدنى:

اشتهر سوق ود مدنى الذى يفتح يومى الاثنين والخميس ويتقاطر عليه الناس من كل صوب ويباع فيه أنواع الحبوب والخضر والصمغ والمنسوجات القطنية من

(55) أحمد بن الحاج أبو على: مرجع سبق ذكره، ص 25.

(56) نعم شقير: مرجع سبق ذكره، ج 1، ص 178.

(57) نفسه، ص 179.

(58) محمد إبراهيم أبو سليم: الفونج والأرض، ص 53.

(59) مكى شبيكه: مملكة الفونج الإسلامية، ص 17.

وارد ماتسستر والسكر والحرر وأدوات القطع ويعتبر سوق شندى خير مثال لأسواق السلطنة حيث ذكر بوركهاردت انه كان يعقد فى ساحة مكشوفة فى وسط المدينة وهو عبارة عن ثلاثة صفوف من الدكاكين مبنية من الطمى يبلغ طول الواحد فيها ستة أقدام وعرضه أربعة أقدام ومغطاة بالحصر ويحتلها التجار المشهورون بثرانهم وتوجد به كل السلع<sup>(60)</sup> ويعقد فى يومى الجمعة والسبت ويصفه بوركهاردت قائلا: إن مئات البقر والحمير وعشرات الخيل تعرض فى هذين اليومين وكل تاجر يأخذ مكانة فى فناء السوق ويوقم بعرض بضاعته حتى تجار مصر وسواكن وسنار يكونون مجموعات كل على حده وفى وسط كل منها دائرة من العبيد المعروضين للبيع ويأتى سكان الريف يحملون الحصر والاسبته وجلود الثيران والأوانى الفخارية وسروج الإبل والأطباق الخشبية التى من صناعتهم بالإضافة لصناعى الأحذية والحدادون كما تعرض بوركهاردت للسماصرة الذين يلعبون دورا كبيرا فى تجارة الجملة فى سوق شندى<sup>(61)</sup> كما يعرض السوق السلع المستوردة مثل الصندل الذى يستورد من الهند والسيوف الألمانية وكذلك الأمواس وورق الكتابة والخرز الذى يستورد من جنوا والبندقية والصابون من مصر بالإضافة إلى الملح والذهب من إثيوبيا هذا عن الأسواق الكبرى وهناك أيضا سوق يومى تعرض فيه لحوم البقر والإبل<sup>(62)</sup> والتبغ الذى يوجد فى كل ركن من أركان سوق شندى بالإضافة إلى الأسواق الكبرى والأسواق اليومية وجدت فى شندى حوانيت البقالين والعطارين الذين يبيعون القرنفل والفلفل والحبهان والتمر هندي وخشب الصندل والحلبة التى تستورد من مصر.

### - سوق بربر:

امتازت بربر بسوقها الكبير الذى وصفه بوركهاردت بأنه يحوى مقادير صغيرة من البضائع أهمها التمر من دنقلا والبن من الحبشة والمنسوجات المصرية والعبيد

(60) نعوم شقير: مرجع سبق ذكره، ج1، ص113.

(61) نسيم مقار: مرجع سبق ذكره، ص67.

(62) نفسه، ص68.



والإبل<sup>(63)</sup> وسوق الدامر الذى يعقد أسبوعيا وتعرض فيه معظم السلع المصرية بالإضافة إلى الأغنام والحصر المصنوعة من أوراق أشجار الدوم والذرة والشطة والقطن والدخان ثم إن إعفاء الفقهاء التجار لضريبة المرور كان له اثر كبير فى انتعاش الدامر اقتصاديا<sup>(64)</sup> وفى إقليم عطبره وفى قوز رجب تحديدا كان بها سوق تعرض فيه القوافل ما تحمله من السلع والبضائع ويتردد عليه سكان الجهات المجاورة من الشكريه والهندنوه ليبادلوا بما لديهم من السلع والمنتجات الزراعية والحيوانية ويصف بوركهارد النشاط التجارى فى سوق قوز رجب بقوله ويعقد فى قوز رجب سوق تجد فيه القوافل التى تمر على هذا الطريق مكانا مناسباً لعرض بضائعها<sup>(65)</sup>.

#### - أسواق التاكا:

اشتهرت بإقليم البطانة وشرق السودان أسواق التاكا ومن أبرزها سوق كسلا وسوق الهندنوه (وهى قرية عرفت بهذا الاسم) وكان يعقد فيها السوق مرة فى الأسبوع يعج بالنشاط التجارى ويتردد عليه البدو وأهل الريف وبعض التجار لبيع مصنوعاتهم اليدوية وتعرض فيه الماشية وأنواع مختلفة من الحصر والسلات المصنوعة من الغاب ومن سعف الدوم الذى يعم أودية الصحراء بالإضافة إلى الأوانى الفخارية وأباريق الوضوء التى يشتريها سكان سواكن ويحملونها إلى الحجاز وكذلك القرب المصنوعة من الجلد بالإضافة إلى لحم الجمل والنبق والقرض والصمغ والملح الذى يؤتى به من سواكن وريش النعام الأسود وهو ريش الإناث من النعام بالإضافة إلى القرنفل والبخور وكان يأتى إلى السوق الحدادين الذين يقومون بعمل السكاكين ورؤوس الحراب والسلاسل الحديدية التى تستعمل لربط أرجل الإبل الأمامية<sup>(66)</sup>.

(63) نسيم مقار: مرجع سبق ذكره ، ص 48.

(64) نفسه: ص 59.

(65) نفسه: ص 90.

(66) نسيم مقار: مرجع سبق ذكره، ص 96.

إما سوق سواكن فتباع فيه جميع بضائع السودان ومصر والحجاز والهند وأوربا حيث يفد إليه جميع التجار من شتى العالم ويعد سوقا تجاريا يلتقى فيه التجار لشراء البضائع المختلفة<sup>(67)</sup> ويعقد السوق في مكان مكشوف حيث تعرض السلع التي تأتي من داخل السوق ومن خارجة خاصة الذرة التي تأتي من التاكا والدمور من سنار وكانت التجارة في هذه الأسواق تتم بجانب السلع التي يتجول بها أصحابها وهؤلاء أطلق عليهم اسم الباعة الدوارون وهم يحملون العطور والبهارات في خرج كبير على حمار يطوف به القرى بالإضافة إلى النساء اللاتي يحملن الثمار والبقول ويطفن بها على المنازل وتباع هذه السلع بالمساوية والتراضي بين البائع والمشتري<sup>(68)</sup>.

### - أسواق دنقلا:

وبالنسبة لمديرية دنقلا اشتهرت سوق أبو قس<sup>(69)</sup> التي تفتح كل يوم خميس وكذلك سوق الدية الذي يفتح يومي الاثنين والجمعة إما أشهر أسواق دنقلا كان سوق تنقاسي الذي يفتح يوم الثلاثاء من كل أسبوع ويأتيه التجار من دنقلا وبربر والخرطوم.

### ج- وسائل المعاملات التجارية (النقود):

#### 1- المقايضة :

كانت السلطنة تولى التجارة درجة قصوى من الاهتمام ورغم ذلك لم تكن لها عمله خاصة<sup>(70)</sup> لذا كانت المقايضة تتربع على عرش التداول في عهد السلطنة الأول وتتمثل في مبادلة سلعة بسلعة أخرى<sup>(71)</sup> وهذه تتم بصور مختلفة بين التجار والاهالي وهي واسعة الانتشار وتعتمد على الاتفاق بين الطرفين فيما يعرضانه من السلع مثل إن يعرض التاجر سن الفيل والريش والأخر يعرض الملح كسلعة أولى بجانب المنسوجات

(67) نعوم شقير: مرجع سبق ذكره، ص 123.

(68) نفسه، ص 179.

(69) قرية صغيرة بالقرب من الخندق (نعوم شقير، مرجع سبق ذكره، ج 1، ص 101).

(70) ضرار صالح ضرار: تاريخ السودان الحديث، ص 18.

(71) محمد زكي المسير: اقتصاديات النقود، ص 12.

ويتم الاتفاق في المراكز التجارية بين التاجر والمواطن بالمواجهة وقد لا يقبل أحدهما فينسحب ويعرف هذا النوع من المقايضة بالتجارة الصامتة وبرز ما كان يستبدل الذرة والمنسوجات القطنية المعروفة بالدمور في مقابل السلع الواردة (72) ويذكر بوركهاردت إن الأشياء ذات القيمة القليلة يقدر سعرها بالذرة التي وحده كيلها السلقة (73) ورغم وجود المكاييل الخشبية فإن الأهالي لا يتقنون فيها ويفضلون استخدام الأيدي وهذا التعامل بوجه عام في إقليم بربر وجميع البلاد على الطريق الممتد منها إلى سنار ويضيف بوركهاردت أن الذرة وسيط للتعامل أكثر قبولا لأن سعر الدمور يختلف عند قدوم كل قافلة من الجنوب (74) بالإضافة للذرة والدمور يستعمل الكحل كعملة في الأرياف إذ إن زوجات اللاحين على استعداد دائم لاستبدال ما يمكن أن ينسجنه في منازلهن بالكحل. استخدام كذلك الخرز كعملة والنوع الأكثر شيوعا هو المصنوع من الخشب بواسطة خراطين في مصر وكذلك الأبقار كانت تستخدم كوسيلة للتبادل في كردفان (75).

## 2- العملات المحلية:

يلي المقايضة العملات المحلية التي تستخدم وتصنع من قطع الحديد ويصنعها الحداد وتعرف بأسماء مثل أبو منجل والحشايش (76).

إلا إن هذه العملة الحديدية تعرضت لخطر دائم إذ أنها غالبا ما جمع وتصنع منها الفؤوس والحرايب كما كانت تستخدم العملات الأجنبية المجلوبة من الخارج بواسطة التجار الأجانب وهي لا تواجه أي صعوبة في التعامل والتداول ولهذا كان لها قيمتها وسط التجار والأثرياء (77) وهذه مهدت لاختفاء أنواع العملات ووسائل المقايضة الأخرى فمثلا استعمل بين بربر وشندي الدولار الإسباني كما استعملت الذرة كعملة

(72) محمد سعيد القدال: السياسة الاقتصادية للدولة المهدية، ص 83.

(73) هي كمية من الذرة تسعها يد البائع (نسيم مقار، مرجع سبق ذكره، ص 50).

(74) نفسه، نفس الصحة.

(75) نفسه، ص 70.

(76) الشاطر بصيلي: تاريخ وحضارات السودان، ص 217.

(77) محمد سعيد القدال: مرجع سبق ذكره، ص 24.

والعملات التي كان يتداولها التجار في السوق هي نس العملة التي كانت متداولة في مصر والتي تضرب في مصر والنمسا وتركيا وفرنسا وإنجلترا ولم يؤد هذا التنوع في مصادرها وأسمائها إلى تغيير قيمتها.

وأهم النقود الرائجة في السلطنة هي ريال أبو طيرة وهو ريال ماريّا تاريسا النمساوي المشهور وسمى بذلك لأنه على احد واجهته صورة نسرين ويقال له القوشلي أيضا وهي لفظة تركية بمعنى أبو طيرة ويشار له أيضا بأبى نقطة لان على وجهه الثاني نجمة<sup>(78)</sup>.

ويبدو إن القوة التجارية التي كانت تتمتع بها السلطنة في سنار نتجت من استخدام أوقية الذهب لتسهيل التبادل والتي كان يمكن التحكم في قيمتها بواسطة السلطان لسيطرته على إنتاج الذهب في السلطنة وبالتالي يتم دفع كمية الذهب للأسواق حسب رغبة السلطان مما جعل قيمة الذهب في ثبات في مقابل السلع التجارية في سنار<sup>(79)</sup>.

#### د- الطرق:

واعتمدت التجارة في مملكة الفونج اعتمادا تاما في تنقلاتها بين المشيخات والدول الأخرى على القوافل التي تسير داخل السلطنة من مكان لآخر عبر طرق داخلية وخارجية والقوافل تشكل الناقل الأول وتتألف من الإبل والبغال وأكثر سيرها في الليل حتى تتحاشى شدة الحر والعطش<sup>(80)</sup> كذلك استخدمت المراكب الشراعية والقرب المنفوخة وجذوع النخل في عبور النيل وقد سلكت هذه القوافل الطرق بمساعدة خبراء من بعض القبائل التي احترفت هذه المهنة مثل العبابده الذين يعملون إدلاء للقوافل التجارية بين مصر والسودان عبر صحراء العتمور<sup>(81)</sup> لخبرتهم بطرقها ولحماية هذه

<sup>(78)</sup> نعوم شقير، مرجع سبق ذكره، ج1، ص181.

<sup>(79)</sup> mundou al mahdi: a short history of the sudan p.44.

<sup>(80)</sup> نعوم شقير، مرجع سبق ذكره، ج1، ص180.

<sup>(81)</sup> عون الشريف قاسم: قاموس اللهجة العامية في السودان، ص740.



القول التي كثيرا ما يعترضها قطاع الطرق ومقابل الإرشاد والحماية تدفع القافلة عشرين دولارا<sup>(82)</sup>. إما البرابرة فهم إدلاء في قيادة السفن من أخطار الجزر والشلالات والعواصف<sup>(83)</sup> ويعتبر طريق مصر ووادي النيل من أهم الطرق التي ظلت القوافل تستخدمه منذ زمن بعيد فهو الطريق الصاعد من أسوان حتى كورسكو ثم يصل إلى منطقة دراو التي يجعلها التجار مقرا لهم حيث يجتمعون بها وهم في طريقهم إلى سنار وتستغرق الرحلة فيه من دارو حتى بربر اثني عشر يوما ولا بد للقوافل من المرور بديار البشارين<sup>(84)</sup> كما كان هناك طريق آخر لتفادي خطرهم يبدأ أيضا من كورسكو عبر الصحراء إلى بربر وهو أقرب بكثير من طريق دنقلا إذ تسير فيه القوافل في طريق صحراوي إلى الجنوب في سلسلة من الآبار المالحة وتستغرق الرحلة حوالي ثمانية أيام ويضاعف من صعوبة هذا الطريق وجود الرمال المتحركة التي تطمس معالمه وبالتالي لا يستطيع أحد سلوكه إلا بمساعدة قبيلة العبابدة الذي يعرفون السير فيه عن طريق النجم القطبي<sup>(85)</sup>. وثمة طريق آخر يبدأ من قرية مشو في دنقلا إلى دنقلا العجوز وكورتى ويسير على النيل في الضفة الغربية شمالي قرى ومنها إلى الحلفايا والعيلفون وقرية كترانج والكاملين شرق وعلى الضفة الغربية للنيل ويمر بالبشاقرة شرق وغرب وأبي عشر واربعى إلى سنار<sup>(86)</sup> وفي سنار كان يعد لأصحاب القوافل بيوت خاصة لضيافتهم وسكانهم حيث يقوم على رعايتهم وزير البلاط الملكي<sup>(87)</sup>.

ويعتبر طريق الأربعين من أهم الطرق التي ربطت مصر بدارفور ويتحدث براون عنه في عام 1793-1796 قائلا تتحرك القافلة من أسيوط وتمر بعين ديزيه

(82) نسيم مقار: مرجع سبق ذكره، ص 56.

(83) نعوم شقير: مرجع سبق ذكره نفس الصفحة.

(84) محمد عوض: مرجع سبق ذكره، ص 43.

(85) ريتشارد هل: مرجع سبق ذكره، ص 50.

(86) مكي شبيكة: مملكة الفونج الإسلامية، ص 74.

(87) الشاطر بصيلي: معالم السودان وادي النيل، ص 76.

الواقعة شمال الواحة الكبرى وهى أول مكان تصادف فيه القافلة الماء وعلى مسيرة أربع ساعات تقع الخارجة ويوجد فى كل من ديزيه والخارجة جندى مهمته رعاية شئون القافلة وعلى بعد ست ساعات من الخارجة تقع بولاق وهى قرية شديدة الفقر وتمد القوافل بالماء العذب وبعد مسيرة أربع عشرة ساعة من بولاق تقع باريز وبعد فترة خمسة أيام تقع شب ويستخرج منها الشب بكميات كبيرة كما يدل على ذلك اسم المكان وبها أعذب مورد للماء يقابل القافلة وهى ملتقى للجماعات التى تعبر الصحراء من مختلف الطرق وعلى مسيرة خمسة أيام تقع لقيه وفيها ينذر الماء وعلى مسيرة ستة أيام من لقيه يقع بئر الملح الذى تشتهر المنطقة المحيطة لهذا البئر بملح النطرون الذى يحمله الجلابة إلى مصر ويتردد على هذا البئر جماعة من الزغاوة لتبيع للمسافرين ما يحتاجون إليه من مواد غذائية بأسعار باهظة ويغير الكبابيش على هذه المنطقة لسلب المسافرين عند وقوفهم هناك وعلى مسيرة ثمانية أيام من بئر الملح تقع مدوه وهى خالية من الماء وبعد مسيرة يومين من مدوه توجد أبار وأدى مرزوق التى تقع على أول حدود الفور ويلي وأدى مرزوق جنوبا قرية سوينى وفيها يقيم حاكم من قبل سلطان دارفور وعند سوينى لا يجوز لرجال القافلة متابعة سيرهم إلا بعد أن يتحرى عنهم الحاكم ولهذا يقتضى منهم أن يمضوا بضعه أيام فى تلك القرية قبل مغادرتها إلى كويه<sup>(88)</sup> آخر طريق القوافل وبضيف براون إن فى كويه عدد من المصريين والتونسيين الذين يعملون فى التجارة بعضهم يعود إلى بلاده والآخر تزوج من دارفور وأصبح من رعايا السلطان.

والمنتبع لهذه الطرق يجد إن هناك طريقا عبر الصحراء بين دراو وبربر اعتادت القوافل إن تسلكه وهو أيضا الطريق آخر يمتد إلى الغرب يمتد من بربر إلى سبوع وهى قرية على النيل بالقرب من الدر وهذا الطريق به بئر مرات التى تتميز بمائها المر<sup>(89)</sup>.

(88) نسيم مقار: مرجع سبق ذكره 32-33.

(89) نسيم مقار: مرجع سبق ذكره، ص 51.

وهناك طريق من بربر إلى دنقلا مارا بالمرتفعات على الشاطئ الغربى للنيل لكنه غير مطروق نسبة للحروب التى دارت بين قبيلة الرباطاب وجيرانها مما أدى إلى امتناع القوافل عن السير عبره.

وثمة طريق آخر من بربر إلى سواكن عبر صحراء التاكا ويصفه بوركهاردت قائلاً (والطريق عبر صحراء التاكا فى سواكن لا يطرقه الأجانب إلا إذا كانوا فى أعداد كبيرة ومعهم البشاريون وهناك طريق من سواكن مارا بقوز رجب إلى سنار عبر الصحراء وبعض القوافل تفضله تحاشيا لرفع ضرائب المرور فى عطبره أو نفقات الإقامة فى شندى إما حجاج كردفان فيسلكون ثلاثة طرق:

#### - الأول :

عن طريق غوندار واكسوم إلى مصوع ومن يسلك هذا الطريق يشكو من معاملة مسيحيى الحبشة لهم وفى مصوع يظلوا بضعة أسابيع حتى يتمكنوا من كسب المال عن طريق عملهم اليدوى لرفع ضريبة المرور إلى ساحل اليمن أو جده ومنها برا إلى مكة.

#### - الثانى:

على ضفاف النيل من سنار إلى شندى وهو طريق مطروق أكثر من غيره وهو من دارفور أو كردفان. رأسا إلى شندى وعند الدامر يتفرع إلى طريقان الأول على جانب النيل تجاه مصر ويشير بوركهاردت إلى ما يلاقيه التكارنه من كرم المصريين فى هذا الطريق ورغم طوله فهو اقل تعباً ومن دارفور حتى شندى تتولى الحكومة حماية القوافل وما إن تصل عطبره والتاكا حيث تتعرض للنهب من الشايقيه<sup>(90)</sup> والفرع الثانى من الدامر يسير عبر المقرن إلى التاكا ومنها إلى سواكن ومنها بحرا إلى جدة.

(90) نسيم مقار: مرجع سبق ذكره، ص 98.

- الثالث:

من سنار إلى التاكا عن طريق رأس الفيل ومنها إلى بلاد الحلقة حيث يتفادون السر عبر الصحراء وهذا الطريق يفضلته جميع الحجاج القادرين على السير مزودين بجمل لنقل الماء والمثونة<sup>(91)</sup> ويحدثنا بوركهارد كذلك عن طريق يربط بين سواكن وأسوان يستغرق من عشرين إلى خمس وعشرين يوما ولكنه غير مطروق كثيرا بسبب خطر بدو البشارية<sup>(92)</sup> وطريق آخر من الأبيض إلى قرية دومه حيث تجبى الضرائب ومنها إلى قرية أم قناطر ثم إلى جبل أبو دوبر حيث الآبار التي تمد القوافل بالماء ومنها بعد مسيرة خمسة أيام إلى النيل مقابل شندى<sup>(93)</sup>. ويمكن إن نلخص هذه الطرق الداخلية والخارجية في:

- 1- الطريق الذي يبدأ من أسيوط من مصر عبر الواحات الخارجة إلى واحة سليمة ثم دنقلا.
- 2- الطريق الذي يبدأ من أسيوط أو اسنا أو أسوان ويستمر مازيا النيل حتى دنقلا.
- 3- الطريق من دنقلا بمحاذاة النيل حتى كورتى ثم إلى بربر عبر الصحراء ثم مناطق الجعليين حتى الحلفاية.
- 4- الطريق من دنقلا بمحاذاة النيل عبر مناطق الشايقيه البديريه الرباطاب حتى الحلفايا.
- 5- طريق سواكن مصوع حتى سنار.
- 6- طريق سواكن بربر.
- 7- طريق بربر المتممة الحبشة.

(91) نفسه، ص 99.

(92) نفسه، ص 101.

(93) نفسه، ص 112.



8- طريق شندى عطبره والبطانة.

9- طريق الأربعين.

10- طريق أبو حمد كورسكو وهو يأرق النيل عند أبو حمد ويصل إلى النيل مرة أخرى في جنوب مصر وهو يتفادى بذلك الانحناء الكبيرة في النيل.

11- طريق أبو حمد سواكن.

#### هـ- الضرائب والخراج :

انشأ السلطان السنارى الضرائب لأول مرة كما يقول كاتب الشونة بما فيها زكاة الفطر والتي كانت تدفع في أغلب الأحيان عينية في شكل دمر أو حيوانات أو من المحصول بخاصة في الريف والبادية البعيدة عن مراكز التجارة وقد كان الساكان يدفعون ضرائب متباينة حسب تباين أنماط معيشتهم ففي المنطقة الشمالية حيث الزراعة المروية بلغت الضرائب نصف محاصيل الجروف وخمس السواقي وعشر محاصيل الاراضى المطرية إما في المنطقة الوسطى الرعوية فالضرائب عشر القطعان والماشية وفي الجنوب حيث يتوفر الذهب والعاج الذى يجب على الرعية تسليمه للسلطنة التى تعطيهم تعويضا مقابل ذلك<sup>(94)</sup>. وأول ضريبة فرضها الفونج على القبائل هي ثورات العسكر ويقول ود ضيف الله وكان الفونج أول ملكهم فرضوا على قبائل العرب ثورات العسكر كل قبيلة عمار لبن وناس معلومين ينفقونهم الفطير<sup>(95)</sup>.

استعمل الفونج كلمة خراج لكل ما يدفع للحاكم الذى يعتبر مالك الأرض والمترف فيها<sup>(96)</sup>. وقد اقطع السلطان بادی بن نول قطعة ارض للدواليب صدقة. وكذلك اقطع

<sup>(94)</sup> Spaulding, j.l.:opcit, p.97.

<sup>(95)</sup> ويقول يوسف فضل محقق كتاب الطبقات الثورة عبارة عن ضريبة يدفعها سكان القرية للجند الذين يحلون في ديارهم في شكل وجبات طعام (محمد النور بن ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل، ص 81 هامش 14).

<sup>(96)</sup> محمد إبراهيم أو سليم، الفونج والأرض، ص 33.

بادى بن دكين إقليمًا كاملاً لزعيم الشكرية<sup>(97)</sup>. ويشير أبو سليم إلى حوالي أربعة عشر نوعاً من الالتزامات والضرائب بعضها ضرائب خراجية وبعضها هدايا للسلادة وبعضها عقوبات وقسم هذه الضرائب إلى ثلاثة أنواع الشرور والسبل والمضار وحرص على الإشارة عليها مجتمعة<sup>(98)</sup>. ودائماً ما يذكر الكتاب أن الأرض المتصرف فيها سالمة من جميع الشرور والسبل والمضار وأحياناً يسقط الكتاب المضار وربما يعنى هذا تداخل المضار والشرور مع بعضهما البعض وتقسم هذه الأنواع إلى:

### 1-الدم:

يقول أبو سليم هو الذبيحة التي يقدمها مالك الأرض للحاكم وأعوانه إذا قدموا إليه لكننى اعتقد أن الدم هو الدية فى حالة جريمة القتل والدليل ما ذكره صاحب الطبقات: إن رجلاً قتل أحد الصادات ثم ذهب واحتفى بالشيخ بدوى أبو دليق فقال مطاردوه الشيخ بدوى (حوارنا يمسك سيد دمننا)<sup>(99)</sup>

### 2-العليقه:

عبارة عن حزمة القش تعطى لدواب الحاكم وأعوانه.

### 3-غلة:

عبارة عن عيش يقاس بالبرمه والبرمه تسع ربع المتره: ضريبة خاصة لجيب السلطان.

### 4-العانة:

هى إعانة مالية تقدم للحاكم فى المناسبات السعيدة.

<sup>(97)</sup> نفسه، نفس الصفحة.

<sup>(98)</sup> نفسه، ص 31-33.

<sup>(99)</sup> محمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 122.

## 5- نزول :

اي إن ينزل الحاكم وأعوانه على مالك الأرض ويتبع ذلك دفع ضرائب والضيافة وقد أوضحت الوثيقة رقم 18 معنى الضيافة إذ تقول ولا نزول ولا ضيافة من ناس قرى أو ناس سنار ولا يغشاهم أحد في حلتهم<sup>(100)</sup>.

## 6- سنسنة:

وتعرف أحياناً بالكسرة والمقصود بها الإطعام.

## 7- المخلا أو المخلايه:

ضريبه غلال تدفع لخيل فرسان السلطان.

## 8- تورات:

وقد فسرها البروفيسور عبد الله الطيب بأن التورات جمع توره من التتوير وهي حرث الأرض أي أنها ضريبة تدفع أول الحرث أو هي نوع من السخرة أو تسمين وتربية البهائم وهو يرجح الاحتمال الأخير لأن أهل الجزيرة يستعملون اللفظ بهذا المعنى<sup>(101)</sup>.

## 9- الجباية :

العوائد التي تدفع عن الأرض.

## 10- الحسب:

غرامة معينة يؤديها الرجل كدية أو تأديب.

## 11- السبلة:

هي أعانه تقدم للحاكم عندما يقيم مأتما.

<sup>(100)</sup> محمد إبراهيم أبو سليم، الفونج والأرض، ص 32.

<sup>(101)</sup> محمد إبراهيم أبو سليم، الفونج والأرض، ص 32.

- 12- إذا قتل الاهالى فرس البحر فإنهم يدفعون ضريبة صيد<sup>(102)</sup>.
- 13- يقوم الشيخ (السيد) بإشعال أولى الحرائق لتنظيف الأرض ويأخذ ضريبة على ذلك.
- 14- الملك وحده هو الذى يملك الحق فى إقامة السوق أو تسيير المراكب النهرية وعلى كل من يستفيد من هذه الخدمات دفع رسوم معلومة<sup>(103)</sup>.
- 15- السخرة :
- هى ضريبة عامة تشمل مبلغا يحدد ملك سنار يفرض على جميع حكام الأقاليم وتوزيع بنسب معينة على خزائنة السلطان والوزراء ومن يقوم بخدمة السلطنة<sup>(104)</sup>.
- 16- ألانا :
- ضريبة على الأقمشة القطنية والمصنوعة محليا.
- 17- النار :
- هى غرامة تفرض على القرى التى يشب حريق قريب منها.
- 18- السلام :
- هى الهدايا التى يقدمها التجار الوافدون على العاصمة<sup>(105)</sup>.
- 19- الضحوة :
- وهى إن يعمل المستأجرون بأرض الشيخ فترة من اليوم بلا مقابل وفى الحالات التى يعجز فيها الرجال عن العمل عند صاحب الأرض بسبب أعمالهم الخاصة على كل شخص إن يدفع قرشا أو قرشين بدلا عن عملة وكان الأشخاص الذين يقومون بهذا العمل الرقيق.

(102) عبد السلام سيد احمد: مرجع سبق ذكره، ص32.

(103) نفسه، نفس الصفحة.

(104) الشاطر بصيلى: تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط، ص266.

(105) مصطفى محمد مسعد: بعض ملاحظات جديدة عن مملكة الفونج، ص31.



20- قيراط:

هو ما يحصله زعيم القبيلة عينا من الزراعة التى يقوم بها الأجانب<sup>(106)</sup>.

مما تقدم يتضح إن عامة السكان فى سنار كانوا يدفعون ضرائب متنوعة لحكامهم تمثلت فى دفع ضرائب للسلطان المحلية (الملك أو الشيخ) وضرائب للسلطان مقدرة بحصص ثابتة. واتسم جمع الضرائب باللين فى جبايتها على الفقراء وبعضهم يعفى منها لان السلطنة لم تكن تحتاج لنفقات دخل مستمرة لمواجهة مصروفاتها<sup>(107)</sup>. هذه التقديرات مورثة عن عهود سحيقة وتطورت إلى عدة مراحل حتى وصلت إلى هذه الصورة.

(106) الشاطر بصيلى: معالم تاريخ السودان وأدى النيل ص 264.

(107) محمد سعيد القدال: مرجع سبق ذكره، ص 82.



- الخاتمة

- المراجع

- الملحق



## الخاتمة

الإسلام ظاهرة حضارية متكاملة متداخلة جاءت إلى السودان فى وقت كانت فيه فعلا هذه المنطقة مستعدة لتقبل تغيير جذرى. فقد اعتنق السودانيون هذا الدين الجديد منذ بداية اتصالهم كأفراد. وما نعرفه عن انتشار الإسلام فى السودان جاء بلا سلطة سياسية تعضده وبلا حركة تبشيرية تسنده، بل جاء وانتشر تلقائيا بين الأفراد والجماعات ولدينا شواهد كثيرة عن وجود المسلمين كأفراد بين المحيط السودانى، سواء النوبى المسيحى أو البيجاوى الوثنى ففى شرق السودان تشير بعض الوثائق التاريخية إلى أن بعض البجا اسلموا وكان عمال أمير المؤمنين يدخلون بلادهم لجمع أموال الزكاة وكانت لهم مساجد.

لقد أمدتنا الآثار بمؤشرات تقود إلى أن النوبيين أنفسهم قاموا بالتحول نحو الإسلام وبدأوا فى نشر هذه العقيدة الجديدة فقد كشفت الحفريات الأثرية عن وجود أفراد مسلمين فى وسط مسيحى صميم.

هناك أدلة أثرية تشير إلى أن هذا التحول التدريجى شمل فى أواخر أيامه مراكز القيادة المسيحية الروحية. فقد أشارت الحفريات الأثرية إلى أن مدينة فرس والتى كانت احد العواصم الدينية هجرت ودفنت كنائسها الرمال.

منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادى ثبت بأنه فى منطقة النوبة لم يعثر على اى كنيسة تحولت إلى مسجد<sup>(1)</sup> بل أن هذه الكنائس على كثرتها تهدمت ودفنت.

أن هذه المشاركة الإسلامية من جانب النوبيين تعدت إلى المشاركة فى الحركة الفكرية فمثلا يزيد بن أبى حبيب الذى تولى رئاسة القضاء فى مصر فى زمن الخليفة

(1) وهذا ما أثبتته الباحث عندما تحدث عن المساجد فى السودان.



عمر بن عبد العزيز هو نوبى الأصل ومن دنقلا، وذو النون المصرى الذى كان من ابرز متصوفى الرعيل الأول فى العالم الاسلامى كله هو نوبى كذلك.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المصادر تشير إلى كثرة الجند النوبية فى القاهرة حيث بلغوا عشرات الآلاف حتى ضاقت بهم المساجد.

هذه إشارة واضحة إلى مدى انتشار الإسلام بين النوبيين أنفسهم وهذا يقودنى إلى استخلاص حقيقة هى أن الشخصية السودانية آنذاك كانت فى طور تقبل لمثل هذا التحول الذى شمل كل مناسط الحياة واعتقد أن هذا التقبل ساعد فى جذب القبائل العربية إلى السودان.

أن الإسلام بنظمه وثقافته استطاع التعايش مع المسيحية واليهودية والوثنية. وفى الخاتمة نقول أن السودان بتكويناته وموقعة الجغرافى قد جذب انتباه العالم منذ القدم تعددت الكتابات والآراء حول ماهيته وأصله.

وقد كتب كل كاتب حسب مناظير ومفاهيم عصره وحسب اعتقاده وقد حاولنا قدر المستطاع لفت النظر إلى هذا الجانب الهام باحثين عن موقعنا وذاتنا.

ومن خلال استعراضنا السابق حاولنا أن نتتبع السودان والسودانى عبر مسيرة متواصلة من التطور عبر مئات السنين كمجموعات إنسانية حيه متحركة بذاتها المستقلة وشخصيتها الواضحة القوية.

ثم أن للسودان دور طبيعى هام كأحد المداخل التى أطلت من خلاله القارة الأفريقية للعالم الخارجى فلم يكن السودان معبرا أو قنطرة للتيارات الحضارية إلى أفريقيا فقط بل كان بوتقة انصهرت فيها شتى هذه الحضارات فى صياغة جديدة وفوق ذلك كان للسودان دورة الذاتى فى توليد وإثراء التيارات وفى حركتها وكان دورا ايجابيا.

## المصادر والمراجع

### ❖ الرسائل الجامعية:

- 1- عبد الرحمن حسب الله: العلاقات بين بلاد العرب وشرق السودان، مصر، القاهرة، 1979م، رسالة ماجستير (غير منشورة).
- 2- نسيم مقار: أحوال السودان الاقتصادية قبل الفتح المصري، مصر، القاهرة، جامعة القاهرة، 1956م، رسالة ماجستير (غير منشورة).

### ❖ المصادر:

- 1- ابن فضل الله العمرى: (ت 742هـ - 1341م) التعريف بالمصطلح الشريف، مصر، القاهرة، 1312هـ - 1911م.
- 2- ابن ضيف الله بن محمد الجعلى الفضلى: الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان، لبنان، بيروت، نسخة إبراهيم صديق.
- 3- أبو الحسن على بن الحسين المسعودى: (ت 346هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محى الدين عبد المجيد، مصر، القاهرة، مطبعة السعادة، 1984م.
- 4- أبو العباس أحمد القلقشندي: (ت 821هـ - 1418) صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، مصر، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1331هـ - 1913م).
- 5- أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقى: (ت 774هـ - 1373م) البداية والنهاية، لبنان، بيروت، دار الثقافة العلمية، 1408هـ - 1988م، 12 جزء.

- 6- أبو القاسم إبراهيم محمد الفارسي الاصطخرى: عاش فى القرن الرابع عشر الهجرى - العاشر الميلادى، المسالك والممالك، مصر، القاهرة، مطابع دار القلم، 1961م.
- 7- أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم: (ت 276هـ - 875م) ففتح مصر وإخبارها، هولندا، لندن، 1920م).
- 8- أبو القاسم محمد بن حوقل: صورة الأرض، هولندا، لندن، نشر كرامرز، 1930م، جزئين.
- 9- أبو صالح الامنى: (ت 601هـ - 1200م) تاريخ الشيخ أبو صالح، مصر، القاهرة، نشر ايفت، 1893م.
- 10- أبو عبد الله محمد اللواتى الطنجى: (ابن بطوطة) مهذب رحلة ابن بطوطة، مصر، القاهرة، المطبعة الأميرية ببولاق، 1934م.
- 11- أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى: (ت 310هـ - 923م) تاريخ الأمم والملوك، لبنان، بيروت، 1407هـ - 1978م، 14 جزء.
- 12- أحمد بن الحاج أبو على: مخطوطة كاتب الشونة، فى تاريخ السلطنة، والإدارة المصرية، تحقيق الشاطر بصلى، مصر، القاهرة، وزارة الإرشاد القومى، 1961م.
- 13- أحمد بن الحاج أبو على: تاريخ ملوك السودان، تحقيق مكى شبيكه، السودان، الخرطوم، مطبوعات كلية غردون التذكارية، 1947م.
- 14- أحمد بن إسحاق بن جعفر اليعقوبى: (ت 292هـ - 887م) تاريخ اليعقوبى، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م.

- 15- أحمد بن إسحاق بن جعفر اليعقوبى: البلدان، هولندا، لندن، نشر دى خوية، 1891م.
- 16- تقى الدين أحمد بن على المقرئى: (845هـ - 1441م) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق الدكتور محمد زينهم والدكتورة مديحه الشرقاوى، مصر، القاهرة، مكتبة مدبولى، 1998م.
- 17- تقى الدين أحمد بن على المقرئى: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مصر، القاهرة، 1943م.
- 18- شهاب الدين أحمد النويرى: (ت 723هـ - 1323م) نهاية الأدب فى فنون الأدب، مصر، القاهرة، مخطوطة مصورة، بدار الكتب المصرية، معارف عامة رقم 549.
- 19- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: (ت 808هـ - 1406م) العبر وديوان المبتدأ والخبر، مصر، القاهرة، 1274هـ - 1857م.
- 20- محمد النور بن ضيف الله: الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان، تحقى يوسف فضل حسن، السودان، الخرطوم، 1992م.
- 21- محمد عمر التونسى: تشحيز الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل محمد عساكر ومصطفى محمد مسعد، مصر، القاهرة، بدار المصرية للتالى والترجمة 1865م.
- 22- نعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان، لبنان، بيروت، مطبعة دار الثقافة، 1972م، ثلاثة أجزاء.
- 23- مؤلف مجهول: مخطوطة تاريخ قلاوون، تشرىف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور (قلاوون) مخطوطة بالخزانة التيمورية 426م.



❖ المراجع:

- 1- إبراهيم احمد العدوى: التاريخ الاسلامى إفاقة السياسية وإبعاده الحضارية، مصر، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، 1976م.
- 2- إبراهيم الحارثي: الرباط الثقافي بين مصر والسودان، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الأولى، 1977م.
- 3- أبو العلا عفيفي: التصوف الثورة الروحية فى الإسلام، مصر، القاهرة، دار المعارف، 1963م.
- 4- أحمد الحفنى: الجواهر الحسان فى تاريخ الحبشان، مصر، القاهرة، مكتبة بولاق، 1321هـ - 1922م.
- 5- أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، مصر، القاهرة، الدار المصرية للكتاب، 1960م.
- 6- أحمد عبد الرحيم نصر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم الشفاهية، السودان، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، 1964م.
- 7- أحمد محمد على حاكم: هوية السودان الثقافية، السودان، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم، للطباعة والنشر، 1990م.
- 8- أسماء حسن فهمى: مبادئ التربية الإسلامية، مصر، القاهرة، 1947م.
- 9- ألان مورهد: النيل الأزرق، ترجمة إبراهيم عباس، لبنان، بيروت، دار الثقافة، الطبعة الأولى، 1969م.
- 10- التجانى عامر: السلالات العربية فى النيل الأبيض، السودان، الخرطوم، الدار السودانية للكتب، 1390هـ - 1971م.

- 11- الشاطر بصيلي عبد الجليل: تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع الى القرن التاسع عشر الميلادي، مصر، القاهرة، النهضة العامة للكتاب، 1972م.
- 12- الشاطر بصيلي عبد الجليل: معالم تاريخ السودان وادي النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر، مصر، القاهرة، مطبعة أبو فاضل 1955م.
- 13- الشيخ الأمين محمد عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطانتين الإسلاميتين مالى وصونغى، السعودية، جدة، المجمع العلمى، الطبعة الأولى، 1979م.
- 14- الطيب محمد الطيب: المسيد، السودان، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1991م.
- 15- بور كهاردت جيمس لويس: رحلات بوركهاردت فى بلاد النوبة، ترجمة فؤاد اندراوس، مصر، القاهرة، 1959م.
- 16- توماس ارنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن وآخرون، مصر، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، 1947م.
- 17- جيوفانى فانتينى: تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية، السودان، الخرطوم، الطبعة الأولى، 1978م.
- 18- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، مصر، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، 1964م.
- 19- حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية، مصر، القاهرة، دار النهضة المصرية، الطبعة الثانية، 1963م.

- 20- حسن محمد الفاتح قريب الله: التصوف في السودان في نهاية عصر الفونج، السودان، الخرطوم، آداب جامعة الخرطوم، 1987م.
- 21- حلیم اليازجی: السودان والحركة الأدبية، لبنان، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية، 1985م.
- 22- راشد البراوی: حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مصر، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، 1948م.
- 23- رتشارد هل: على تخوم العالم الاسلامي (حقبه في تاريخ السودان، 1822-1841م) ترجمة عبد العظيم محمد عكاشة، لبنان بيروت، الطبعة الأولى، 1987م.
- 24- رجب محمد عبد الحلیم: العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى، مصر، القاهرة، مكتبة مدبولی، الطبعة الأولى، 1985م.
- 25- زاهر رياض: السودان المعاصر، مصر، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، 1966م.
- 26- سر الختم عثمان: العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى، السودان، الخرطوم، آداب جامعه القاهرة، 1969م.
- 27- سر الختم عثمان: أولاد جابر، الأمانة العامة للشئون الدينية السودان، الخرطوم، 1974م.
- 28- شوقي عطا الله الجمل: تاريخ السودان ووادی النيل (حضارته وعلاقته بمصر) مصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1969م.
- 29- صلاح الدين الشامي: الموانئ السودانية، مصر، القاهرة، مكتبة مصر، 1961م.

- 30- ضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل مصر والسودان، السعودية، الرياض، مكتبة التوبة، الطبعة الأولى (1412هـ - 2001م).
- 31- ضرار صالح ضرار: تاريخ السودان الحديث، السعودية، جدة، مطابع سحر، 1989م.
- 32- عبد الحميد متولى: تطور نظم الحكم في السودان منذ أقدم العصور، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1969م.
- 33- عبد الرحمن عبد الخالق: الفكر المصرفي في القرآن الكريم والسنة، الكويت، مكتبة دار الفحاء، 1994م.
- 34- عبد السلام سيد احمد: الفقهاء والسلطنة في سنار، ألمانيا، براغ، 1991م.
- 35- عبد العزيز أمين عبد المجيد: التربية في السودان في القرن التاسع عشر، مصر، القاهرة، 1949م ثلاثة أجزاء.
- 36- عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان، لبنان، بيروت، دار الثقافة، 1967م.
- 37- ضرار صالح ضرار: من الأدب الشعبي السوداني، السودان، الخرطوم، الدار السودانية للكتاب.
- 38- عز الدين الأمين: قرية كترانج وإثرها العلمي في السودان، الخرطوم، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، الطبعة الأولى، 1975م.
- 39- عطية القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام وحتى الخلافة العباسية، مصر، القاهرة، دار النهضة للنشر، 1976م.
- 40- عون الشريف قاسم: قاموس اللهجة العامية في السودان، مصر، القاهرة، المكتب المصري الحديث، الطبعة الثانية، 1405هـ - 1985م.



41- عون الشري قاسم : التماذج القومية في السودان، السودان، الخرطوم، الطبعة الأولى، 1990م .

42- على إبراهيم حسن: تاريخ الممالك البحرية، مصر، القاهرة، 1944م.

43- فيليب حتى: تاريخ العرب المطول، لبنان، بيروت، دار الكشف، 1965م.

44- فيليب درفلة: العلاقات التاريخية بين الجمهورية العربية وجمهورية السودان، مصر، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، 1965م.

45- قيصر موسى الذين: فترة انتشار الإسلام والسلطنات (641 هـ - 1821م) السودان، الخرطوم.

46- محمد إبراهيم أبو سليم: الفونج والأرض (وثائق تملك) السودان، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1967م.

47- محمد إبراهيم أبو سليم: تاريخ الخرطوم، لبنان، بيروت، دار الجيل، 1971م.

48- محمد إبراهيم أبو سليم: الساقية، السودان، الخرطوم، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، الطبعة الأولى، 1980م.

49- محمد زكي المسير: اقتصاديات النقود، مصر، القاهرة، دار النهضة المصرية، 1985م.

50- محمد سعيد القدال: تاريخ السودان الحديث، 1821م-1955م، السودان، الخرطوم، شركة الأمل للطباعة والنشر، 1993م.

51- محمد سليمان محمد: دور الأزهر في السودان، مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م.

52- محمد صالح ضرار: تاريخ شر السودان (ممالك البجة قبائلها وتاريخها) مصر، القاهرة، مكتبة ابكس، 1992م.

- 53- محمد صالح محي الدين: مشيخه العبدلاب وإثرها في تاريخ السودان السياسي (910هـ - 1236هـ، 1504م - 1821م) السودان الخرطوم، الدار السودانية للكتب، الطبعة الأولى، 1392هـ - 1972م.
- 54- محمد عوض محمد: السودان الشمالي سكانه وقبائله، مصر، القاهرة، لجنة التالي والترجمة، الطبعة الأولى 1951م.
- 55- مصطفى محمد مسعد: الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، مصر، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، 1960م.
- 56- مصطفى محمد مسعد: المكتبة السودانية العربية، السودان، الخرطوم، مطبوعات جامعة القاهرة، 1972م.
- 57- مكي شبكه: السودان عبر القرون، لبنان، بيروت، دار الثقافة 1991م.
- 58- مكي شبكه: مملكة الفونج الإسلامية، مصر، القاهرة، معهد الدراسات العربية، 1963م.
- 59- نسيم مقار: الرحالة الأجانب في السودان (1730م - 1851م) مصر، القاهرة، مذكرة الدراسات السودانية، 1995م.
- 60- ونكولز: الشايقيه: ترجمة عبد المجيد عابدين، السودان، الخرطوم، الدار السودانية للكتب، 1972م.
- 61- هولت: الأولياء والصالحون والمهدية في السودان، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1971م.
- 62- يوسف فضل حسن: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي (1450م - 1821م) السودان، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1981م.
- 63- يحيى محمد إبراهيم: تاريخ التعليم الديني في السودان، لبنان، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى، 1401هـ - 1987م.

❖ البحوث المنشورة في المجلات العلمية (الدوريات):

- 1- إبراهيم عبد الرازق: التعليم في السلطنة الزرقاء، مجلة العمل، السودان، الخرطوم، عدد 1، سبتمبر 1966م.
- 2- أحمد إبراهيم دياب: الهوية السودانية عبر التاريخ، السودان، الخرطوم، عدد 3، ربيع الثاني، 1423هـ - يونيو 2002م.
- 3- أحمد محمد علي حاكم: علاقات الجزيرة العربية بالسودان في زمن الخلفاء الراشدين، مجلة الدراسات الأفريقية، السودان الخرطوم، العدد الأول، 5 رجب 1405هـ - 1985م.
- 4- بركات موسى الحواتي: جبهة وريثة راس الرمح العربي الاسلامي في السودان، مجلة الخرطوم، السودان، الخرطوم، العدد الرابع، رمضان 1413- يونيو 1993م.
- 5- حسن مكي محمد احمد: من مضامين الثقافة السنارية، مجلة الدراسات الأفريقية، السودان، الخرطوم، العدد الثامن، ديسمبر 1991م.
- 6- عبد العزيز كامل: وجهة السودان دراسة حضارية مقارنة، مجلة الدراسات السودانية، السودان، الخرطوم، العدد الأول، المجلد الثاني، مارس 1970م.
- 7- عون الشريف قاسم: السودان في حياة العرب وآدابهم، مجلة الدراسات السودانية، السودان، الخرطوم، العدد الأول، المجلد الأول يوليو 1968م.
- 8- محمد ربيع القمر: قراءة جديدة في اتفاقية البقظ، السودان، الخرطوم، العدد الثاني، 1416هـ.
- 9- مصطفى محمد مسعد: بعض ملاحظات جديدة حول تاريخ مملكة الفونج الإسلامية، مجلة جامعة القاهرة السودان الخرطوم. العدد الثالث، 1973م.

- 10- صلاح محي الدين الشيخ: الشيخ عجيب المانجلك، مجلة وزارة الشباب والرعاية الاجتماعية، السودان، الخرطوم 1975م.
- 11- صلاح محي الدين الشيخ: مخطوطة تاريخية عن ملوك السودان، مجلة الخرطوم، السودان، الخرطوم، العدد الرابع، يناير 1968م.
- 12- يوسف فضل حسن: القتل الطقسي عند الفونج، مجلة الدراسات السودانية، السودان الخرطوم، العدد الأول، المجلد الثاني، 1970م.

❖ المراجع الأجنبية:

- 1- *Arkell. A. J:* History of the Sudan, London, 1961.
- 2- *Arkell. A. J:* More of About Fung Origins, London S.N.R. Xxv. 1961.
- 3- *Alravez, F:* Narrative of the Poruguese Embassy to Abyssinia, London, 1881.
- 4- *Bloss, J. F. E.* The Story of Suakin. Sn & R. No19. 1939.
- 5- *Bruce, J:* Travels To Discover The Source of The Nile In The Years 1768 – 1773, 6 Vils, Edindurgh, 1790.
- 6- *Crow Ford, O. G. S.:* The Stone Tombs of the N. E. Sudan, Kusj, No 2, 1954.
- 7- *Crow Ford, O. G. S.:* The Fung Kingdom Of Sennar, Cloucester 1951.
- 8- *Crow Foot, J. W:* Christian Nubia, Jea 1927 XIII.



- 9- *Mac Michael, H. A.*: A History of the Arabs in the Sudan  
Cambridge 1922, 2 Vols.
- 10- *Mundur Al Mahdi*: A Short History of the Sudan, London, 1951.
- 11- *Nadler, L. F.*: Fung Origins, Snr, Xiv, Par 1, 1931.
- 12- *Paul, A.*: A History of the Beja Tribes of the Sudan, Cambridge  
1954.
- 13- *Spaulding, J. L.*: The Heroic Age of Sennar, London, 1985.
- 14- *Terrance Walz*: The Trade Between Egypt And Bilad As  
Sudan. 1700-1829, Boston University, 1975.
- 15- *Trimingham, J. S.*: Islam in the Sudan, London 1949.
- 16- *Umar Al Nagar*: The Pilgrimage Tradition In West Africa,  
Sudan, Khartoum University Press 1971.
- 17- *Yousf Badri*: A Survey of Islamic Learning in the Fung State  
Oxford. 1970.
- 18- *Yousf Fadi Hassan*: The Arabs and the Sudan, Khartoum  
University Press, 1979.

## ملحق الملاحق

### ملحق رقم (1)

هجرة القبائل العربية إلى مصر، ومنها إلى السودان<sup>(1)</sup>

أولاً: القبائل القحطانية :

■ بنو جزام :

سكن بنو جزام الحوف منذ الفتح العربى لمصر حتى سنة 1400م، ومنهم بنو عبه الذين انفصلوا عن بقية الجزامين ليلحقوا ببني هلال فى شمال أفريقيا. وقد اضمحل شأن جزام زمن صلاح الدين (1171م) وحلت محلها طى.

■ بنو طى :

هبط بنو طى مصر عقب الفتح الربى لها بنحو قرنين أو ثلاثة، وسكنوا جهات الدلتا المختلطة، حيث لحق بهم عدد كبير من أهليهم ومن طى بنو ثعلبة.

بلى : إن بلى فرع من قضاعه من حمير، جاءوا مصر مع الفتح العربى وقد قام نزاع بينهم وبين جهينة ثم تم الصلح بينهما. واستقرت بلى فى صحراء عيزاب وسكن بعضهم جهات أخميم.

<sup>(1)</sup> macmichael, h . a.: a history of he arabs in he sudan 2vols. Cambridge, 1922

## ■ جهينة :

سكنت جهينة جنوبى ينبع، ثم دخلوا مصر مع الفتح، واشتركوا مع ربيعة حملة العرب على البجا حوالى منتصف القرن التاسع الميلادى وانتقل معظمهم إلى الصعيد واشتركوا فى الحملات على النوبة.

## ■ لخم :

فرع من طى، أسسوا مملكة الحيرة 286م ونشب نزاع بينهم وبين غسان وبنى بكر وبنى تميم وغيرهم من عرب سوريا. اعتنقوا المسيحية فى نهاية القرن الخامس الميلادى وانتهى حكمهم بالحيرة عقب ظهور الإسلام. ومن بطون لحم، يشكر الذين جاءوا مع الفتح العربى لمصر واستقروا فى الجبل الذى يعرف باسمهم (جبل يشكر) ثم لحقت بهم بطون أخرى فى القرنين السابع والثامن الميلاديين. واستقروا حول الإسكندرية وفى القرنين الرابع عشر والخامس عشر استقر كثير من بطون لخم فى إقليم الصعيد.

## ثانيا : القبائل العدنانية:

## ■ كنانة وقريش :

ومن هؤلاء أولاد عدى بن كعب وبنو مخزوم وبنو أمية وبنو العباس وغيرهم. وجاءت إلى مصر أعداد كبيرة منهم مع الفتح العربى لها.

والمعروف إن معظم ولاية مصر من قريش. سكن كثير منهم الصعيد بجوار عرب جنينه. وفى نهاية القرن العاشر غادر جماعة من سلالة جعفر بن أبى طالب مكة واستقروا فى مصر بين قوص وأسوان - حيث عرفوا باسم الإشراف الجعافرة.

## ■ قيس عيلان:

استقدم عبد الله بن الحبحاب صاحب الخراج في مصر سنة 737م إعداد وفيرة من قيس عيلان الذين يسكنون نجد ومنح بعض عائلاتهم أرضا حول بلبس وجمعوا روه طائفة من نقل المتاجر بين البحر وداخل البلاد ولهذا لحق بهم عدد كبير من أقاربهم حتى بلغ عددهم في عام واحد 1500 أسرة معظمهم من بنى سليم، وهو بطن من قيس عيلان وقد قام هؤلاء بعدة ثورات ولم تقتصر على إقليم الحوف، بل امتد شررها حتى شمل معظم جهات الدلتا (802 - 808م).

## ■ فزاره:

ينسب إلى فزاره معظم رعاة الإبل غربى النيل الأبيض وكانوا يمثلون أيام الفتح العربى لمصر شعبة مستقلة عن غطفان. وعلى هذا فإنهم يرجعون إلى قيس عيلان. كانوا ينزلون حول مكة. ثم هاجرت جماعات منهم إلى مصر فى القرن السابع الميلادى ولحق بهم أقاربهم فى القرن الحادى عشر الميلادى مع بنى هلال.

## ■ بنو هلال وبنو سليم:

وهم فرع من قيس عيلان، وتشمل بطونا من هوازن وعكرمة. انفصل بنو هلال عن القبيلة الأصلية فى زمن متقدم. وفى بداية القرن كانوا يسكنون مع أقاربهم بنى سليم قرب الطائى. ولما ضعف نفوذ الفاطميين فى بلاد المغرب، أصدر المستنصر بالله سنة 1049م أمرا لبنى هلال بالزحف على بلاد المغرب للقضاء على الروح الانفصالية فيها. وفى سنة 1051م نزع كثير من بنى هلال وبنى سليم وبنى قيس، ومعهم بنو قرّة، إلى شمال أفريقيا، وغزوا تونس وطرابلس، وحتى زمن ابن خلدون 1332م - 1405م وكذلك ليو الافريقى 1552م لم نعد نسمع عن بنى هلال شيئا فى بلاد المغرب، وبدأنا نسمع عن وجودهم فى الجنوب ولاسيما بعد حملة السلطان قلاون على دنقلا سنة 1287م.



ويذكر ابن خلدون أنهم يسكنون صعيد مصر. ويذكر المقرئ أنهم كثيرون حول أسوان وفي الصحراء الشرقية حتى عذاب. وهناك من الأدلة ما يثبت إن من بنى هلال من نزع إلى السودان.

### « ربيعة وبنو كنز »

إن الوطن الاصلى لربيعة في الحجاز ومرتفعات نجد وتهامة. هاجر كثير من عرب ربيعة إلى بلاد الجزيرة في القرن الخامس الميلادي حيث اعتنقوا المسيحية في القرن السابع الميلادي. وفي سنة 854م. بدأت هجرتهم الكبرى إلى مصر ثم اندفعوا جنوبا واستر عدد كبير منهم حول أسوان وشمال النوبة، وانضموا إلى جبهة في حملاتهم ضد البجة. واستقر كثير منهم في أرض البجة للعمل في المعادن. كان زعيمهم في هذا العهد (القرن التاسع الميلادي) إسحاق بن بشر. ثم انتقلت الزعامة إلى يزيد بن إسحاق الذي فضل الإقامة في أسوان. وبهذا انتقل مركز القبيلة من العلاقي إلى السودان حيث اختلطوا بالنوبيين وتزوجوا من بنات رؤسائهم، فأضحت لهم مصالح مادية في بلاد النوبة.

ومن هؤلاء بنو كنز وهم من ربيعة. عرفوا بهذا الاسم زمن الحاكم بأمر الله الفاطمي. ول هؤلاء يرجع الفضل في تعريب بلاد النوبة الشمالية تعريبا جزئيا. ولعبوا دورا خطيرا في إسقاط مملكة النوبة المسيحية (مقرة) ثم اندمجوا اندماجا تاما في النوبيين. وهم الذين يعرفون في الوقت الحاضر باسم الكنوز، ويمتد وطنهم من أسوان إلى كرسكو.

## ملحق رقم (2)

## شراء العرب أراضى بالنوبة

- منقول عن المسعودى مروج الذهب، نشر دى مينار ودى كورتل باريس  
(1866-1877م) جزء 3، ص 42-43 :

ولمن بأسوان من المسلمين ضياع كثرة داخلية فى ارض النوبة، يؤدون خراجها إلى ملك النوبة. ابتيعت هذه الضياع من النوبة فى صدر الزمان فى دولة بنى أمية وبنى العباس. وقد كان ملك النوبة استعدى إلى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفدهم إلى الفسطاط، ذكروا عنه إن أناسا من مملكته وعبيده باعوا ضياعا من ضياعهم لمن جاورهم من أهل أسوان وأنها ضياعه والقوم عبيده ولا أملاك لهم وإنما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العاملين فيها. فرد المأمون أمرهم إلى الحاكم بمدينة أسوان ومن بها من الشيوخ أهل العلم وعلم من ابتاع هذه الضياع أنها ستترع من أيديهم، فاحتالوا على ملك النوبة بأن تقدموا إلى من ابتاع منهم من النوبة، أنهم إذا حضروا إلى حضرة الحاكم إلا يقرؤا لملكهم بالعبودية، وإن يقولوا سبيلنا معاشر المسلمين سبيلكم مع ملككم، يجب علينا طاعته وترك المخالفة فإن كنتم انتم عبيد لملككم وأموالكم له فنحن كذلك. فلما جمع بينهم الحاكم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام أو نحو مما وقفوا عليه من هذا المعنى، فمضى البيع لعدم إقرارهم بالرق لملكهم إلى هذا الوقت. وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مريس وصار النوبة أهل مملكة هذا الملك فى نوعين، نوع ممن وصفنا أحرار غير عبيد والنوع الآخر مناهل مملكته عبيد وهم من سكن بالنوبة فى غير هذه البلاد المجاورة لأسوان وهى بلاد مريس.

## ملحق رقم (3)

## التجاء فلول الأمويين إلى بلاد النوبة وبلاد البجة

– عن المسعودي: كتاب التنبية والإشراف نشر دى خويه، لندن، 1897، ص 329-330.

لما قتل مزوان بن محمد بن مروان، تفرقت بنو أمية في البلاد هربا بأنفسهم وقد كان عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، قتل منهم على نهر أبي فطرس من بلاد فلسطين نحوًا من ثمانين رجلاً مثله، واحتذى أخوه داود بن علي بالحجاز فعله فقتل منهم نحوًا من هذه العدة بأنواع المثل. وكان مبع مروان حين قتل أبناءه عبد الله وعبيد الله وكانا ولي عهده، فهربا فيمن تبعهما من أهلها ومواليهما وخواصيهما من العرب ومن انحاز إليهم من أهل خراسان من شيعة بني أمية، فساروا إلى أسوان من صعيد مصر، وساروا على شاطئ النيل إلى إن دخلوا أرض النوبة وغيرهم من الأحباش، ثم توسطوا أرض البجة ميممين باضع من ساحل بحر القلزم فكانت لهم مع من مروا به من هذه الأمم حروب ومغادرات، ونالهم جهد شديد وصبر عظيم، فهلك عبيد الله بن مروان في عده من كان معهم قتلاً وعطشا وضرا. وشاهد من بقى منهم أنواع الشدائد وضروب العجائب. ووقع عبد الله بن مروان في عدة ممن نجا معه إلى باضع من ساحل المعدن وأرض البجة وقطع البحر إلى جده من ساحل مكة، وتنقل يمن نجا معه من أهله ومواليه في البلاد متسترين راضين إن يعيشوا سوقه بعد إن كانوا ملوكا، فظفر بعبد الله أيام أبي العباس السفاح. أودع السجن، فلم يزل فيه بقية أيام أبي العباس وأيام المنصور والمهدى والهادي، فاخرجه الرشيد وهو شيخ ضرير فسأله عن خبرة فقال يا أمير المؤمنين حبست غلاما بصيرا وأخرجت شيخا ضريرا.

#### ملحق رقم (4)

نسب أولاد جابر كما أوردته الشيخ احمد عبد الرحيم الفكي في مخطوطة

(مشرق الثقافة الإسلامية)

غلام الله الركابي هو السيد احمد غلام الله بن السيد عائد أبو الفتح بن السيد  
المقبول بن السيد احمد بن السيد عمر الفريغلي بن السيد محمد التقى بن السيد  
علي التقى بن السيد زامل بن السيد مؤسس الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن الإمام  
محمد الباقر بن السيد علي زين العابدين بن السيد الحسين السبط بن فاطمة الزهراء  
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.



## ملحق رقم (5)

### نص الإجازة التي منحها الشيخ عبد الرحمن

#### بن جابر لتلميذه إبراهيم ولد أم رابعة<sup>(2)</sup>

قال الشيخ بن جابر في إجازته لتلميذه الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين إما بعد إن الأخ الفقيه الشيخ المحترم المتأدب المتواضع إبراهيم بن أم رابعة استحق السيادة والإمامة عندي.

فجعلته قطبا في مكانة ولسانا في عصره وترجمانا في أوانه ومريسا للمريدين وقدوة للمسترشدين وملجأ للفقراء والمساكين مظهر شمس المعارف بعد غروبها فأذنته في كل ما حققه وسمعة منى إن يغشيه ويعلمه الناس وقد أذنت له بإشهارها وإشهار ما يشاء وتشجيع ما أشرنا إليه ومن اطلع على ما فيها أو بلغه شيء من ذلك فليحذر كل الحذر من خراب الباطن وقد أشار الشيخ بن جابر لتاريخ كتابة هذه الإجازة (بتاريخ اثنين وثمانين وتسعمائة من الهجرة النبوية) كما أشار أيضا إلى نسبة بقوله وكتبه (أي الإجازة) الفقير بن جابر الجهني في العرب نسبا وبلغنى أنه ثبت نسبا من ذرية السايح أحمد بن عمر وهو من ذرية عقيل ابن أبي طالب ولكن الأول هو المتواتر من أبنائنا فسبحان الله العالم الموفق للصواب.

(2) أحمد النور بن ضيف الله، الطبقات، ص 104.

## ملحق رقم ( 6 )

البضائع المصدرة من سنار إلى مصر عام 1795م<sup>(3)</sup>

السلعة	مقدارها	الوحدة
العبيد	1.620.000	بالرأس
الجمال	3.805.600	بالرأس
الصمغ	3.942	بالقنطار
العاج	4.599.000	بالقنطار
قرب الماء	126.000	بالزوج
الجلود	379.600	بالواحد
الأسواط	100.000	بالواحد

## السلع الواردة إلى سنار من مصر

السلعة	مقدارها	الوحدة
- المنسوجات :		
قطن	240.000	بالقطعة
القطن الأحمر	43.200	بالقطعة
سلك	148.500	بالقطعة
ملابس صوف جاهزة	148.500	بالقطعة
- المعادن:		
فخار	48.675	بالقطعة
مرايات	240.000	بالقطعة

(3) terrance waiz: the trade between Egypt and bilad as sudan. 1700-1829, bostan university, 1975p25.

## السلع المصدرة من سنار إلى مصر عام 1796م

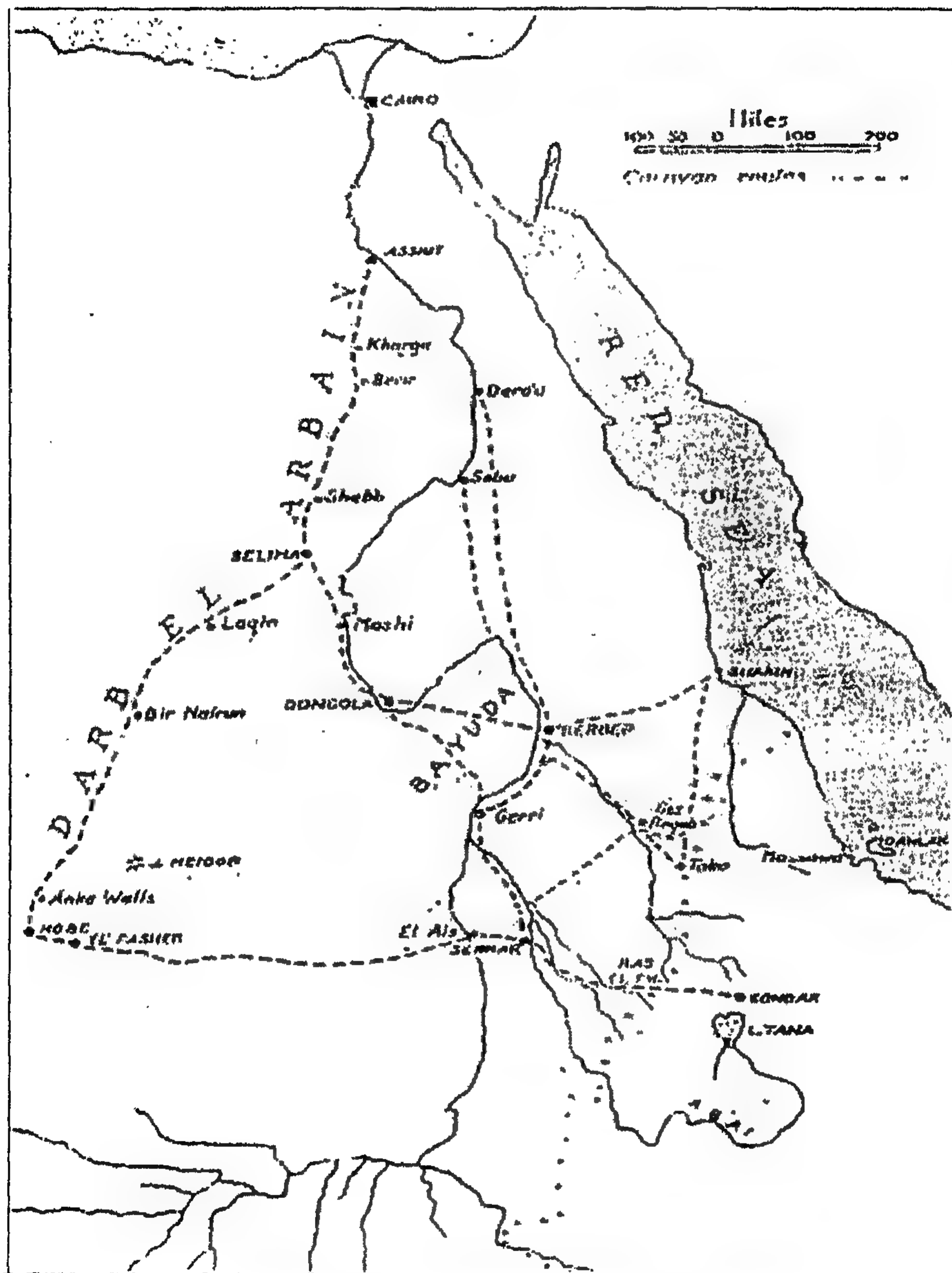
السلعة	مقدارها	الوحدة
العبيد	150-100	بالرأس
سن الفيل	60-45	قنطار زنة 10 رطل
الصمغ	300	قنطار زنة 15 رطل
كرابيج	1500-1000	بالوحدة
قرب من الجلد	100	زوج
تراب الذهب	على شكل حبات وسبائك	لا توجد إحصائية

## السلع المصدرة من مصر إلى سنار عام 1796م

السلعة	مقدارها	الوحدة
صابون	500	قنطار زنة 150 رطل
خشب صندل	2	قنطار زنة 150 رطل
مسك	50	
حرير وارد القسطنطينية	200-100	قطعة
حلي زجاجية صنع أوروبا	100	قنطار زنة 150 رطل

ملحق رقم (7)

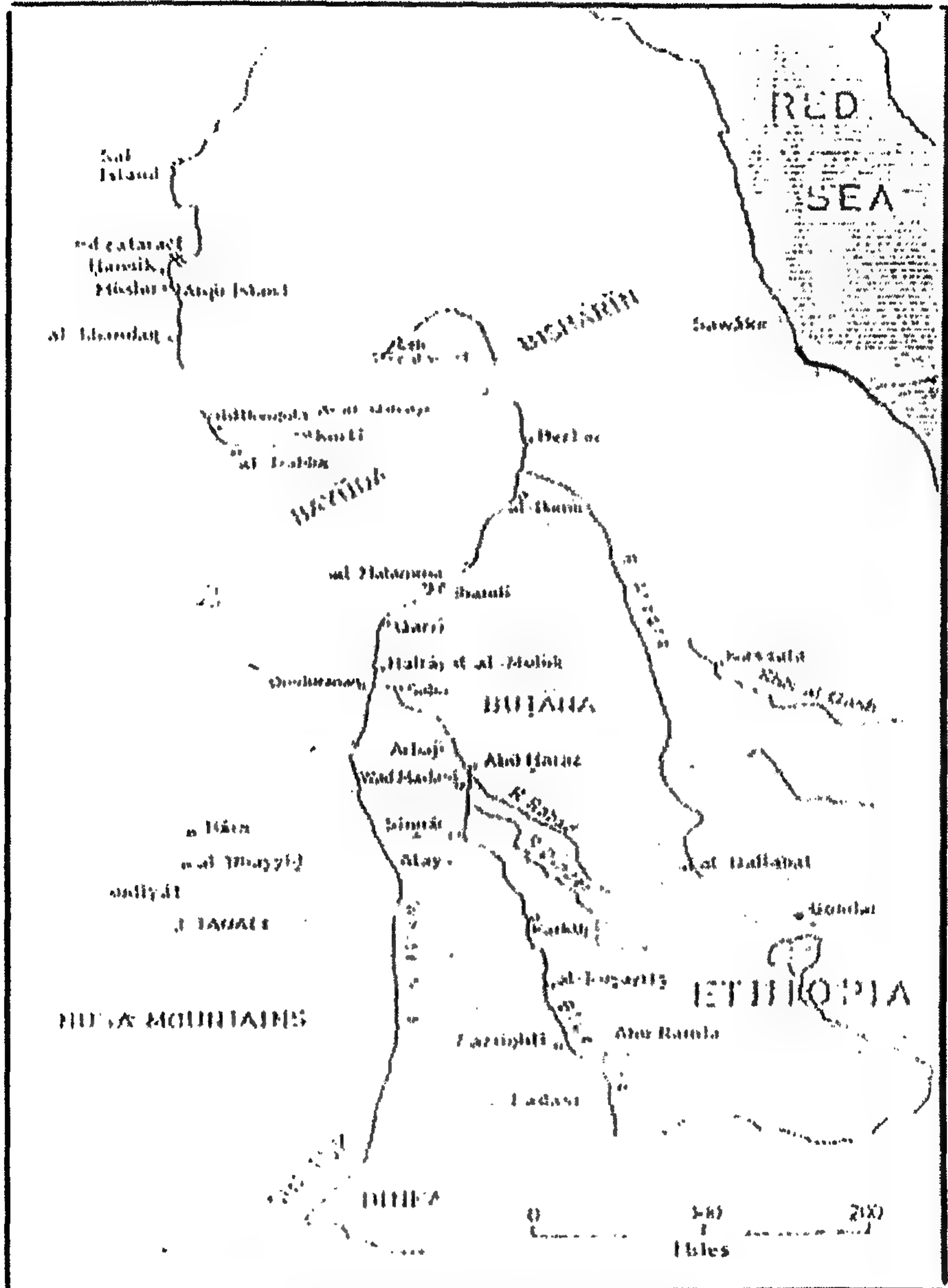
The fung Kingdom of Sinnar



Crawford: The Fung Kingdom of Sinnar



ملحق رقم (8)

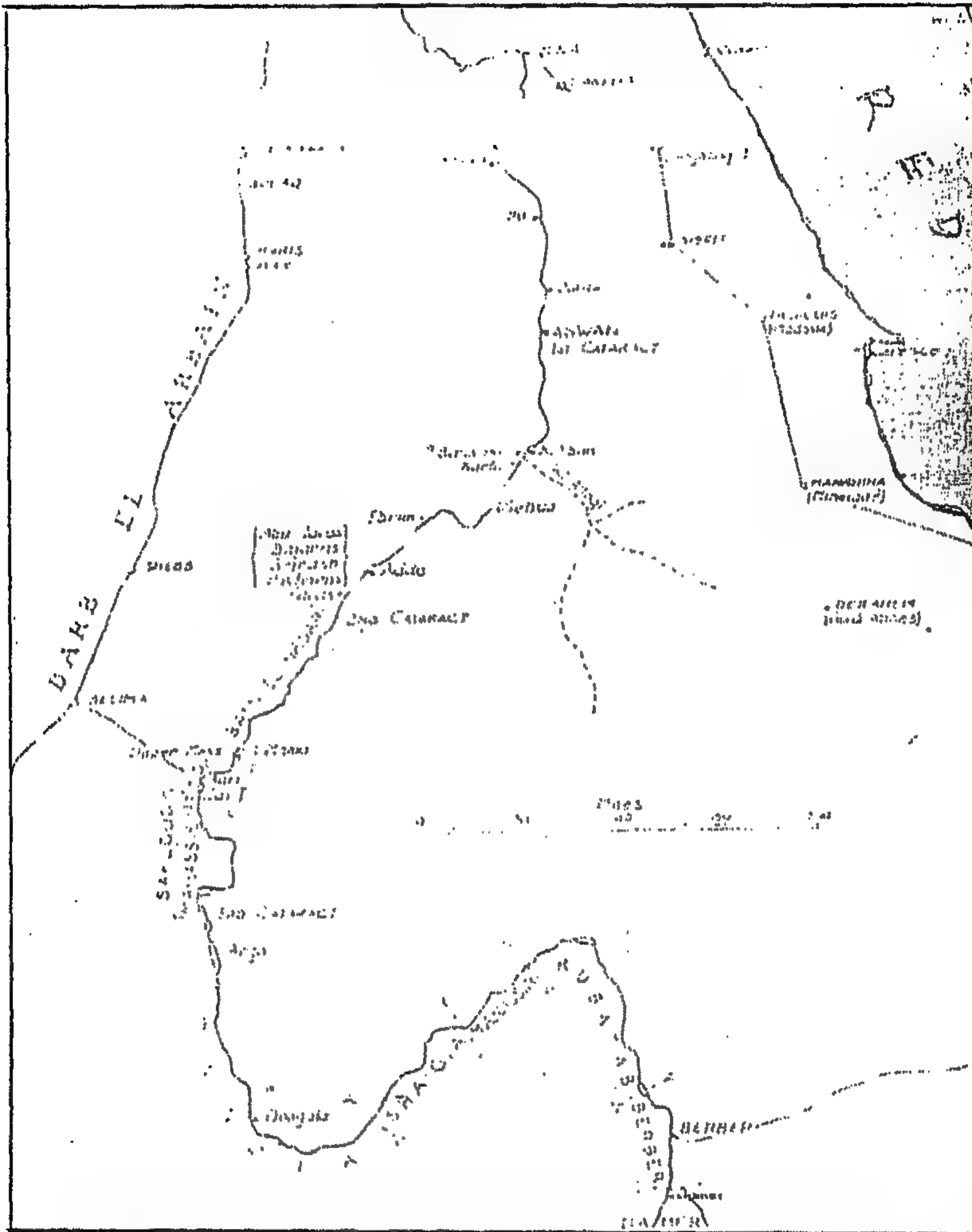


The Kingdom of Sinnar

Of ehay and Spaulding: Kingdoms sudanese

ملحق رقم (9)

The Fung Kingdom of Sinnar



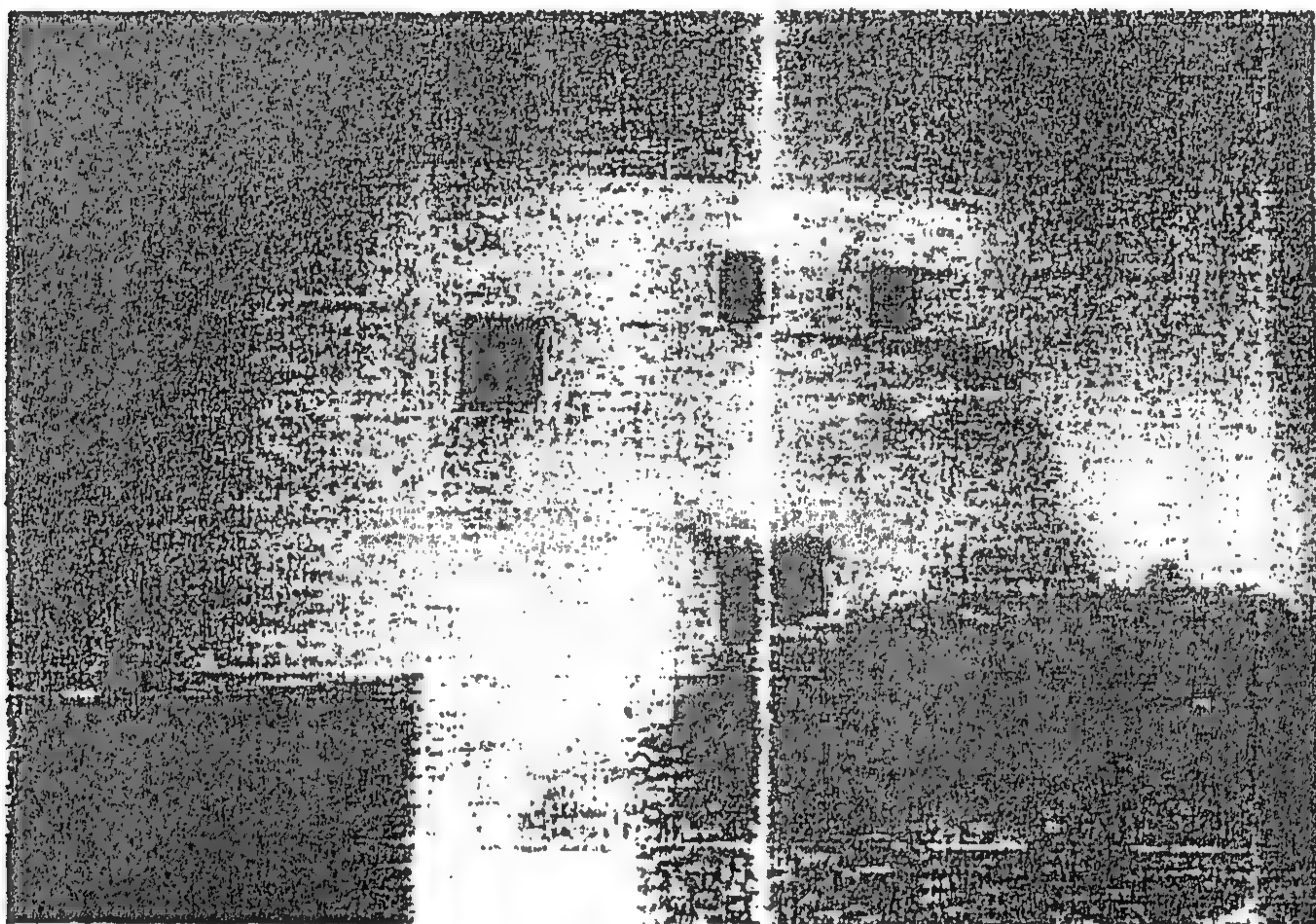
Places and tribes at the medieval nd fang periods:

Quean damper- (the caravan hales on the route are from the  
<sup>th</sup>  
 15 century map called Egypt us novella, where logier is called  
 latchet and is script

### الضرائب التي تدفعها القاهرة إلى مصر

الجهة التي تدفع لها	السلعة المدفوع عنها	القيمة	ملاحظات
عرب العبايدة لكل واحد	-	-	صابون
جمرك سنار	العبيد	4	
	الجمال	2	
	الجمال المحمل بريش النعام	2.5	
جمرك منفوط	العبد	12	
اليمين	العبد	12	
بولاق	العبد	12	
في طريق العودة لعرب البشرية في سنار			تدفع اثنين قطعة قماش عن كل جمال ويقدم للملك طقم ملابس دليل الولاء

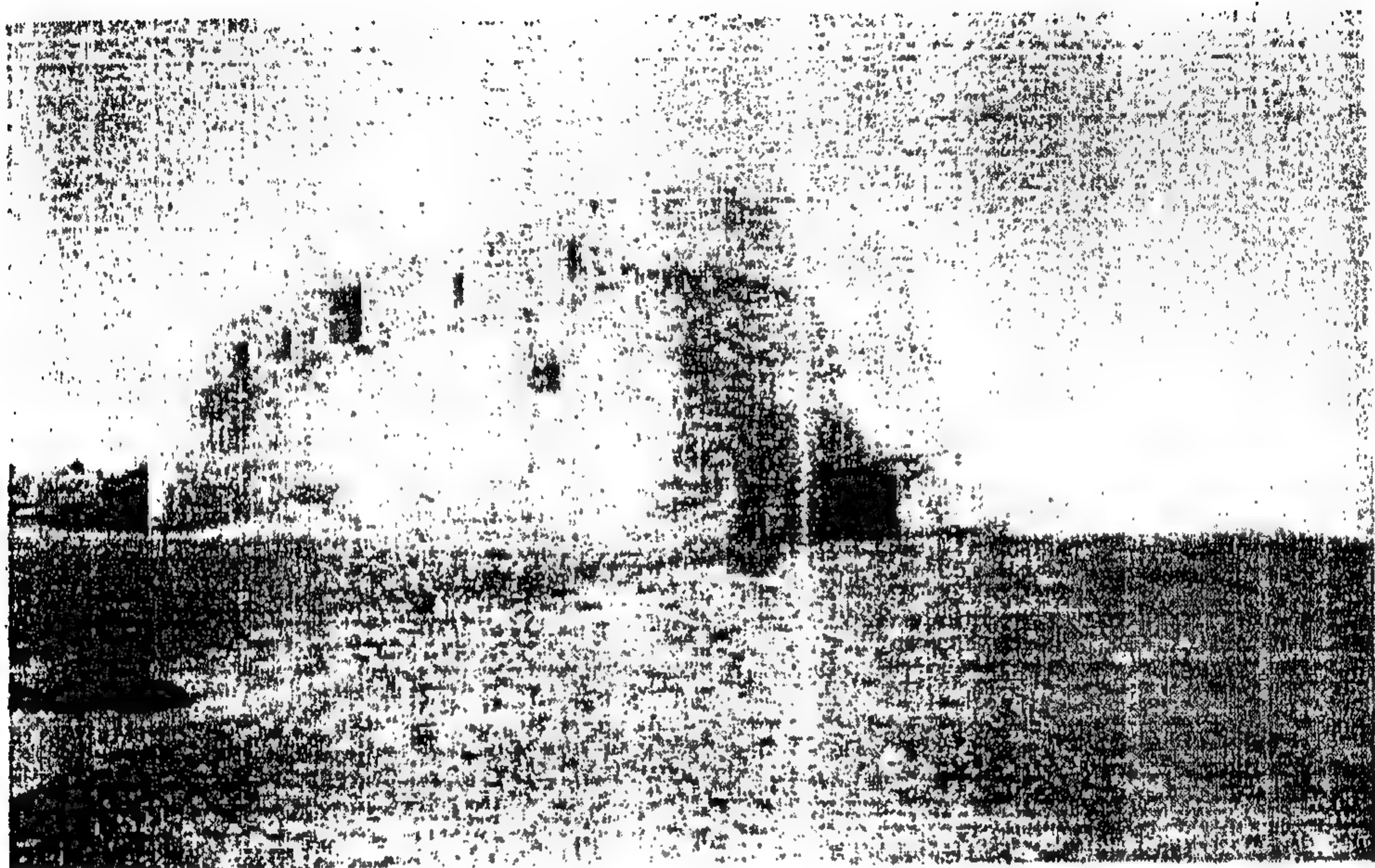
ملحق رقم (10)



قصر دنقلا الذى تحول الطابق الأعلى منه إلى مسجد

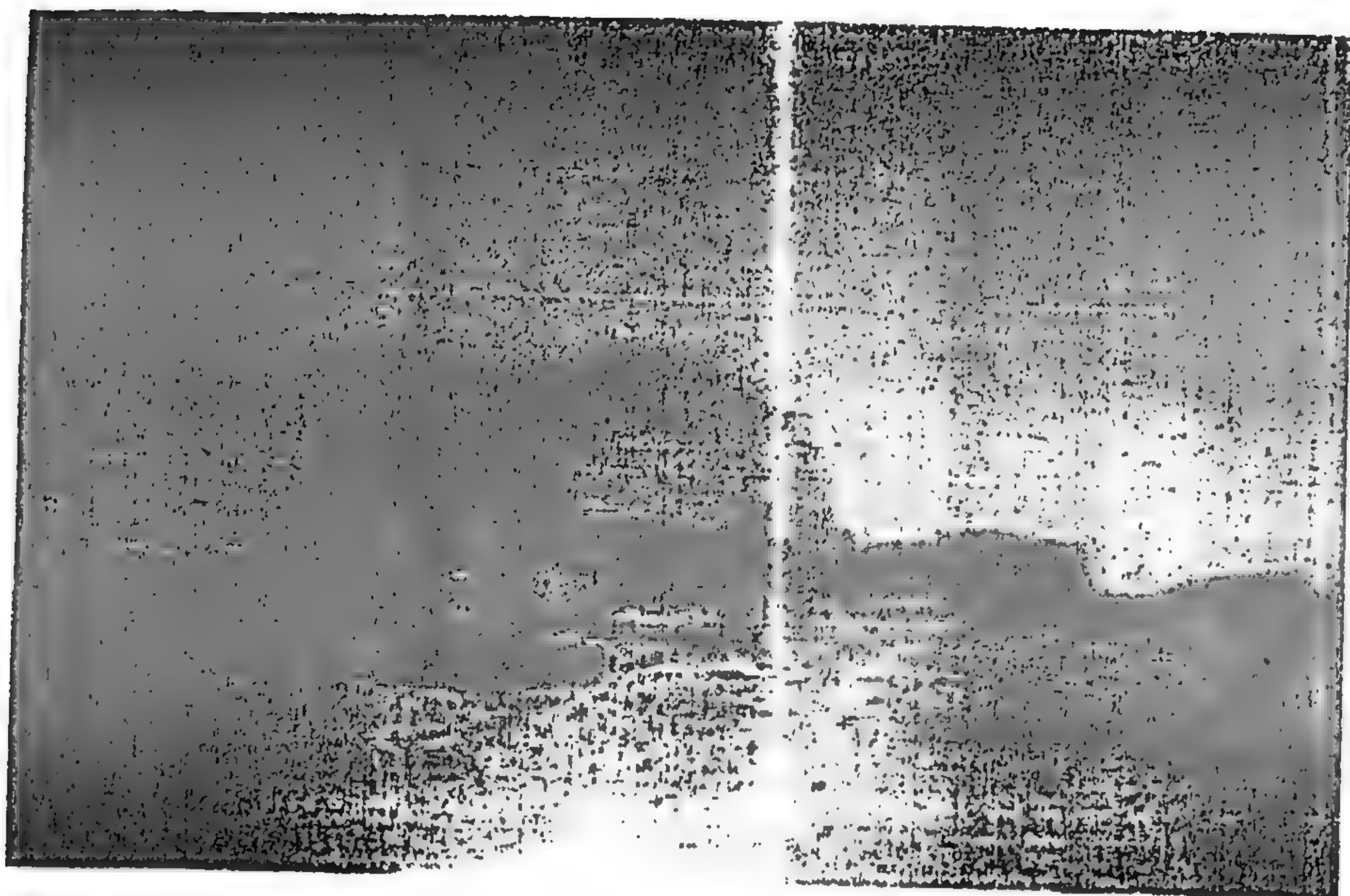


ملحق رقم (11)



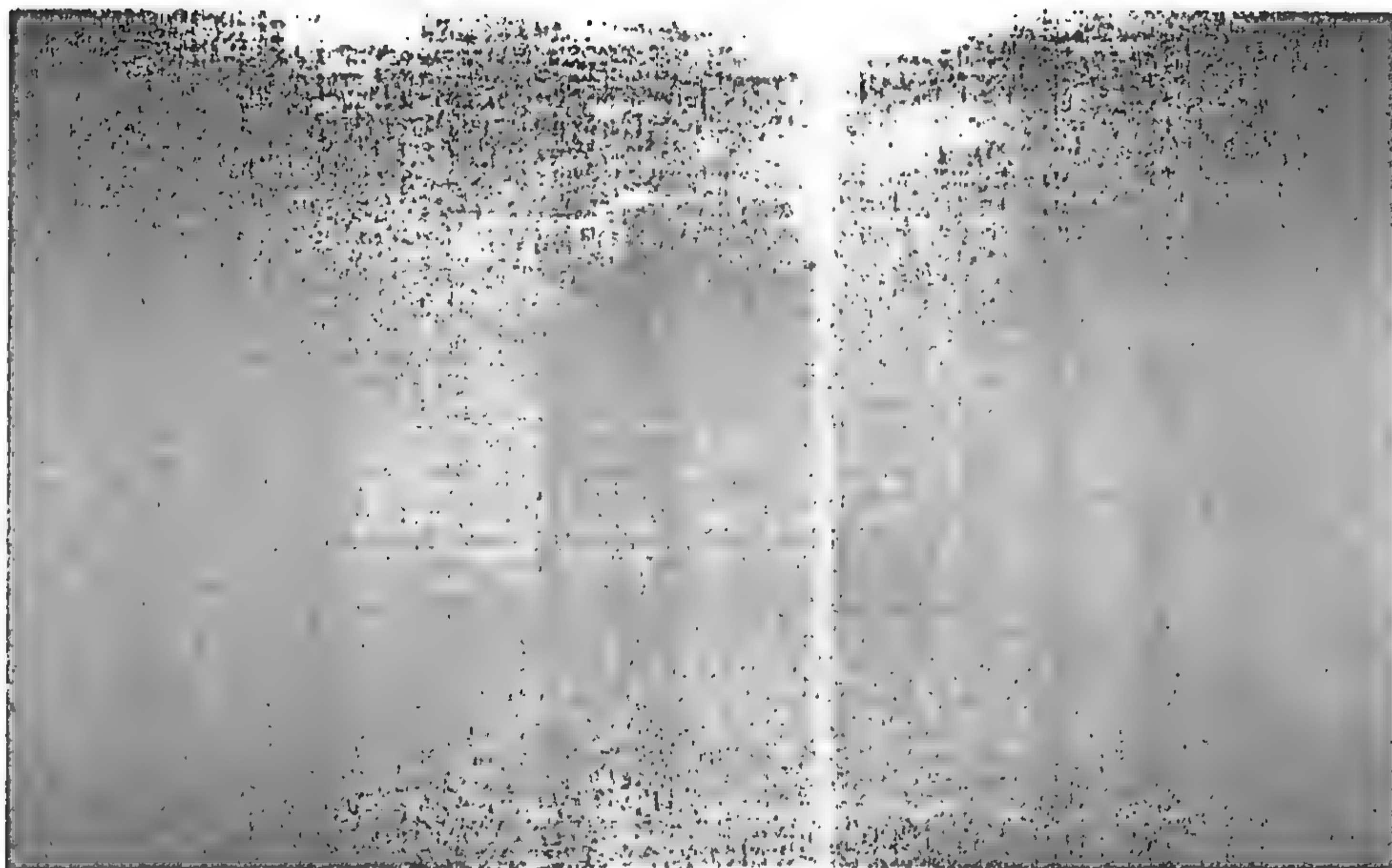
صورة جانبية لقصر الملك في دنقلا الذي تحول طابقه الأعلى إلى مسجد

ملحق رقم (12)



صورة عن بعد لقصر بنقلا

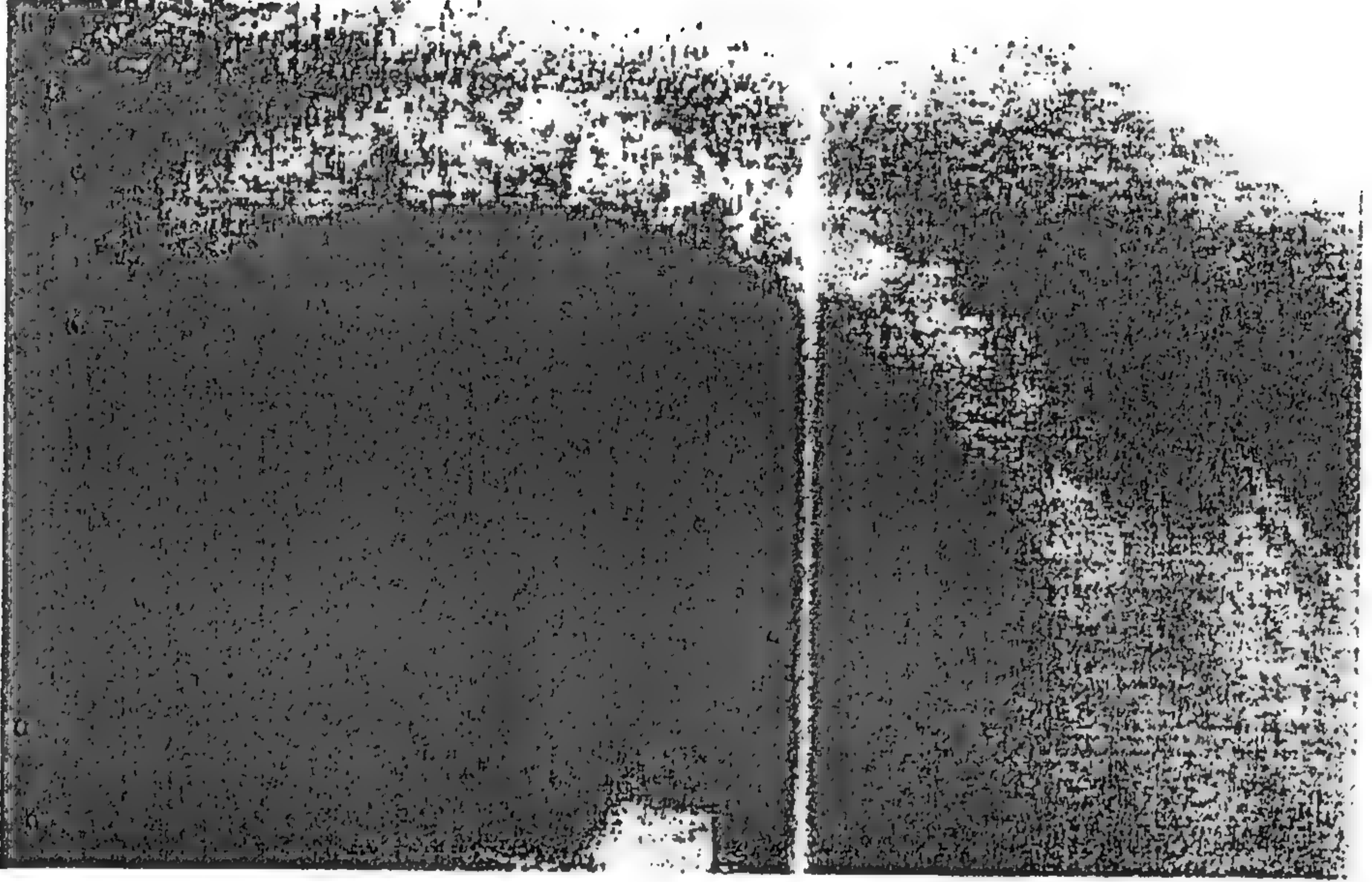
ملحق رقم 14



نفق أسفل القصر يقال أنه يؤدي إلى البركل



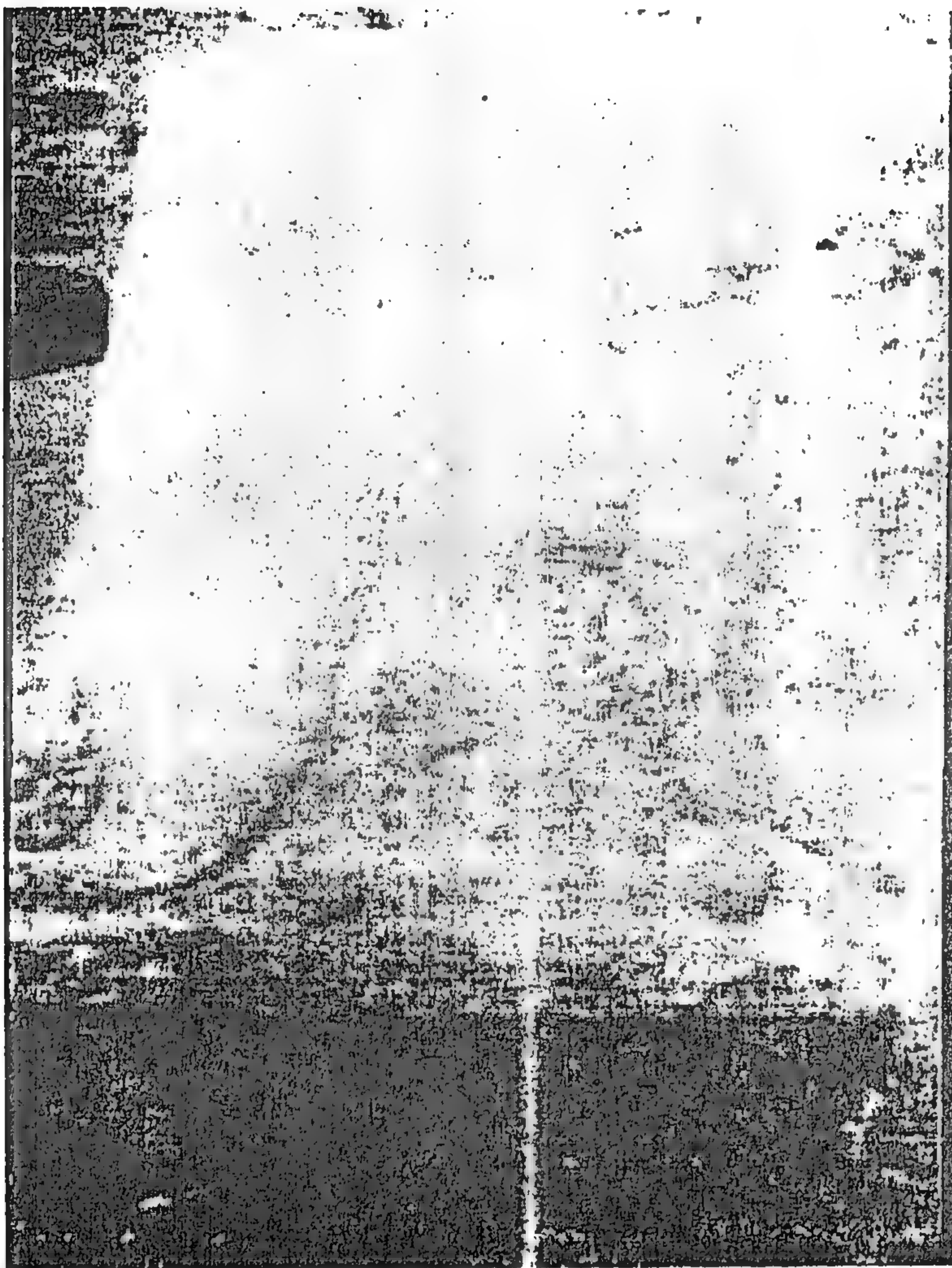
ملحق رقم (15)



نفق في أسفل القصر يقال أنه يؤدي إلى كريمة

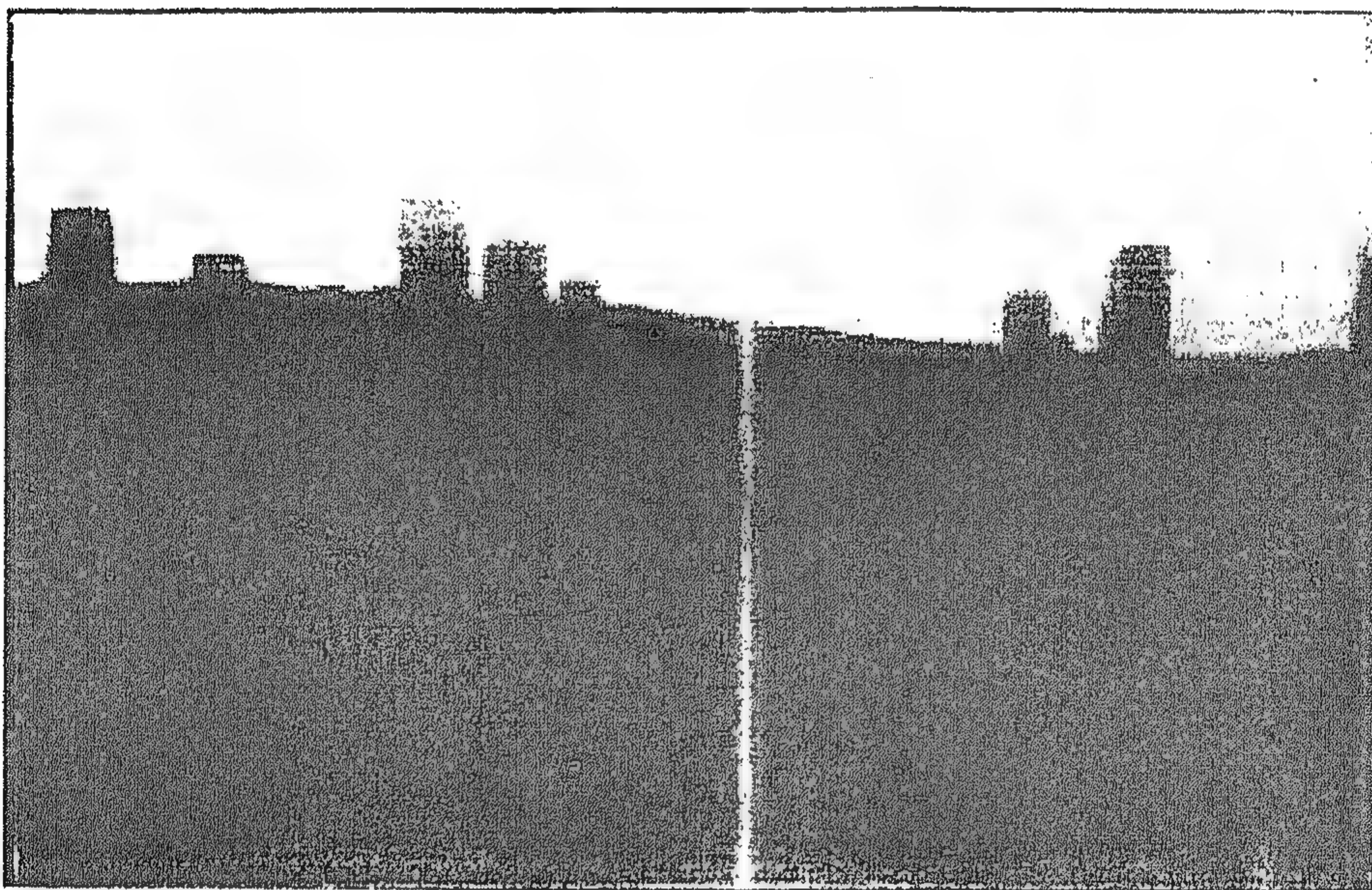


ملحق رقم (16)



رأس عامود الكاتدرائية

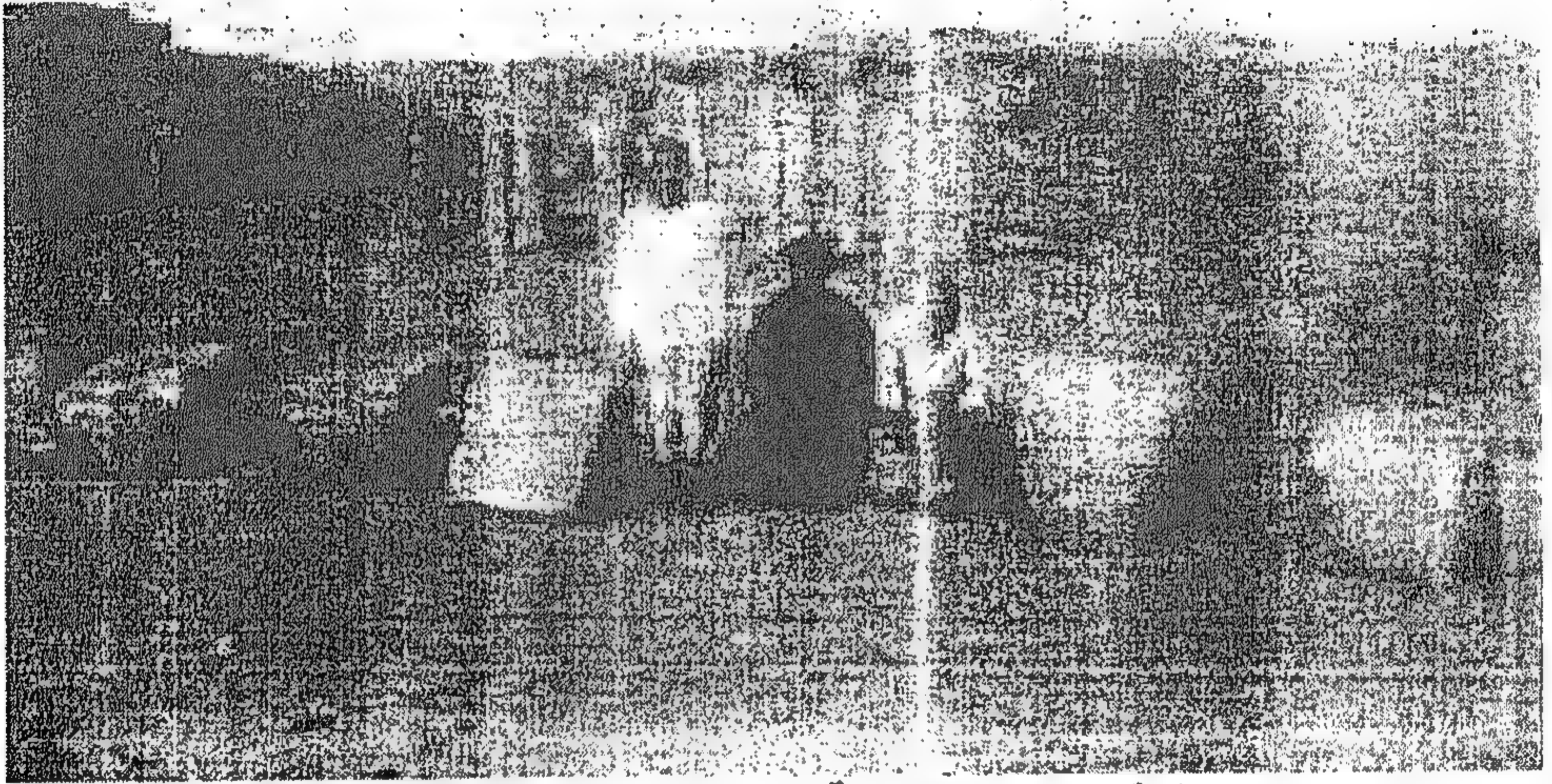
ملحق رقم (17)



ما بقي من الكاتدرائية



ملحق رقم (18)



ما بقي من الكاتدرائية التي تقع بالقرب من القصر

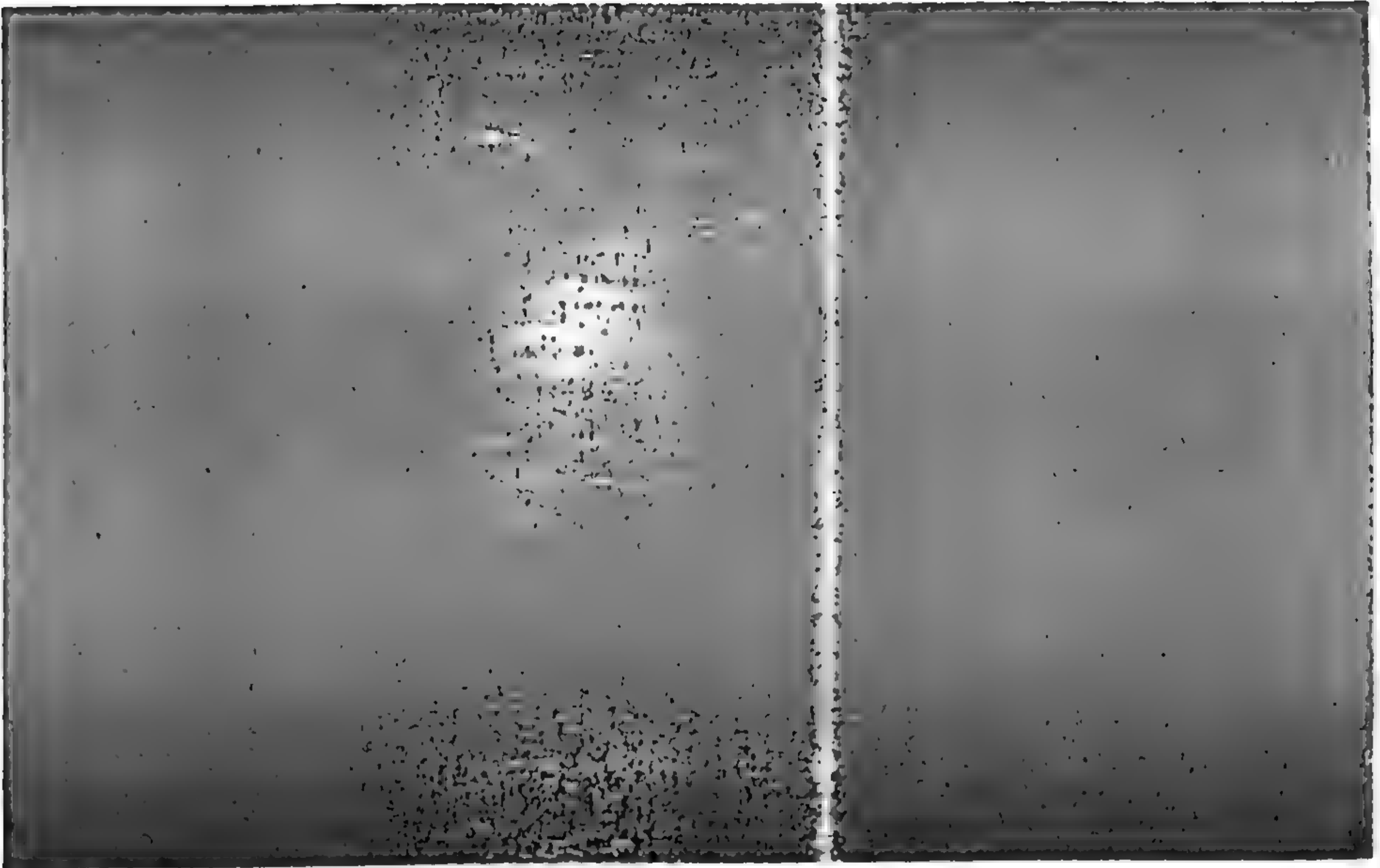
ملحق رقم (19)



رأس عامود الكاتدرائية واضح فيه نحت الصليب

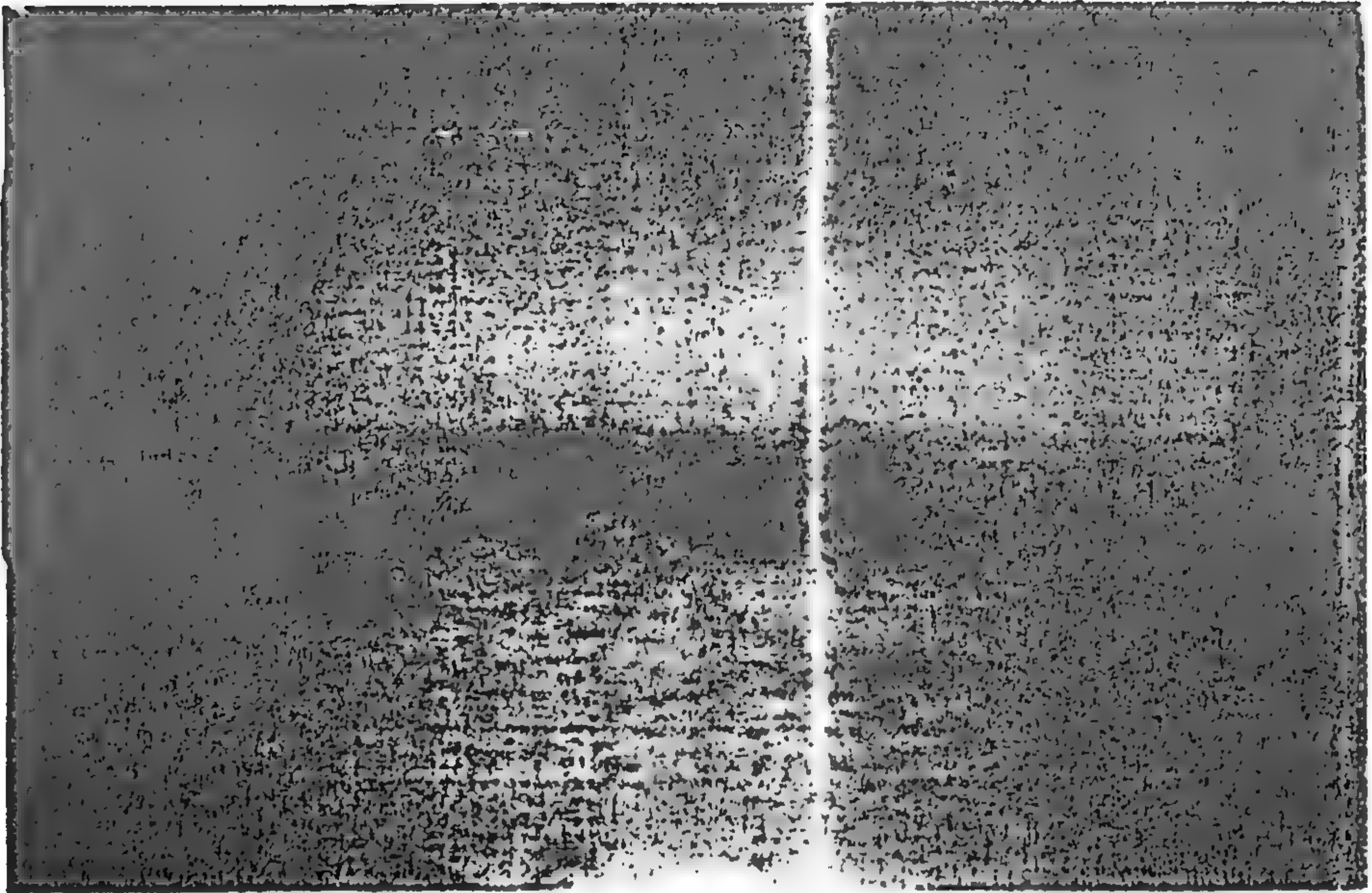


ملحق رقم (20)



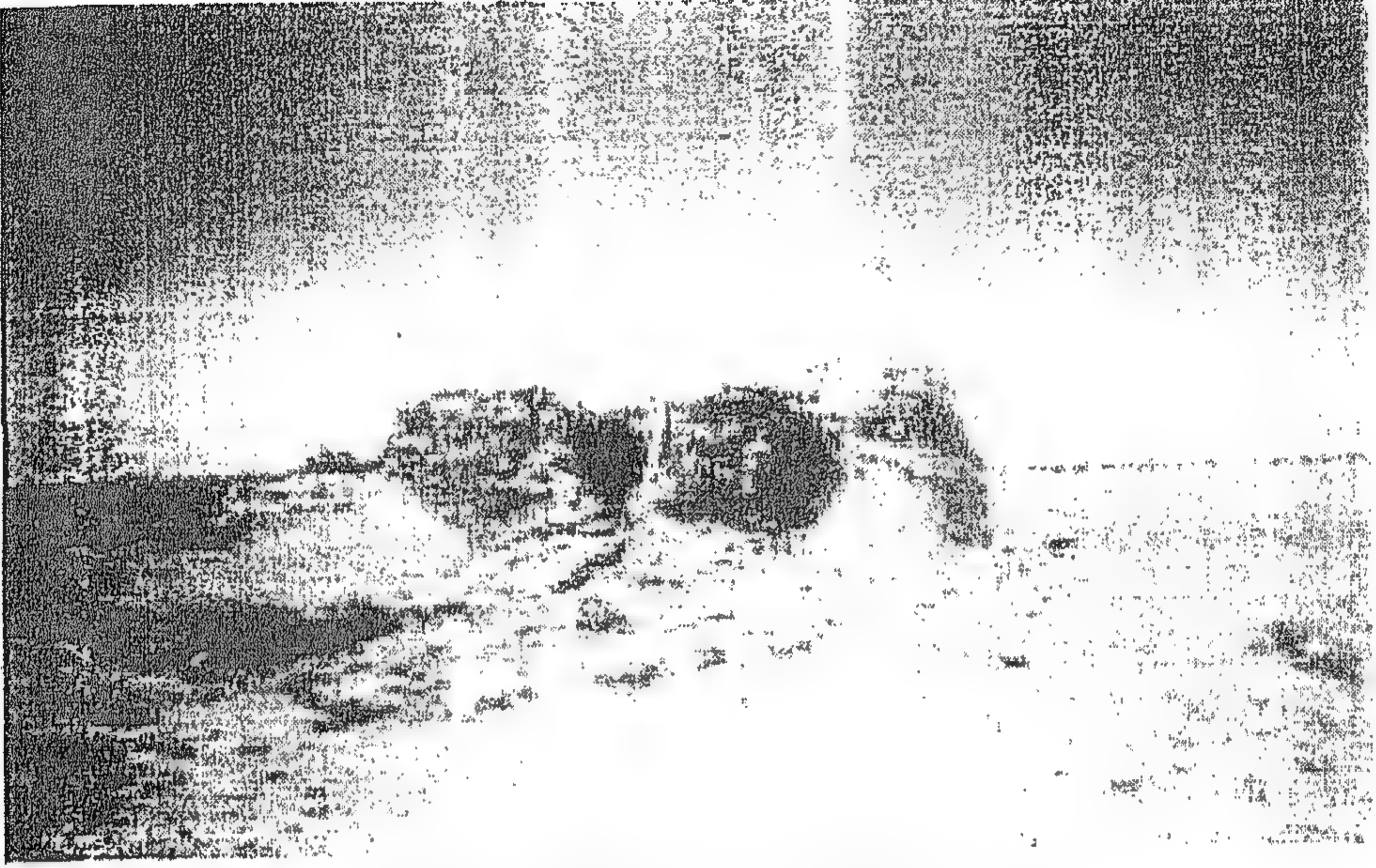
نقش يبين تحويل القصر إلى مسجد

ملحق رقم (21)



مسجد عبدالله بن أبي السرح

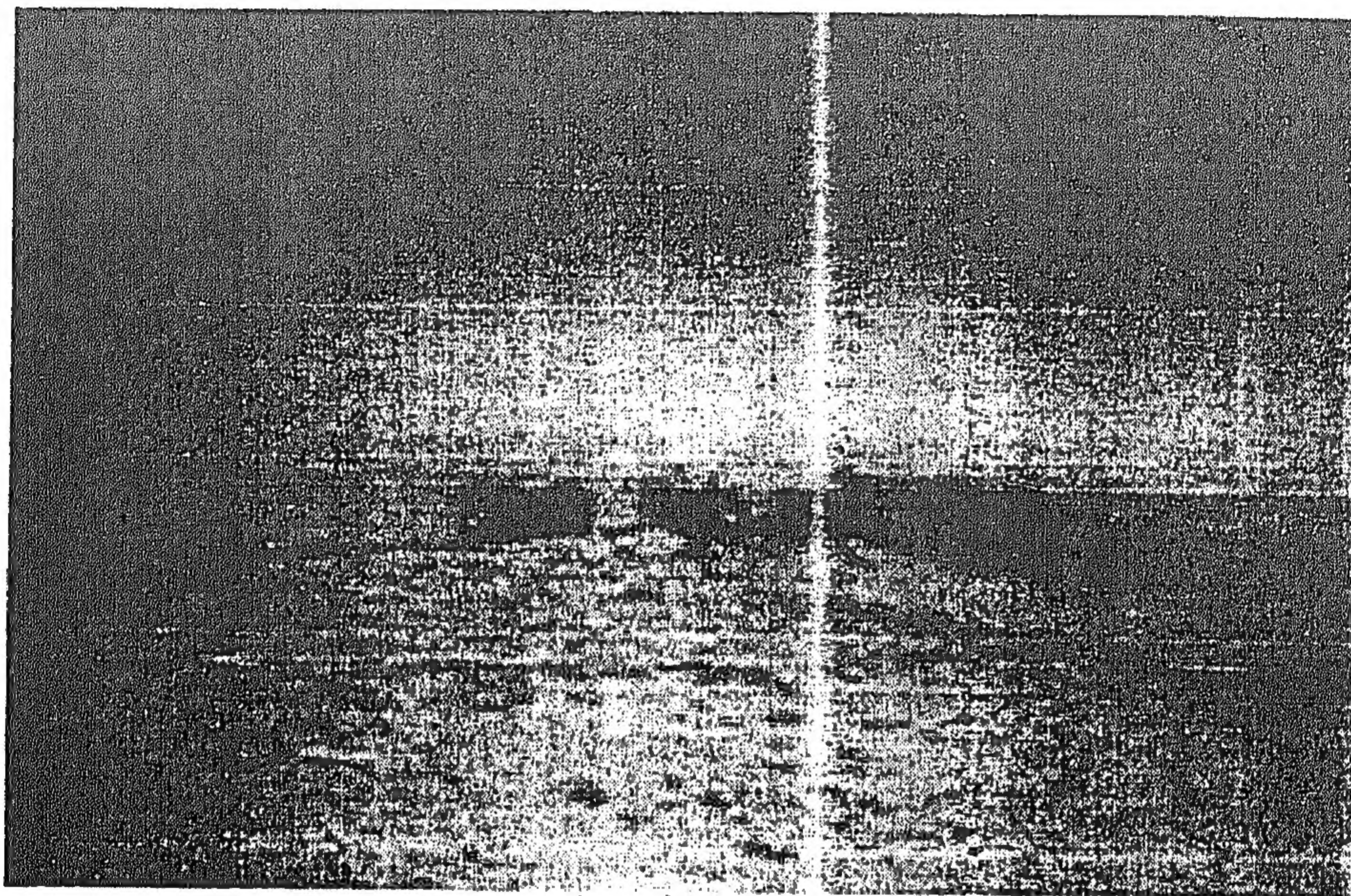
ملحق رقم (22)



صورة جانبية لمسجد عبدالله بن أي السرح



ملحق رقم (23)



باقي منزل عبدالله بن أبي السرح





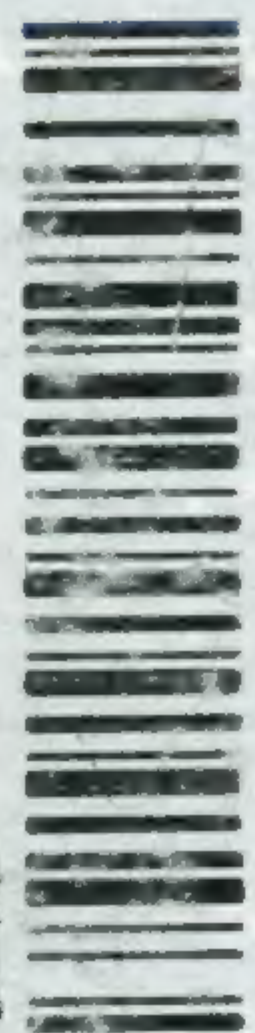




## كتب الدار العربية للنشر والتوزيع

- |                        |  |
|------------------------|--|
| د. خليل إبراهيم        | النزعة الفكرية للزوميات                            |
| د. شوقي عطا الله       | التطور التاريخي لمشكلات الحدود السودانية           |
| عبد الفتاح محمد        | الدور السياسى للزعيم إسماعيل الأزهرى               |
| د. سيد احمد علي عثمان  | العلاقات السودانية المكية عبر التاريخ              |
| بروفسير . احمد إبراهيم | الهوية السودانية عبر التاريخ                       |
| د. سيد احمد علي عثمان  | دارفور والحق المر                                  |
| عفاف محمد              | دور الطوائف الدينية فى العمل السياسى فى السودان    |
| منى أحمد               | دور المرأة السودانية                               |
| إلهام عبدالرحمن        | دور برامج التليفزيون غير السودانية فى تغير         |
|                        | القيم الاجتماعية للمجتمع السودانى                  |
| د. سيد احمد علي عثمان  | مصر والقرن الأفريقى فى القرن التاسع عشر الميلادى   |
| بروفسير احمد إبراهيم   | معهد بحوث ودراسات العالم الثالث                    |
| عبد الله أحمد خليل     | إحياء النحو وتجديده بين إبراهيم مصطفى وأمين الخولى |
| أبو بكر الهوش          | المعلومات والتنمية                                 |
| د. صلاح خضر            | أساسيات فى تدريس الفنون                            |
| د. على حسن             | السرطان وابتسامة سليمان                            |
| إبراهيم بن عبد الرحمن  | الصورة الفنية فى الشعر العربى                      |
| طلعت مراد بدر          | الفكر الشرقى ( مقدمة فى فكر أسيا الفلسفى والدينى   |
| إبراهيم بن عبد الرحمن  | الصورة الفنية فى الشعر العربى                      |
| د. حسين                | جماليات القصة القصيرة                              |
| د. نبيل السيد          | أسس ومبادئ الضيافة                                 |
| زين العابدين           | التخطيط الحضرى مدخل عام                            |
| إبراهيم بن عبد الرحمن  | دراسات فى تاريخ المشرق العربى                      |
| هدى لطيف               | العلاقات العامة                                    |
| د. محمد عثمان          | أساسيات الإدارة والتنظيم                           |
| د. هدى سيد             | الأجهزة والمنظمات السياحية                         |

Bibliotheca Alexandrina



0666425

للدان إصدارات أخرى فى مجالات علوم التربة والأراضى والحشرات والميكروبيولوجى والوراثة وعلوم تكنولوجيا الأغذية والعلوم الهندسية والبيئية والعلوم البحتة وغيرها.